الفيوضات الإحسانية

شرح الأوراد البهائية

وهي أوراد الشيخ بهاء الدين نقشبند قدس سره

تأليف

الإمام العالم والقدوة الكامل
الشيخ عبد القادر بن محمد أبي النور
ابن محمد أبي السعود الكيالي
قدس الله روحه
كان حيًّا سنة 1268 هـ

ضبطه وصححه وعلق عليه
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon
بيروت - لبنان
كتاب - ناشرون

AL-FUYŪḌĀT AL-IḤṢĀNIYYA
ŠARḤ AL-AWRĀD AL-BAHĀ'IYYA

الفيوضات الإحسانية
شرح الأوراد البهائية

Author : *Al-Sheikh Abdul-Qader ben Muhammed Al-Kayyali (was alive 1268 H.)*

المؤلف : الشيخ عبد القادر بن محمد الكيالي (كان حياً ١٢٦٨ هـ)

Editor : *Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali*

المحقق : الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

Classification : *Sufism*

التصنيف : تصوف

Year : *1436 H. - 2015 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

Pages: *176*

عدد الصفحات : ١٧٦

Size : *17 × 24 cm*

القياس : ١٧ × ٢٤ cm

Printed in : *Lebanon*

بلد الطباعة : لبنان

Edition : *First edition*

الطبعة : الأولى

ISBN : *978-2-7451-7876-9*

All Rights Reserved

Exclusive rights by © **BOOKS - PUBLISHER**
Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **BOOKS - PUBLISHER**
Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة **كتاب - ناشرون**
بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon | بيروت - لبنان | كتاب - ناشرون

Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com

ISBN-13: 978-2-7451-7876-3
ISBN-10: 2-7451-7876-8

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

بسم الله الرحمٰن الرحيم القائل: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نُـــوح: الآيات 10 - 12]، والقائل تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: الآية 20].

والحمد لله تعالى القائل: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ [غَافر: الآية 60]، والقائل تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البَقَرَة: الآية 186].

والصلاة والسَّلام على سيِّدنا محمد القائل: «**ما من قوم جلسوا مجلساً لم يذكروا الله فيه إلا كانت عليهم ترة، وما سلك رجل طريقاً لم يذكر الله فيه إلا كانت عليه ترة**» [رواه النسائي برقم (10239)].

والقائل ﷺ: «**لا يقعد قوم يذكرون الله عزَّ وجلَّ إلا حفَّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة، وذَكَرَهُم الله فيمن عنده**» [رواه مسلم برقم (2700)].

وبعد، فبما أن الإيمان يزيد وينقص، وبما أن النفس أمَّارة بالسوء مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفَال: الآية 2]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يُوسُف: الآية 53] كان الإنسان المؤمن بحاجة إلى أوراد يوميَّة من الأذكار، تساعده ـ إضافة إلى الفرائض والسنن والنوافل ـ على تزكية نفسه، وتطهيرها من مساوئ الأخلاق

وذميمها، وتحليتها بمكارمها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشّمس: الآيتان 9- 10].

وقد حثّنا النبيّ ﷺ على الإتيان بهذه الأوراد فقال: «**إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرّة**» [رواه مسلم وغيره]. وقال الشيخ ابن عطاء الله السكندري ـ رحمه الله تعالى ـ في «حِكَمِه» مبيّناً الحاجة إلى هذه الأوراد: «لا يستحقر الوِرْد إلا الجهول، وأوْلى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده، الوِرْد هو طالبه منك، والوارد أنت تطلبه منه».

فالإنسان مكلّف بوظائف العبودية، قياماً بحق عظمة الربوبية، ومن هذه الوظائف الأوراد التي تقطع بموته، فليغتنم الإنسان عمره قبل فوات الأوان، وقد جاء في الأثر: «لا تأتي على العبد ساعة لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة». وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**ما جلس قوم مجلساً فتفرّقوا عن غير ذكر الله إلا تفرّقوا عن مثل جيفة حمار، وكان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة**» [حديث رقم (10837)]. وقال الإمام الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: «أدركت أقواماً كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم».

هذا وتتنوَّع الأوراد بتنوُّع همم الخلق واستعداداتهم إلى ثلاثة أوراد كليَّة بحسب الوسع والطاقة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: الآية 286].

الأول: وِرْد المجتهدين في الرياضات الروحيَّة من العباد والزهَّاد، وهو عبارة عن استغراق أوقاتهم في أنواع الطاعات، وعبادتهم تتراوح بين ذكر ودعاء وصلاة وصيام وتلاوة ومذاكرة علم.

والثاني: وِرْد السائرين إلى الله تعالى، وهو عبارة عن الخروج من الشواغل، وترك العلائق والعوائق الدنيوية، وتطهير القلوب من المساوئ والعيوب، وتحليتها بالفضائل بعد تخليتها من الرذائل.

والثالث: وِرْد الواصلين، وهو كما يقول الشيخ أحمد بن عجيبة في كتابه «إيقاظ الهمم في شرح الحِكَم»: عبارة عن إسقاط الهوى والعمل على محبّة المولى، وعبادتهم فكرة أو نظرة مع العكوف في الحضرة الإلٰهية، فكل مَن أقامه مولاه في وِرْد فليلتزمه ولا يتعدّى طوره ولا يستحقر غيره، إذ العارف بالله تعالى لا يستحقر شيئاً بل يصير مع كل واحد في مقامه ويقرِّر كل شيء في محله، فلا يستحقر الوِرْد ويطلب الوارد إلا جهول أو معاند، وكيف يستحقر الوِرْد وبه يكون الورود على حضرة الملك المعبود، الوِرْد يوجد ثوابه وثمرته في الدار الآخرة، والوارد الذي تطلبه ينطوي بانطواء هذه الدار الفانية، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزّخرُف: الآية 72].

وروى ابن السري في كتاب «الزهد» عن قتادة قال: قال عبد الله بن مسعود: تجوزون الصراط بعفوّ الله تعالى، وتدخلون الجنة برحمة الله، وتقتسمون المنازل بأعمالكم. [1/ 198].

ولا يستحقر الوِرْد ويطلب الوارد إلا مَن كان عبد الوارد، وأما مَن كان عبد الله فلا يلتفت إلى ما سواه، بل يلزم ما هو مكلف به مِن وظائف العبودية، قياماً بحق عظمة الربوبيَّة، فهو الذي يدوم، وبه يتوصل إلى رضا الحيِّ القيُّوم.

فعليك أخي المسلم باغتنام أوقات الفراغ والصحة بشغلهما بما ينفعك في الدار الآخرة، مصداقاً لقول النبي ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**» [رواه البخاري وغيره].

ولقوله ﷺ: «**مَن استوى يوماه فهو مغبون، ومَن كان يومه شرّاً من أمسِه فهو ملعون، ومَن لم يكن في الزيادة فهو في النقصان، ومَن كان في النقصان فالموت خير له، ومَن اشتاق إلى الجنَّة سارع إلى الخيرات**» [رواه البيهقي في كتاب الزهد الكبير].

وفي هذا المجال، وفي إطار نشر كتب التصوُّف الإسلامي، التي نقوم بتحقيقها وتصحيحها وتنقيحها وتنسيقها والتعليق عليها، خدمة لمقام الإحسان، الذي هو الركن الثالث من أركان الدين الإسلامي الكامل بعد ركنيّ الإسلام والإيمان، نقدِّم للقرَّاء الكرام كتاباً جليلاً هو «**الفيوضات الإحسانية شرح أوراد الشيخ بهاء الدين نقشبند قدّس سرّه**» للإمام العالم والقدوة الكامل الشيخ عبد القادر أبي السعود الكيالي قدَّس الله سرَّه.

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى أن كتب التصوف الإسلامي تساعد المُريد على الاطلاع على الأحوال والمقامات، التي يمر بها السالك إلى الله تعالى، كما يطّلع على الحكم والقواعد الصوفية التي يستلهم منها كيفية التحقق بأحكام مقام الإسلام وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: الآية 99].

كل ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان؛ الشريعة والطريقة والحقيقة؛ المُلْك والملكوت والجبروت، مصداقاً لقوله ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**» [رواه ابن حبان في صحيحه].

وقوله ﷺ: «**إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم**» [رواه مسلم وغيره].

هذا ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين، ومن أنوار أسرار ما تعبَّدنا الله به على لسان نبيّه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: الآية 21]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: الآيات 3-4]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: الآية 69]، لننال السعادة الحقيقية المتمثّلة بمعرفة

الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآيتان 22 - 23].

كتبه الشيخ الدكتور

عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

ترجمة الشارح الشيخ
عبد القادر الكيالي

هو العلَّامة الصوفي، الشيخ عبد القادر بن محمد أبي النور بن محمد أبي السعود الكيالي ـ قُدِّس سرُّه ـ، لم يُترجم له أحد، وهو مجهول تاريخ الولادة والوفاة، إلا أنه كان حيّاً سنة 1268 هجري/ 1852 ميلادي.

له كتاب «الفيوضات الإحسانية في شرح الأوراد البهائيَّة» وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

ترجمة الماتن الشيخ بهاء الدين نقشبند ــ قدِّس سرُّه(*)

هو: الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد بن محمد، المشهور بالنقشبند والملقّب بـ«محمد البخاري»، ولد ـ قدِّس سرّه ـ في شهر محرم الحرام سنة سبع عشرة وسبعمائة هجري في قرية قصر هندوان التي سمِّيت فيما بعد بـ«قصر عارفان» من قرى بخارى على فرسخ منها، وفي بعض المصادر ذكر أنه سيد حسيني وجدّه الأكبر محمد جلال الدين، وهو مريد خواجه محمد بابا السماسي، وهو شيخ طريقة خواجكان، وقد أشرنا إلى أن هذه الطريقة كانت تسمّى طريقة خواجكان. توفي الخواجه محمد بابا السماسي في (755 هجرية).

وقد حلّ السماسي مع عدد من مريديه ضيفاً في قرية قصر هندوان، وهي قرية محمد بهاء الدين، ولم يمض ثلاثة أيام في عمر محمد بهاء الدين الطفل فاحتضنه جدّه وقدَّمه للسماسي الشيخ، ففرح به وقال: إني قبلت هذا الطفل ولداً لي، وبشّر مريديه بأن هذا المولود سيكون إماماً لزمانه، كان جدّه يريد تربيته تربية صوفية فزوَّجه وعمره 18 سنة وأخذه في نفس السنة إلى سماس لخدمة العارف الكبير الشيخ محمد السماسي.

وتلقى الطريقة منه بعد وفاة الشيخ السماسي في 755 هجرية، أخذه وذهبا إلى سمرقند للبحث عن رجل صالح قادر على تربيته، ثم ذهبا إلى السيد أمير كلال خليفة الشيخ السماسي، فأخذ الطريقة منه وبدأ بالسلوك وقال الأمير

(*) شمس الشموس ـ شاه بهاء الدين نقشبند WWW.alhaqqani.Com.

كولال له: إن حضرة الشيخ محمد السماسي أوصاه به، وقال له: لا تألُ جهداً بتربية ولدي محمد بهاء الدين ولا بالشفقة عليه. فبدأ بهاء الدين بالذِّكر والفِكر والسلوك الصوفي، وتربية القلب وتزكية النفس.

وكان استعداده فوق العادة، فكان يقطع مسافة شهر بيوم واحد، ومسافة عام بأيام، ففي يوم من الأيام جمع السيد أمير كولال مريديه وقال لمحمد بهاء الدين أمامهم: إني نفذت وصية مرشدي الخواجة السماسي بتربيتك ولم آل جهداً في تربيتك، ثم مدّ يده إلى صدره وقال: إني أرضعتك جميع ما في صدري فيبس ثديي فتمكنت من إخراج قلبك من قشرة البشرية وتخليصك من النفس والشيطان، وأصبحت رجلاً عظيماً، وأنبتك محل نفسي ولكن همَّتك تتطلب العالي، وهذا منتهى مقدرتي على تربيتك وأجيزك لتبحث عن رجل أصلح مني لعله يعرج بك إلى مقام أعلى.

وقد ذكرت سابقاً أن بعضاً من المريدين يتقدمون على مشايخهم كالشيخ النقشبند مع مرشده وهو السيد أمير كولال. وبعد أن ترك السيد أمير كولال وقضى سبع سنوات مع مولانا عارف الديك كراني، وهو أحد خلفاء كولال وصاحبه، وقفى 12 سنة مع شيخ تركي اسمه (خليل آتا) فكان عاشقاً للعبودية والسلوك. وكان بهاء الدين بالإضافة إلى السلوك يتنقل بين علماء الشرع ولا سيما السُّنَّة النبويَّة، لدراستها.

وقد حجّ مرّتين، وفي إحدى سفراته ذهب إلى (هرات) فاحترمه الملك معزّ الدين. وكانت له أسفار عديدة، فسافر إلى سمرقند وريورتون وسمنان ومرو، وطوس ومشهد وتايباد وقزل رباط وكيش. توفي الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند ليلة الاثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وسبعمائة وعمره أربع وسبعون سنة، ودفن في بستانه في الموضع الذي أمر به وبنى عليه أتباعه قبة عظيمة لا تزال تُزار.

وقد ربّى عشرات الألوف من المريدين وقد وصل بعضهم درجة الإجازة المطلقة وقد اجتازوا درجات البقاء بعد الفناء.

وبفيض بركاته تمكَّن خلفاؤه ونوَّابه إبلاغ مريديهم إلى غاياتهم وأحدهم هو خواجه محمد بارسا الذي وُلِد في بخارى سنة 756 هجرية، وتوفى في بلخ سنة 822 هجرية، فقد ترك عشرين مؤلّفاً منها كتاب «القدسيّة» وهو كتاب يضم أقوال الشيخ النقشبند.

وخلفه ابنه أبو النصر بارسا وهو من كبار مشايخ النقشبندية ومن عظماء الطريقة النقشبندية الذين تصل إليهم سلسلتنا، الشيخ محمد بن محمد، المشهور بعلاء الدين العطار فقد ربّى مئات من المريدين وأبلغهم إلى قمم الغايات.

وفي كتاب «الحدائق الوردية» عشرات من أسماء مريديه وأخبار عشرات من خلفائه، وجاء فيها: وله خلفاء كنجوم السماء. وفي كتاب «القدسيّة» المطبوع والمحقق من قبل السيد أحمد طاهر العراقي إشارة إلى المراجع المخطوطة للنقشبندية، وهو مزيّن بصورة ضريح النقشبند الذي يقول المستشرق الدانيماركي الوفسين وكان في بخارى في أعوام 1896 ـ 1899 م: إن ضريح بهاء الدين هو في ركن من بستان مليء بأشجار كثيرة من التوت والمشمش وجانباه جامع ويُزار.

وقال أرمينوس، وهو أيضاً في القرن التاسع عشر، ومستشرق مَجَرِي: يتوافد على ضريحه على الدوام خلق كثير، حتى من الصين ومن عادة أهل بخارى أنهم يزورونه يوم الأربعاء، ومنهم من يظلّ يصلِّي الليل كله في جامعه، وإن جانب المرقد مسجد وخانقاه.

جاء في كتاب «الحدائق الوردية» و«الأنوار القدسيَّة» وهي نفس الحدائق: عندما توفي بهاء الدين دُفِن في بستان له وبُنِيَت قبة وجامع في جانبه، وقَّف الملوك والعظماء كثيراً من الأملاك عليها.

قال كاتب ومحقِّق القدسيَّة: لبهاء الدين النقشبند عدا الرسالة القدسيَّة، رسائل أخرى توجد في مكتبات العالم كالأوراد البهيَّة، والوِرْد الصغير، والأوراد البهائية، وهي مشروحة، وكذلك رسالة الواردات. وتوجد نسخة منها في أيا صوفيا، وكذلك كتاب «دليل العاشقين» و«رسالة الحياة» وهي نصائح.

كلمة النقشبند: تساءل كثيرون عن معنى هذه الكلمة، وهي نقشبند،

وليست «نقشبندي» وهي كلمة فارسية معناها «الناقش» كالمصوِّر، ويستعمل للحفر في الحجر والشجر. يقال: «النقاش» لمن صوّر باليد، وكلمة النقش عربية، ويقال: «العلم في الصغر كالنقش في الحجر».

وقيل: إن أجداده كانوا نقاشين وهو غير صحيح، فلو كان ذلك صحيحاً لكان اسم بهاء الدين نقشبندياً وليس بنقشبند.

وإنه شخصياً طول حياته لم يسلك عملاً غير السلوك الصوفي. فالمعنى متوجه إلى المعنويات، أي كان بهاء الدين نقّاش القلوب، وقد رسخ نقش «الله» في قلبه وقلوب مريديه ونهجه كما هو واضح، عمل للمذكور ليكون في قلبه.

يقول الشاعر النقشبندي: يا رفيقاً في طريق النقشبند إنقش ذكر الحق في قلبك بجد.

وقال بعضهم: النشقبند قرية في (بخارا) وبهاء الدين من سكَّانها وهو غير صحيح إذ لا توجد قرية بهذا الاسم، وإن حياته معروفة وواضحة، ولو كانت هنالك قرية بهذا الاسم لقيل النقشبندي لا النقشبند.

والحقيقة هي أنه روَّج الذكر الخفي من أجل دوام المذكور في القلب ونقشه في الباطن. ومن أسمائه: محمد بهاء الدين الأويسي البخاري، وهو يوضح أنه من «البخارى» ولكن ما معنى الأويسي؟ يقول مؤلف كتاب «تاريخ التصوف في كردستان» نقلاً عن كتاب «تاريخ السليمانية» لأمين زكي، سمي أويسياً لأن خُلُقَه في التصوف هو خُلُق الأويس القُرني، لذلك سمي أويسياً.

والحقيقة أن المشايخ الذين توصلوا عن طريق المشايخ المتوفِّين أو المشايخ الذين لم يلتقوا بهم جسدياً وتربوا على أيديهم معنوياً وليس جسدياً يسمُّون بـ«الأويسي»، فكما أن سيدنا أويس القرني حُرِم من نعمة اللِّقاء بالرسول ﷺ وحظي بروحانيته وبركاته.

وهكذا يمكن أن يستفيد المشايخ من مشايخ توفُّوا أو لم يلتقوا بهم وهم أحياء.

وحيث إن النقشبند قد تلقى التربية الروحية كما قال في وصف رحلته

الروحية، من روحانية الخواجه عبد الخالق الغجدواني، وكان أمير كولال قد اعترف بأنه قد أوصله إلى مقام معيّن قدر طاقته، وقد رفعته روحانية الشيخ الغجدواني المتوفى قبل بهاء الدين بسنين طويلة إلى هذا المقام الكبير، فهو على هذا الأساس أويسي المشرب لذلك يقال له «بهاء الدين الأويسي».

ولذلك أيضاً يقال إن سلسلة بهاء الدين النقشبند تصل إلى النبي ﷺ بعد عشرة من المشايخ، ويقع أمير كولال، والسماسي، وعلي رامتيني، ومحمود إنجير فغنوي، وعارف ريوكري بين بهاء الدين «الغجدواني» فما دامت روحانية الغجدواني هي التي ربت بهاء الدين النقشبند فيعتبر مرشداً له. وهذا المقام الأويسي لم يكن خاصاً به بل كذلك الشيخ حسن الخرقاني. ومن المشهور أن روحانية البسطامي ربت الشيخ حسن المتوفى في 425 هجرية، وتوفي بايزيد في 261 هجرية، كما أنه من المشهور أن البسطامي من تربية الإمام جعفر الصادق المتوفى في 148 هجرية.

ويقول البعض: يوجد شخصان باسم بايزيد، أحدهما عاش في زمن الإمام جعفر، وأقصد بذلك توضيح معنى «الأويس» وإلا فإن هؤلاء المشايخ الكبار قصدوا الله سبحانه وهو حاضر في كل مكان وهادي عبده ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: الآية 282].

ومن كان له مرشد كبير مثل أمير كولال، وقال: إني أعطيتك كل ما أملك وأخرجتك من القالب البشري، وهذه إشارة إلى مقام البقاء بعد الفناء، فإنه يستطيع بعد ذلك شقّ طريقه، والله سبحانه قادر على أن يأمر روحانية رجل صالح لتربية الآخرين.

ومن كبار المشايخ الذين أوصلهم النقشبند، الخواجه يعقوب الجرخي المتوفى في سنة 852 هجرية، وهو واحد من فرسان طريق الهداية والإرشاد، وأوصل مئات من السالكين إلى غاياتهم.

وإن أقوال بهاء الدين النقشبند في الإراشات وأسرار الطريقة وفي الإرشاد تكفي لتوضيح هذه الميادين الصوفية، ومن أراد الاطلاع على الطريقة النقشبندية وكبار مشايخها فعليه مطالعة هذه الكتب:

1 ـ الأنوار القدسية، وهي كلمات بهاء الدين النقشبند، نشرها السيد أحمد طاهر العراقي باللغة الفارسية، وفيها إشارة إلى مراجع أخرى كثيرة.

2 ـ رسائل أخرى للشيخ بهاء الدين النقشبند.

3 ـ مكتوبات الإمام الربّاني، وهو كتاب عظيم.

4 ـ نفحات الأنس للملا جامي.

5 ـ رشحات عين الحياة، فخر الدين علي كاشفي.

6 ـ أنيس الطالبين وعدّة السالكين.

7 ـ الحديقة الندية في آداب الطريقة النقشبندية، محمد بن سليمان البغدادي.

8 ـ حبيب السير.

9 ـ مناهج السير، لأبي الحسن المجددي.

10 ـ المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية.

11 ـ تنوير القلوب في معاملة علّام الغيوب، للشيخ محمد أمين الكردي.

12 ـ الحدائق الوردية في إجلاء النقشبندية، عبد المجيد الخاني.

13 ـ الأنوار القدسية من مناقب السادة النقشبندية، محمد الرخوي، وهو نفس كتاب الحدائق.

14 ـ أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله المبدئ المعيد، والصلاة والسلام على المبعوث نفعاً للعبيد، وبعد:

فقد أوردنا الورد السابق هنا مفرداً، لمن طلب سلوك طريق الهدى، وهو:

بسم الله الرحمٰن الرحيم اللهمَّ أنت الملك الحي القيوم الحق المبين الذي لا إلٰه إلا هو أنت ربي خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك و وعدك ما استطعت.

أعوذ بك من شرِّ ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: الآية 3]، ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: الآية 2].

سبحانك يا عظيم سبحانك يا معظَّم، سبحانك يا مقتدر، سبحانك يا عالم السر والخفيات، سبحانك يا باعث من في الجدالة[1] والمسموكات[2].

سبحانك يا مستعبد جميع الخلائق، سبحانك يا مقدِّر الوجد والصوافق[3]، سبحانك يا من لا تطرأ عليه الآفات، سبحانك يا مكوِّن الأزمنة والأوقات، علا قدرك، وتعاليت عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

سبحانك يا معتق الرقاب، سبحانك يا مسبِّب الأسباب، سبحانك يا حي، يا قيوم لا يموت، سبحانك يا إلٰهي و إلٰه الناسوت[4]، خلقتنا يا ربنا

---

(1) الجدالة: الأرض، أو الأرض ذات الرَّمل الدقيق (المعجم الوسيط).
(2) المسموكات السّبع: السماوات السّبع (المعجم الرائد).
(3) الصوافق جمع صافقة: داهية، مصيبة (المعجم الرائد).
(4) النَّاسوت: الطبيعة البشريَّة، ويقابله: اللاهوت بمعنى الألوهية (المعجم الوسيط).

بيدك، وفضلتنا على كثير من خلقك تفضيلاً، فلك الحمد و النعماء، ولك الطَّوْل[1] والآلاء، يا ربنا تباركت وتعاليت نستغفرك ونتوب إليك.

أنت الأول فلا شيء قبلك، وأنت الآخر فلا شيء بعدك، وأنت الظاهر فلا شيء يشبهك، وأنت الباطن فلا شيء يراك، وأنت الواحد بلا كثير، وأنت القادر بلا وزير، وأنت المدبر بلا مشير.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عِمرَان: الآية 26].

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عِمرَان: الآية 27].

يا رحمٰن في الدنيا، رحيم في الآخرة، سبحانك يا من احتجب في الأولى عن جميع الورى، سبحانك يا من تردى بالوقار والكبرياء، سبحانك يا مالك جميع الأشياء، سبحانك يا من تعزّز بالقدرة وبالعلاء[2]، ويا من يعلم ما في الضواحي والحشا.

ويا من يعلم ما يتلجلج في الصدور والحشا[3]، يا من شرّف العروض[4] على المدن والقرى، يا من يعلم ما تحت الحب والثرى.

سبحانك يا من تعالى ولطف عن أن يرى، تباركت ربنا وتعاليت لا ربّ غيرك ولا قاهر سواك.

اللهمَّ أنت المنعم المتفضل الشكور، وأشهد أنك أنت الله الذي لا إلٰه إلا أنت، أنت ربي وربّ كل شيء فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، العلي الكبير المتعال، طسم طس ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمٰن: الآيتان 19- 20].

---

(1) الطَّول: الفضل والغنى واليسر (المعجم الوسيط).
(2) العلاء: الرفعة والشرف. العُلا: الرفعة والشرف (المعجم الوسيط).
(3) الحشا: ما دون الحجاب مما يلي البطن كله من الكبد والطحال والكرش وما تبع ذلك. ويقال: هو لطيف الحشا: إذا كان أهيف ضامر الخصر (المعجم الوسيط).
(4) العَروض: الطريق في عرض الجبل في مضيق. الناحية (المعجم الوسيط).

التحصين الثاني: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: الآية 255].

التحصين الثالث: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [السجدة: الآيات 1- 3].

يفعل ما يشاء بقدرته، ويحكم ما يريد بعزّته، ولا منازع له في جبروته[1]، ولا شريك له في ملكه، سبحان الله وبحمده لا قوّة إلا بالله، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

اعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، اللهمَّ لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بِمَثُلاتِكَ[2] وعذابك، وعافنا قبل ذلك، سبحان الملك القدُّوس[3].

سبحان ذي العزّة والعظمة والقدرة والقوة والكبرياء والجبروت، سبحان الملك الحق الحي الذي لا ينام ولا يموت، سبُّوح[4] قدُّوس ربنا ورب الملائكة والروح.

اللهمَّ علِّمنا من عِلْمِك، وفهِّمنا عنك، وقلِّدنا بصمصام[5] نصرك، اللهمَّ اجعلني شاكراً لك، ذاكراً لك، راهباً لك مطواعاً لك، واجعلني هيِّناً مُخْبتاً[6] إليك، أوَّاهاً منيباً، اللهمَّ تقبَّل توبتنا، واغسل حوبتنا[7]، وسدِّد مقاولنا،

---

(1) الجبروت: القهر. العظمة والجلال. السلطة. القدرة (المعجم الرائد).
(2) المُثْلَة: العقوبة والتنكيل، والجمع مثلات (المعجم الوسيط).
(3) القُدُّوس: الطاهر المنزَّه عن النقائص، وهو من صفات الله تعالى (المعجم الوسيط).
(4) السُّبوح: من صفات الله تعالى: وهو الذي تنزَّه عن كل سوء (المعجم الوسيط).
(5) الصَّمصام: السَّيف الصارم لا ينثني (المعجم الوسيط).
(6) أخبت الشخص له: خضع وخشع وتواضع له. اطمأنّ وسكن (معجم اللغة العربية المعاصر).
(7) الحوبة: الإثم.

واسلل سخيمة[1] صدورنا، وأذهب الدخل[2] والران والأجبنة من قلوبنا.

اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من جُداع[3] الفجأة، ومن حراق المأروشة، ومن الإلحاد والغرّة، ومن الجَمّ[4] والعنت[5]، ومن الأمور المُطَمِّرات.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما يهوِّن علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منّا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا يا أرحم الراحمين.

اللهمَّ إنا نسألك رحمة من عندك تهدىء بها روعنا، وتلم بها شعثنا[6]، وتجمع بها شملنا، وتشفي بها مرضانا، وتزكي بها أعمالنا وأقوالنا، وتلهمنا بها رشدنا.

اللهمَّ إنَّا نسألك بصمدانيتك وبوحدانيتك وبعزتك الباهرة وبرحمتك الواسعة أن تجعل لنا نوراً في مسامعنا، ونوراً في أعيننا، ونوراً في أحداقنا، ونوراً في قلوبنا، ونوراً في حواسنا، ونوراً في نسمنا، ونوراً من بين أيدينا.

اللهمَّ زدنا علماً ونوراً وحلماً، وآتنا نعمة ظاهرة ونعمة باطنة.

التحصين الرابع: حسبنا الله لديننا، حسبنا الله لدنيانا، حسبنا الله الكريم لما أهمَّنا، حسبنا الله الحليم القوي لمن بغى علينا، حسبنا الله الرحيم عند السام، حسبنا الله الرؤوف عند المسألة في الجدث.

التحصين الخامس: حسبي الله لا إلٰه إلا هو، عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم، مرحباً مرحباً بالصباح واليوم الجديدين، أو بالمساء والليل

(1) السَّخيمة: الحقد والضغينة (المعجم الوسيط).
(2) الدَّخل: الفساد. الداء. الريبة. العيب (المعجم الوسيط).
(3) جداع: موت. وَخْم جداع من العشب الثقيل الرديء (المعجم الرائد).
(4) الجمّ: الكثير من كل شيء. الجمّ من الشيء معظمه (المعجم الوسيط).
(5) العنت: الخطأ. المكابرة عناداً. الخطأ (المعجم الوسيط).
(6) الشَّعث: ما تفرّق من الأمور. ويقال: لَمَّ الله شَعَثَهُ (المعجم الوسيط).

الجديدين، وبالإبان والفئة السعيدين، وبالسافر[1] الشهيد، اكتب لنا ما نقول.

بسم الله الحميد الرفيع الودود المحيط الفعّال في خلقه لما يريد، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد.

أصبحت بالله مؤمناً، وبلقائه مصدقاً، وبحجته معترفاً، ولسوى الله في الألوهية جاحِداً، وعلى الله متوكلاً. نشهد الله ونشهد ملائكته وأنبياءه وحملة عرشه وجميع خلقه، بأنه هو الله لا إلٰه إلا هو وحده لا شريك له، وبأنّ محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأنَّ الحوض حقّ، وأنَّ الشفاعة حق، وأنَّ السؤال حقّ، وأن منكراً ونكيراً حق، وأنَّ وعدك حق، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث مَن في القبور، على ذلك نحيا وعليه نموت وعليه نُبعث غداً، ولا نرى عذاباً إن شاء الله تعالى.

اللهمَّ إنَّا ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا أوزارنا الكبائر واللَّمم، فإنه لا يغفرها إلا أنت، واهدنا لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله بيديك نستغفرك ونتوب إليك.

آمنا وصدّقنا اللهمَّ بما أرسلت من رسول، وآمنا وصدّقنا اللهمَّ بما أنزلت من كتاب، اللهمَّ املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك حبوراً، اللهمَّ اجعلني لهوماً[2] ظلفاً[3] ولا تجعلني ضنيناً وعميناً[4] ونميماً[5] ونفاجاً[6] وحاسداً.

اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من الهبرمة، ومن الجأوة، ومن العتوّ، ومن الخطربة والخيلولة، والفيهج والرثغ والعتل والرماء، والفتنة الدهماء، والمعيشة الضنكى.

اللهمَّ اجعل أول يومنا هذا صلاحاً، وأوسطه فلاحاً، وآخره نجاحاً زهادة

---

(1) السافر: المَلَك الذي ينزل في النهار لحفظ العبد من آفاته، وفي الليل لحفظه من طوارقه.

(2) اللَّهوم: الأكول. كثير الأكل (المعجم الرائد).

(3) ظلفت نفسه عن الأمر: كفّت وامتنعت. ظلفت معيشته: اشتدّت وخشنت (المعجم الرائد).

(4) قوماً عمين: عمي القلوب عن الحق والإيمان (معجم كلمات القرآن).

(5) النميم: الصوت الخفيّ. الوشاية (المعجم الوسيط).

(6) النَّفاج: المتكبِّر. الذي يفخر بما ليس عنده (المعجم الوسيط).

وآخره تكرمة، اللهمَّ ارزقنا من العيش أرغده، ومن العمر أسعده، ومن الرزق أوسعه وأنفعه.

اللهم اعف عنا بعفوك، واحلم علينا بفضلك، سبحانك اللهم وبحمدك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، عزّ جارك وجّل ثناؤك، ولا يهزم جندك، ولا يخلف وعدك، ولا إلٰه غيرك، سبحانك ما عبدناك حق عبادتك يا معبود، سبحانك ما عرفناك حق معرفتك يا معروف، سبحانك ما ذكرناك حق ذكرك يا مذكور، سبحانك ما شكرناك حق شكرك يا مشكور.

اللهمَّ أوزعنا شكر ما أنعمت به علينا، فإنك أنت الله الذي ارتفعت عن صفة الجبل صفات قدرتك، ولا ضدّ شهدك حين فطرت المأروشات، ولا ندّ حجزك حين برأت الحوباوات.

اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من حجمة لا تدمع، ومن جنان لا يخشع، ومن علم لا ينفع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع، ومن عواز الماعون[1].

اللهمَّ فهِّمنا أسرارك، وألبسنا ملابس أنوارك، واغمسنا في راموز[2] اللطائف، وأفض علينا من عوارف المعارف، يا نور الأنوار، يا لطيف يا ستار، نسألك أن تصلي على سيِّدنا محمَّد، نبراس[3] الأنبياء، وخير الأولياء، وزبرقان[4] الأصفياء، ويوح[5] الثقلين، وضياء الخافقين، وأن ترفع وجودنا إلى ذلك العرفان، وتثبت شهودنا في مقام الإحسان.

التحصين السادس: يا الله يا نور، يا واسع يا غفور، يا من السماء بأمره مبنية، والغبراء بقدرته مدحية، والشواهق بحكمته مرسية، وأنوار القمرين بفضله مضيئة، نسألك باسمك الذي ترقرقت به الخنس والأزهران، وتبلجت منه العنان

---

(1) الماعون: اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والقصعة ونحو ذلك مما جرت العادة بإعارته. والماعون: الماء. والمعروف. والزكاة (المعجم الوسيط).

(2) الرَّاموز: البحر. النموذج والأصل (المعجم الوسيط).

(3) النبراس: مصباح. سِنان الرمح. شجاع. جسور. أسد (المعجم الرائد).

(4) زبرقان: القمر ليلة تمامه. زبرقان من الشيء: بريقه. الخفيف اللحيّة (المعجم الوسيط).

(5) يوح: اسم من أسماء الشمس (المعجم الوسيط).

حرزاً مانعاً، ونوراً ساطعاً خاشعاً ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النُّور: الآية 43].

التحصين السابع: طس طسم، ونعوذ بالله العظيم من المعازف والعضه والمحظور والمماحلة والغمار، ومن كيد الفجار، وحوادث العصرين، ومن شرّ الأجرين، يا حفيظ احفظنا، يا وليّ يا علي يا عالي يا من لا إله إلا هو، لا يعلم أحد كيف هو إلا هو، يا الله يا حي يا قيوم، يا حق، يا وكيل، يا واحد، يا أحد، يا فرد، يا صمد، يا وهاب، يا فتّاح، يا محيي، يا مميت، يا قهار.

التحصين الثامن: يا ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: الآية 58].

التحصين التاسع: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البَقَرَة: الآية 137].

التحصين العاشر: هو الله الذي لا إلاه إلا هو الرحمٰن الرحيم الملك القدُّوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبَّار، المتكبِّر، الخالق، البارىء، المصوِّر، الغفَّار، القهَّار، الوهاب، الرزاق، الفتَّاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعزّ، المذلّ، السميع، البصير، الحَكَم، العَدْل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدىء، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البرّ، التوَّاب، المنتقم، العفوّ، الرؤف، مالك المُلك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضارّ، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور، الذي ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير، نِعم المولى ونِعم النصير، غفرانك ربنا وإليك المصير.

يا دائماً بلا فناء، ويا باقياً بلا زوال، ويا مدبراً بلا وزير سَهِّل علينا وعلى أبوينا كل عسير، اللهمَّ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا رادَّ لما قضيت، ولا مبدّل لما حكمت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضلّ لما هديت، ولا ميسر لما عسرت ولا ينفع ذا الجد منك الجدّ.

سبحان ربي العظيم، الحسيب، الحكم، العدل، الرقيب، الباذخ، الشامخ، المجيب، الغني، الرشيد، الصبور، الجليل، المقسط، المعطي، المانع، لا إله إلا الله الوكيل الشهيد، لا إله إلا الله المتين المجيد، لا إله إلا الله الواحد الواجد الوالي، لا إله إلا الله الماجد المتعالي.

التحصين الحادي عشر: أعددنا لكل هول لا إله إلا الله ولكل رغس[1] الحمد لله، ولكل أعجوبة سبحان الله، ولكل لزن[2] حسبي الله، ولكل شجو[3] ما شاء الله، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله، ولكل مصيبة إنا لله، ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله، ولكل شجب[4] استعنت بالله، اللهمَّ إنَّا أصبحنا نشهدك ونشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك بأنَّا نشهد أنك أنت الله وحدك لا شريك لك وأنَّ محمداً عبدك ورسولك.

التحصين الثاني عشر: ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يا رحمٰن الدنيا ورحيم الآخرة، فاعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا، وأنت أرحم الراحمين.

التحصين الثالث عشر: بسم الله الشافي هو الله بسم الله الكافي هو الله، بسم الله المعافي هو الله، بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

التحصين الرابع عشر: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: الآية 64]، **يا محيي أحيني حياة طيبة بالصحة والعافية في الدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير.**

التحصين الخامس عشر: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البُرُوج: الآية 20]، ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [البُرُوج: الآيتان 21- 22]، ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية 238].

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ [الطّارق: الآية 4]، **نعم الحافظ الله، يا حفيظ احفظنا.**

---

(1) الرَّغَس: النماء والخير والبركة. والجمع أرغاس (المعجم الوسيط).

(2) اللَّزَن: الشدّة والضيق. يقال: أصابهم لزن من العيش. وماء لزن: قليل. ومنهل لزن: مزدحم عليه.

(3) الشَّجْو: الهمُّ والحزن. والشَّجو: الحاجة. ويقال: بكى فلان شجوه (المعجم الوسيط).

(4) الشَّجْبُ: الحاجة والهمّ. والجمع: شجوب. العَنَتُ يصيب الإنسان من مرض أو نحوه. شَجَبَ فلانٌ: هلك. وشَجَبَ فلاناً: أحزنه. (المعجم الوسيط).

التحصين السادس عشر: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: الآية 154].

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: الآيتان 16- 17].

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عِمرَان: الآيتان 18- 19].

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: الآيتان 17- 18].

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: الآية 19].

التحصين السابع عشر: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هُود: الآية 56].

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: الآية 12].

(﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبَة: الآية 51].

(﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هُود: الآية 6].

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العَنكبوت: الآية 60].

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فَاطِر: الآية 2].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ

مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزُّمَر: الآية 38].

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران: الآية 126].

التحصين الثامن عشر: كهيعص حمعسق اكفنا وارحمنا.

التحصين التاسع عشر: هو الله القادر القاهر الظاهر الباطن الفاطر، اللطيف الخبير، قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير.

التحصين العشرون: تحصنت بالقوي المتين اللطيف الكافي الحفيظ الحيّ القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الحنان المنان يا بديع السماوات والأرض، يا حيّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، نسألك بعِظم اللاهوتية أن تنقل طباعنا من الطباع البشرية، وأن ترفع مهجتنا مع ملائكتك العلوية.

التحصين الحادي والعشرون: يا محول الحول والأحوال حوِّل حالنا إلى أحسن حال، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

* * *

صلاة منجية في الحياة وبعد الممات

اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمد السابق إلى الأنام نوره، الرحمة للعالمين ظهوره، عدد من مضى من البرية، ومن بقي ومن سعد منهم، ومن شقي صلاة تستغرق العدّ، وتحيط بالحدّ، صلاة لا غاية لها ولا انتهاء ولا أمد لها، صلاتك التي صلّيت عليه صلاة دائمة وعلى آله وأسرته وسلِّم تسليماً مثل ذلك، والحمد لله ربّ العالمين ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: الآيات 180 - 182].

تمّ الورد بحمد الله وعونه

الفيوضات الإحسانية شرح الأوراد البهائيّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أورد أولياءه أعذب الموارد، وفتح لأحبابه طرق الوسائل ليوصلهم إلى المقاصد، وبسط لأهل خدمته كرامةً لهم أشهى الموائد، وجعلهم نجوم هدى يهتدي بهم كل تائه وشارد، وبحار فضل يرتوي منها كل وارد، فمن اقتدى بهم اهتدى، ومن حاد عن طريقهم انتكس وتردى، ومن تمسك بأذيالهم نجا وأفلح وسلك، ومن قابلهم بالاعتراض والانتقاد انقطع وخاب وخسر وهلك.

أحمده سبحانه حمد مَن علم أنه لا ملجأ منه تعالى إلا إليه، وأشكره شكر مَن تحقق أنَّ خير الدنيا والآخرة بيديه، وأستعينه في جميع الأمور فإنه لا يعوّل في المهمات إلا عليه، وأستغفره من جميع الذنوب هارباً منها إليه، وأستجيره فإنه المجير لمن حط رحال آماله لديه.

وأشهد أنَّ لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، إنه ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النَّمل: الآية 62] ويقضي الحوائج ولا يخيب من ناداه، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله أوجه الشفعاء، وأقرب الوسائل، وبه تنال الدرجات العلى وتُدرك الفضائل، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه الكرام الأفاضل، صلاةً وسلاماً دائمين ما تعلق بالله أمل آمل.

(أما بعد) فيقول العبد المفتقر إلى رحمة وعَفْوِ ربّه، الساتر الغفور الودود

المتعالي، عبد القادر بن محمد أبي النور بن محمد أبي السعود الكيالي:

(إن أحباب الله) هم أجلّ نعمة لله تعالى في الكون، وبجاههم يلتمس الراجون من الله العناية والعون، طريقهم أقرب الطرائق إلى الله وأعلاها، ومنهلهم أعذب المناهل وأرواها، ومشربهم أحلى المشارب وأصفاها، لا سيما منهم السادة النقشبنديَّة، أولي الواردات الربانية، والنفحات الإحسانية، نفوسهم في منازل الخدمة سائرة، وأرواحهم في حضرات القرب طائرة، أفيض عليهم من أنوار التجلي الأقدس فغابوا، وذاقوا من صافي خمرة المحبة فذابوا، تراهم صاحين وهم مهيمون، وتظنهم ضاحكين وهم متيمون، منهم من غاب عن حسّه، ومنهم من فنى عن رؤية نفسه، وجودهم في الأرض من أعظم النِّعم، حيث بهم تستكشف البليات والنقم، فلولا وجودهم ارتفعت الأمطار، ولولا ركوعهم وسجودهم تعطلت الزروع والثمار، هم عباد الرحمٰن الذين ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفُرقان: الآية 63]، يمرون باللَّغو كراماً، ويبيتون لربّهم سجداً وقياماً، من سلك طريقهم هدي إلى الصراط المستقيم، ومن دخل في زمرتهم نجا من نار الجحيم.

(ولما كان) فضل هؤلاء القوم لا يحصر، ومناقبهم وكراماتهم لا تستقصى، وكان شيخ هذه الطريقة السنيَّة النقشبندية، مولانا الخوجكان بهاء الدين صاحب السيرة المرضية، قدّس الله روحه، ونوَّر مرقده وضريحه، قد وضع للمريدين أوراداً ليشغلهم بالله عمن سواه، ويستنقذهم بها من مداحض الزلل والتلاه، ومن جملة أوراده الورد الكبير البهائي، كي يقرأ صباحاً ومساءً تقريباً للمريد بعد التنائي، **(التمس مني)** من وجبت عليَّ طاعته، ولا تسعني مخالفته، مفتي مدينة أنطاكية، ذو النفس الشريفة الأبية، من اسمه كخلقه وخلقه حسن، فريد المزايا والشيم، وحيد العصر والزمن، أدام الله به النفع للمسلمين، ونوَّر قلبه بنور المعرفة واليقين، وجعل الخير والمدد في ذريته إلى يوم الدين، وسلك به منهاج الصالحين، أن أشرح له الورد البهائي، شرحاً لطيفاً يحلُّ ألفاظه ويبين معانيه، ويكشف رموزه ويضبط مبانيه، فأجبته إلى سؤاله وإن لم أكن من أهل هذا الديوان، ولا من فرسان ذلك الميدان، ولكن

امتثالاً لقوله، ومبادرة إلى إجابة سؤله، بادرت ذلك وشرعت في وضع شرح على الورد المذكور، معتمداً على الله في تيسير المعسور. وسميته «**الفيوضات الإحسانية، شرح الأوراد البهائية**».

والله الكريم أسأل، وبجاه خير خلقه أتوسل، أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وسبباً للفوز بجنات النعيم، وأعوذ بالله العظيم من شر حسود متعسف، ومتعصب غير منصف، ينظره بعين الاحتقار، ويبادر بالانتقاد والإنكار، وأرجو ممن يطلع عليه بعين الإنصاف، أن يقبل مني الاعتذار، فإنَّ الإنسان محل النسيان، فقد تهفو الأمجاد، وقد يكبو الجواد، والمحب يمدح، والعدو يقدح، اللهمَّ لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحَزْن إذا شئت سهلاً ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البَقَرَة: الآية 32] .

* * *

مقدّمة

تشتمل على فصلين:

الفصل الأول: في الترغيب في الدعاء وذكر شروطه وآدابه

(اعلم) إنَّ من أراد فتح الباب، احتاج إلى قرعه بالآداب، ومن الجهل والدسائس الشيطانية أن يقول الإنسان: لا حاجة إلى الدعاء، لأنه تعالى غني عن أن يرفع إليه العبد حوائجه لعلمه بما في نفس العبد أظهره أو أضمره، والمكتوب للعبد واصل إليه لا محالة، فلا فائدة في الدعاء. وغاب عن هذا الجاهل أن الله تعالى تعبَّد خلقه بأنواع من الطاعات، ومن جملة ما تعبَّدهم به الدعاء، كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: الآية 60]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: الآية 186].

على أنه ورد: «**أنَّ الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**» (رواه الحاكم عن ابن عمر وصححه)[1]. وورد: «**الدعاء جند من أجناد الله يردّ القضاء بعد أن يبرم**»[2] أي بعد أن يحكم. (رواه ابن عساكر عن نمير بن

---

(1) كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذِكر، حديث رقم (1815) [1/ 670] ورواه الترمذي في سننه، باب في دعاء النبي ﷺ، حديث رقم (3548) [5/ 552] ورواه غيرهما.

(2) انظر تاريخ مدينة دمشق، ذكر من اسمه سلمة [22/ 158] وأخرجه ابن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة، النون بعدها الميم، برقم (8911) [6/ 511].

أوس مرسلاً). وورد: «**الدعاء يردّ البلاء**»[1] (رواه أبو الشيخ في «الثواب» عن أبي هريرة).

قال الإمام حجة الإسلام الغزالي: من القضاء ردّ البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لردّ البلاء ووجود الرحمة كما أن الترس سبب لدفع البلاء. قال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النِّساء: الآية 102]، فالله سبحانه وتعالى يرزق الداعي الصبر والتحمل للقضاء النازل ويردّ به القضاء غير النازل. فالزموا يا عباد الله الدعاء وحافظوا عليه.

قال المناوي في شرحه الكبير: وخصّ عباد الله بالذكر تحريضاً على الدعاء، وأشار إلى أنَّ الدعاء هو العبادة، فالزموا واجتهدوا وألحُّوا فيه وداوموا عليه لأن به يحاز الثواب ويحصل ما هو الصواب، وكفى بك شرفاً أن تدعو فيجيبك ويختار لك ما هو الأصلح في العاجل والآجل، انتهى.

فالله سبحانه وتعالى يسهِّل البلاء من حيث تضمنه للصبر على القضاء والرضى به والرجوع إلى الله تعالى، فكأنه ردّ بالدعاء القضاء المبرم، أي المحكم، والشارع ﷺ أخبر بأن الدعاء يردّ البلاء، وهو لا يتعلق عن الهوى إذ لولا إرادة الله تعالى ردّ ذلك المدعو برفعه لما فتح للعبد باب الدعاء، قال تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يُونس: الآية 98] أي أبقيناهم أحياء إلى يوم القيامة، كالخضر، فكان إيمانهم وتضرُّعهم سبباً لدفع العذاب عنهم وطول حياتهم، ممتعين بقوتهم وحواسِّهم، ومن ذلك قول بعض الصحابة لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومات من الطعنة: لو دعا الله عمر لأخر في أجله.

(حكاية) قال التُّوْرِبِشْتِي[2] رحمه الله: رأى العارف عبد القادر الكيلاني

---

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال برقم (3121) [2/ 28] وأورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (1297) وقال: رواه الطبراني وأبو الشيخ عن أبي هريرة وابن عباس مرفوعاً، ورواه الديلمي عنه بلفظ: الدعاء يردّ القضاء.

(2) التُّوْرِبِشْتِي: قال الحافظ ابن حجر: وسألتم ـ رضي الله عنكم ـ عن ترجمة (التوربشتي) «شارح المصابيح» وهو فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف، فلم أقف من خبره =

قدّس الله سرّه في اللوح المحفوظ أن تلميذاً له لا بدّ أن يزني بسبعين امرأة، فقال: يا ربّ اجعلها في النوم، فكان كذلك. وورد: «**الدعاء يردّ القضاء وإن البر يزيد في الرزق**»[1].

(قال) العلامة المناوي رحمه الله في «شرحه الكبير»: وفي تأويله وجهان، **الأول**: أن يرد بالقضاء ما يخافه العبد من نزول المكروه، فإذا وفق للدعاء دفع الله عنه فتكون تسميته بالقضاء مجازاً. ويوضحه قول المصطفى ﷺ في الرقية: «**هي من قدر الله تعالى**»[2]. فقد أمر الله بالدعاء والتداوي مع علم الخلق بأن المقدور كائن. **الوجه الثاني**: أن يراد بالقضاء الحقيقة، فيكون معنى رد الدعاء القضاء تهوينه حتى يكون القضاء النازل كأنه لم ينزل. وورد: «**الدعاء مفتاح الرحمة**»[3]، «**الدعاء سلاح المؤمن**»[4].

(قال) المناوي رحمه الله: وللدعاء مع البلاء ثلاث مقامات: أن يكون الدعاء أقوى من البلاء فيدفعه، أو يكون أضعف منه فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد لكن قد يخففه أو يتقاوما فيمنع كل منهما صاحبه.

(تنبيه) قال الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى: قيل لإبراهيم

= على كبير أمر، إلا أني قد رأيت له ترجمة في «الطبقات الكبرى» للقاضي تاج الدين السبكي، ولم يفصح فيه بشيء.
وحاصله: أنه كان في حدود الخمسين وستمائة، وذكر لي القاضي علاء الدين بن خطيب الناصرية قاضي حلب ـ منكراً على التاج إيراده في «طبقات الشافعية» ـ أنه وقف في أثناء شرحه على ما يدل أنه (حنفي المذهب) فالله أعلم. اهـ.
«الأسئلة الفائقة بالأجوبة اللائقة» (ص 61)، «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» (2/ 913).
المصدر: http//majles.alukah.net/t97604/#ixzz2lwFwTzjd.

(1) رواه الحاكم في المستدرك، ذكر مناقب ثوبان مولى رسول الله ﷺ رضي الله عنه، حديث رقم (6038) [3/ 548].
(2) رواه الجزري في أسد الغابة، باب السين والعين، برقم (2042) [2/ 447] ابن الأثير.
(3) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب عن ابن عباس برقم (3086) [2/ 224].
(4) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء. . .، حديث رقم (1812) [1/ 669] ورواه أبو يعلى في المسند، عن علي بن أبي طالب، حديث رقم (439) [1/ 344] ورواه غيرهما.

ابن أدهم رضي الله عنه: ما بالنا ندعوا فلا يُستجاب لنا وقد قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافر: الآية 60]؟ قال: لأن قلوبكم ميتة، قيل: وما الذي أماتها؟ قال: ثماني خصال: عرفتم الله فلم تقوموا به، وقرأتم القرآن فلم تعملوا بحدوده، وقلتم نحب رسول الله ﷺ وتركتم سنَّته، وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له، وقد قال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [فَاطِر: الآية 6] فواطأتموه على المعاصي، وقلتم نخاف النار فأرهقتم أبدانكم فيها، وقلتم: نحب الجنة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فرشكم رميتم بعيوبكم وراء ظهوركم وقدَّمتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم، فكيف يستجيب لكم اهـ. (ذكره المناوي في شرحه الكبير).

(وقد وقع) الوعد الصادق من الله تعالى بإجابة دعاء عبده والله لا يخاف الميعاد. **(وفي الحديث)**: «**إن الله حييّ كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردّهما صفراً خائبتين**» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن سلمان[1].

(قال المناوي) رحمه الله تعالى: حييّ بفتح الحاء المهملة وكسر الياء الأولى أي وبالتنوين ومعناه كثير الحياء من عبده إذا مدّ يديه إليه بالدعاء أن يخيبه من عطائه لكرمه تعالى، فإنه كريم جواد لا ينفد عطاؤه. انتهى.

(وقال) العزيري في شرح «الجامع الصغير»[2]: صفراً بكسر الصاد المهملة وسكون الفاء وراء مهملة اهـ أي خاليتين من العطاء.

(قال المناوي): فإذا رفع عبده يديه متذلِّلاً مفتقراً حاضر القلب موقناً بالإجابة حلال المطعم والمشرب فإن الله يكره حرمانه وإن لم يستوجب المسؤول، وقد يعطي الله الكافر لشدة كرمه تعالى. وقوله: حلال المطعم والمشرب، هذا شرط للإجابة فأنى يستجاب له ومطعمه حرام ومشربه حرام.

(وروى) الطبراني عن سلمان أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما رفع قوم**

---

(1) ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب رفع اليدين في القنوت، حديث رقم (2965) [2/ 211] ورواه الترمذي في السنن، باب 5، حديث رقم (3556) [5/ 556].

(2) السراج المنير شرح الجامع الصغير للشيخ علي بن أحمد بن نور الدين العزيزي.

أكفهم إلى الله تعالى يسألونه شيئاً إلا كان حقاً على الله أن يضع في أيديهم ما سألوا»[1] أي وهو كناية عن استجابة الله لهم.

(وروى) أحمد والترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل وكفّ عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**»[2].

(قال) المناوي في «شرحه الصغير»: فكل داعٍ يستجاب له لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعى، وتارة يعوضه على حسب المصلحة.

* * *

شروط الدعاء

(وأما شروط الدعاء) فها أنا أذكرها لك متضمنة للآداب.

(اعلم) أن من أراد أن يرمي بسهم ويصيب ولا يخطىء سهمه فإنه يحتاج أولاً إلى تقويم السهم كي لا يخطىء المرمى، فكذلك إجابة الدعاء واستجابة النداء في الشدّة والرخاء متوقفة على اتصاف الداعي بعدة أشياء حتى يكون دعاؤه مرتفعاً إلى قبل السماء.

(الأول) أن يستقبل القبلة حال الدعاء لأنها أشرف الجهات. **(قال الغزالي)** رحمه الله: الجهات الأربع قد خصّ منها جهة القبلة بالتشريف، فالعبد له أن يستقبلها في الذكر والعبادة والوضوء وينحرف عنها حال قضاء الحاجة وكشف العورة إظهاراً لفضل ما ظهر فضله، فاستقبال القبلة في الأحوال كلها مطلوب لكن في الصلاة واجب وخارج الصلاة مندوب إلا حال قضاء الحاجة كما علمت. **(قال)** الحليمي: وإذا ندب استقبال القبلة في كل مجلس فاستقبالها حال الدعاء أحق وآكد.

---

(1) رواه الطبراني في الكبير عن سعيد الحريري عن أبي عثمان عن سلمان، حديث رقم (6142) [6/ 254].

(2) رواه الترمذي، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، حديث رقم (3381) [5/ 462] ورواه أحمد في المسند عن عبادة بن الصامت، حديث رقم (22837) [5/ 329].

(الثاني) أن يجلس الداعي على ركبته ويكثر من قول: يا ربّ يا ربّ. لما رواه أبو عوانة والبغوي وكذا الطبراني من حديث عامر بن خارجة بن سعد عن أبيه عن جدّه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجثوا على الركب ثم قولوا: يا رب يا رب**»[1] أي اجلسوا وابركوا معتمدين على الركب بين يدي الله تعالى عند إرادة الدعاء لأنه أبلغ في الأدب وأقرب إلى التواضع، وهي جلسة العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، فهو نهي عن التربع حال الدعاء لما فيه من التمكن في الجلوس الذي هو شأن المتكبرين. والمعنى اجلسوا على الركب عند دعائكم قائلين حالتئذٍ: يا رب أعطنا، يا رب أعطنا، أي كرِّروا ذلك كثيراً فإن العبد إذا قال ذلك قال الله: لبيك عبدي سلْ تعط[2]. هكذا رواه ابن أبي الدنيا عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً.

(الثالث) أن يكون الداعي على طهارة كاملة حال الدعاء.

(الرابع) أن يرفع يديه إلى المنكبين بحيث يرى بياض إبطيه لو كانتا مكشوفتين اقتداء برسول الله ﷺ فإنه صحَّ عنه فعل ذلك، ويجعل باطن كفّيه مما يلي وجهه إشارة إلى أنه تعالى يداه مبسوطتان بالعطاء يجود على مَن سأله، وهذا عند الدعاء بالتحصيل، فإن دعا بالدفع كدفع الوباء والقحط فإنه يقلب كفيه ويجعل بطونهما إلى الأرض.

(الخامس) أن يكون الداعي جائعاً، قال عبد الله بن عطية الداراني: إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا أو الآخرة فلا تأكل شيئاً حتى تقضيها فإن الأكل يغيِّر العقل. كذا في منهاج العابدين.

(والسادس) أن يتوب ويردّ المظالم ومع ذلك يعترف بذنبه ويقر بتقصيره. كذا في «سلاح المؤمن».

(والسابع) أن يبدأ الداعي بالبسملة والحمدلة والثناء على الله تعالى

---

(1) مسند أبي عوانة، زيادات في الاستسقاء...، حديث رقم (2530) [2/ 124] والمعجم الأوسط، مَن اسمه محمد، حديث رقم (5981) [6/ 120].

(2) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، برقم (3132) [2/ 29] وعزاه إلى أبي الدنيا في الدعاء عن عائشة.

وبالصلاة والسلام على النبيّ ﷺ، وكذا يختم بها. كذا في «الحصن الحصين» لأن الصلاة على النبيّ ﷺ مقبولة والله تعالى أكرم من أن يقبل الصلاة في أول الدعاء وآخره ويردّ ما بينهما.

(والثامن) أن لا يكون المسؤول محالاً، فإن الله لا يجيب من طلب شيئاً مستحيلاً لأن الإجابة متعلقة بالممكنات والجائزات.

(والتاسع) أن يجتنب المحرم في الظاهر والباطن، فإن الله لا يستجيب دعاء من تغذّى بالحرام. كذا في «الإحياء» وقد مرّ هذا.

(والعاشر) أن لا يكون في دعائه إثم ولا قطيعة رحم كما تقدّم في الحديث. كذا في «تلخيص الأدلة».

(والحادي عشر) أن لا يسأل شيئاً بلا مباشرة الأسباب، كذا في الشرعة، أي من غير أن يتعاطى أسباب الإجابة من فعل المأمورات وترك المعاصي والمنهيات، فإن إجابة الله للعبد على مقدار إجابة العبد لله تعالى كما قال تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ [البَقَرَة: الآية 186] يعني إذا دعوتهم إلى الإيمان والطاعة يمتثلون أوامري كما أتى: «**أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم**»[1] فالإجابة من العبد الطاعة ومن الله الإنالة والعطاء. كذا في «حاشية الجمل على الجلالين» نقلاً عن تفسير الخازن.

(والثاني عشر) أن يكون الدعاء بحضور قلب. كذا في «الدر النظيم».

(والثالث عشر) أن يكون الدعاء بالإشارة من القلب. كذا في «القشيري» وهذا قريب مما قبله.

(والرابع عشر) أن يجد في الطلب ويلحّ فيه إلى سبعة مجالس فإن الله يحب من عبده الإلحاح عليه في السؤال ويكره إذا رآه ملحاً على غيره. قال المناوي رحمه الله تعالى: والجد في الدعاء من أعظم آدابه.

(والخامس عشر) أن يعزم في المسألة ولا يخيِّر ربه ولا يسأل حاجته

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

بالاستثناء كأن يقول: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، فإنه منهي عنه.

(والسادس عشر) أن يجزم بالإجابة ولا يشك فيها، لقوله ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ**»[1].

قال المناوي في «شرحه الكبير»: وفي هذا الحديث ردّ على من كره الدعاء من الصوفية وقال: الأولى السكوت والرضى والجمود تحت جريان الحكم والقضاء. وهذا الحديث نص في رده والذي عليه جمهور الطوائف أن الدعاء أفضل مطلقاً لكن بشرط رعاية الأدب والجد في الطلب والعزم على المسألة والجزم بالإجابة كما تقدم، لأن الداعي إذا لم يكن جازماً لم يكن رجاؤه صادقاً، وإذا لم يصدق الرجاء لم يخلص الدعاء، إذ الرجاء هو الباعث على الطلب ولا يتحقق الفرع بدون تحقق الأصل، ولأن الداعي إذا لم يدع ربه على يقين أنه يجيبه فعدم إجابته إما لعجزه أو بخله أو عدم علمه بالابتهال، وكل ذلك على الحق تعالى محال. وفي الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي**»[2].

(والسابع عشر) أن يخفض صوته بالدعاء ويمسح وجهه عقب فراغه لقوله ﷺ: «**فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم**»[3] وفيه تيمُّن وتفاؤل، كأنه يشير إلى أنّ كفيه كانتا مملوءتين من البركات السماوية فهو يقبض منها إلى وجهه الذي هو أولى الأعضاء بالكرامة.

(والثامن عشر) أن لا يستبطىء الإجابة ويقول: دعوت الله كثيراً فلم يجبني، ولا يملّ، أي لا يكلّ من الدعاء، فإن من العباد من يؤخِّر الله عنه الإجابة ليسمع تضرُّعه.

---

(1) هذا الأثر سبق تخريجه.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب ما يذكر في الذات والنعوت...، حديث رقم (6970) [6/ 2694]، ورواه مسلم في صحيحه، باب الحثّ على ذكر الله، حديث رقم (2675) [4/ 2061] ورواه غيرهما.

(3) رواه أبو داود، باب الدعاء، حديث رقم (1485) [2/ 78] ورواه البيهقي في السنن الكبرى، حديث رقم (2969) [2/ 212] ونصه: «سلوا الله عزَّ وجلَّ ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم».

(والتاسع عشر) أن يجتنب السجع في الدعاء والتنغيم. **(قال)** الكمال ابن الهمام: ما تعارفه الناس في هذا الزمان من التمطيط والمبالغة في الصياح والاشتغال بتحريرات النظم إظهاراً للصناعة النغمية لا إقامة للعبودية فإنه لا يقتضي الإجابة بل هو من مقتضيات الردّ، وهذا معلوم إن كان قصده إعجاب الناس به فكأنه قال: اعجبوا من حسن صوتي وتحريري للأنغام.

(والعشرون) أن يدعو بما ورد في السنَّة ولا يدعو بدعاء مخترَع إلا إذا لم يحفظ شيئاً من الأدعية الواردة في السنَّة، وذلك لأن لفظ الشارع ﷺ أتم وأكمل ويكون الشخص بذلك متبعاً لا مبتدعاً. **(وقال)** سيدي علي الخواص قدّس الله روحه: مَن دعا الحق تعالى بدعاء شرعه أجابه بسرعة ومن دعاه بدعاء مخترع لا يجيبه الله إلا إذا كان مضطرّاً.

(الحادي والعشرون) أن يؤخر الدعاء بحوائجه المهمة إلى أوقات الإجابة كحال السجود وبين الأذان والإقامة، وأوقات التجلي الإلٰهي في الثلث الأخير من الليل لكون الله استدعى منا الدعاء في هذه الأوقات وما طلب منا ذلك إلا وقد أراد إجابتنا وقضاء حوائجنا فله الفضل والثناء الحسن الجميل.

(تنبيه) أخرج ابن ماجه والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الدعاء دعاء المرء لنفسه**»[1].

(قال) العلامة المناوي رحمه الله في «شرحه الكبير»: أي لأنها أقرب جار إليه والأقرب أحق بالرعاية فيكون القيام بذلك أفضل، أي لقوله ﷺ: «**ابدأ بنفسك فتصدق عليها**»[2]. ولأن الداعي لغيره يحصل في نفسه افتقار غيره إليه ويذهل عن افتقاره، والأفضل أن يكثر الإنسان في دعائه من سؤال العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة.

---

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، الفصل الثاني في آداب الدعاء، حديث رقم (3190) [2/ 33] وأورده المناوي في فيض القدير، حرف الهمزة [2/ 32].

(2) رواه مسلم في صحيحه، باب الابتداء في النفقة...، حديث رقم (997) [2/ 692] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الاستحباب للمرء أن يؤثر بصدقته...، حديث رقم (3339) [8/ 128] ورواه غيرهما.

قال الزمخشري: العفو أن يعفو الله عن الذنوب، والعافية أن يسلم من الأسقام والبلايا، والمعافاة أن يعفو الرجل عن الناس ويعفوا عنه فلا يكون يوم القيامة قصاص. وقيل: معنى العافية أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك.

* * *

الفصل الثاني: في الذكر وفضله وآدابه، والفرق بين الذكر السرِّي والجهريِّ

وهذا الفصل مشتمل على ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: في المراد بالذكر المأمور به في القرآن والأحاديث.

(اعلم) أنه ليس المراد من الذكر المأمور به هو خصوص كلمة لا إلٰه إلا الله فقط، بل المراد منه ما هو أعم من ذلك من كل ما فيه ذكر الله تعالى وتقدّس. فإنَّ لفظ الذكر عام يشمل القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحِجر: الآية 9] فالمراد بالذكر في هذه الآية القرآن، ويكون المراد بأهل الذكر أهل القرآن الحافظون له العاملون بما فيه، فإنهم أولياء الله تعالى لقوله ﷺ: «**أهل القرآن أهل الله وخاصته**»[1]، أضيفوا إلى القرآن لشدّة اعتنائهم به، وأضيفوا إلى الله تشريفاً.

(قال) ابن العربي: أهل القرآن هم الذين يقرؤون حروفه من عجم وعرب ويعلمون معانيه، وليست الخصوصية من حيث القرآن بل من حيث العلم بمعانيه، فإن انضاف إلى حفظه والعلم بمعانيه العمل به فنور على نور.

(وأخرج) الحكيم الترمذي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهل القرآن عرفاء أهل الجنة**»[2] أي حفظته الملازمون لتلاوته

---

(1) رواه ابن ماجه في السنن، باب فضل من تعلّم القرآن وعلَّمه، حديث رقم (215) [1/ 78] ورواه أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري، حديث رقم (13566) [3/ 242] ورواه غيرهما.

(2) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، الأصل الحادي والعشرون والمائة [2/ 87].

العاملون بأحكامه في الدنيا. وقيل: أهله من بحث عن أسراره ومعانيه يكونون يوم القيامة عرفاء أهل الجنة ممن ليسوا بقرّاء فهم زعماء الناس وقادتهم.

(قال) الحكيم الترمذي: وإنما يكون هذا في قارىء انتفى عنه جور قلبه، وذهبت خيانة نفسه، فآمنه القرآن فارتفع في صدره وتكشّف له عن زينته ومهابته، فمثله كمثل عروس مزين مدّ يده إليها متلوّث متلطخ بالقذر فهي تعافه وتتقذره، فإذا تطهَّر وتزيَّن وتطيَّب فقد أدّى حقها وأقبلت إليه بوجهها فصار من أهلها، فكذا القرآن فليس من أهله إلا من تطهر من الذنوب ظاهراً وباطناً وتزيَّن بالطاعة كذلك فعندها يكون من أهل الله وحرام على من ليس بهذه الصفة أن يكون من الخواص، وكيف ينال هذه الرتبة العظيمة عبد أبق من مولاه، واتخذ إلٰهه هواه ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: الآية 146] انتهى.

ويشمل لفظ الذكر العلم، فيكون المراد بالذكر المأمور به العلم وأهله هم العلماء العاملون بعلمهم كسبياً كان العلم أو وهبياً. والمراد بالعلم الكسبي ما حصَّله الإنسان بجدّه واجتهاده ومجالسة العلماء ومطالعة الكتب ودرسها. والمراد بالعلم الوهبي ما حصل بمجرّد الفيض الرباني والفتوح الرحماني، وهذا أعلى من الأول لكون الله هو الذي تولى تعليمهم، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: الآية 65] أي من العلم المختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا، وهو علم الغيوب، ويسمى العلم اللدني، وهو العلم الذي علَّمه الله تعالى الأرواح حين خاطبهم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: الآية 172] وهو معرفة ذات الله وصفاته بمشاهدة أنوارها وذوق ببصائر القلوب لا بدليل العقل، وشواهد النقل، وهو تعالى يتعرّف إلى عباده بقدر ما وهبهم من العلم اللدني، ومن تعرّف الحق تعالى إليه عرف نفسه، ومن عرف نفسه عرف ربه، ومن جهل نفسه جهل ربه، فالتعرُّف يتعلق بمعرفة النفس، ومعرفة النفس تتعلق بمعرفة الربّ، ومعرفة الربّ تتعلق بجهل النفس. ففي الخبر: «**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه**»[1].

(1) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لديّ من مصادر ومراجع.

وعلم اليقين هو ما حصل عن نظر واستدلال، وعين اليقين ما حصل عن مشاهدة وعيان، وحق اليقين ما حصل عن العيان مع المباشرة. **فالأول** كمن علم بالدليل وجود الجنة، **والثاني** كمن حضرها وشاهدها، **والثالث** كمن شاهدها ودخلها. **والأول** هو العلم الحصولي. **والثاني والثالث** علم حضوري، إلا أن **الثالث** أقوى من **الثاني** وهما أقوى من **الأول**.

(وقال) بعضهم: علم اليقين حال التفرقة، وعين اليقين حال الجمع، وحقّ اليقين حال جمع الجمع.

(ثم اعلم) أن العلم النافع هو ما ابتغي به وجه الله تعالى ووفق صاحبه للعمل به، وبذلك يصح أن يوصف صاحبه بأنه وارث محمدي ويكون سراجاً لأهل الدنيا ومصباحاً لأهل الآخرة.

ويشمل لفظ الذكر التسبيح والاستغفار والصلاة على النبيّ ﷺ وقراءة القرآن والعلم وغير ذلك من بقية الأذكار، بل ويشمل ذكر الصالحين أيضاً لقوله ﷺ: «**ذكر عليّ عبادة**»[1] ومعلوم أن غير عليَّ كرَّم الله وجهه من الصالحين مثله فذكر الصالحين عبادة، وعند ذكرهم تنزل الرحمة ويستجاب الدعاء، ويشمل لفظ الذكر ذكر الله تعالى بأيِّ نوع كان من أنواعه وبأي جارحة كانت من جوارح الإنسان. وهو ـ أعني ذكر الله تعالى ـ أشدّ الأعمال على النفس، يعرف ذلك من باشر تزكية نفسه وتصفية قلبه واهتم بنفي الخواطر وأقبل على جناب القدوس تعالى. وهو ـ أعني الذكر ـ أعظم الأعمال أجراً.

(قال) سهيل بن عبد الله: ليس لقوله لا إلٰه إلا الله مخلصاً ثواب إلا النظر إلى الله والجنة، ويكفيك فيه قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية 152] فإنه صقال القلوب لقوله ﷺ: «**لكل شيء صقال وصقال القلوب ذكر الله**»[2] وهو علم الإيمان، أي علامته بحيث إذا قال المشرك: لا إلٰه إلا الله يحكم

(1) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، عن السيدة عائشة، حديث رقم (3151) [2/ 244].

(2) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

بإسلامه وهو براءة من النفاق وحصن من الشيطان وحرز من النار ومخّ العبادة، أي خالصها، ومفتاح النجاة.

(قال) بعضهم: إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنى منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنى منه الشيطان، فتجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا، فيقال: قد مسه الأنسي بالذكر، انتهى.

(وقال) الشيخ الأكبر: الذاكرون أعلى الطوائف مطلقاً، ولهذا ختم الله بذكرهم صفات المقربين من أهل الله فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزَاب: الآية 35] إلى أن ختم بقوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزَاب: الآية 35] وماذا بعد الذاكرين شيئاً اهـ.

* * *

المقصد الثاني: في آداب الذكر وفضل أهله وفضل مجالسه

ينبغي للذاكر أن يحضر قلبه حال الذكر ويستعمل في ذلك أعضاءه وجوارحه ويستحضر أنه في حضرة الله تعالى، فلا يذكر الله وهو غافل عن الله لأنه ما ثم كرامة للعبد أفضل من ذكر الله لأنه يصير جليساً للحق تعالى لأن الله يذكر عبده كلما ذكره العبد بشهادة الحديث القدسي: «**لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي، ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى**»[1].

وأن يكون على طهارة مستقبل القبلة، وأن يختار أفضل أنواع الذكر، وهو كلمة الشهادة لقوله ﷺ: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله**»[2].

(قال) بعض العارفين: إنما كانت أفضل لأنها كلمة توحيد، والتوحيد لا

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن معاذ بن أنس عن أبيه، حديث رقم (391) [20/ 182].

(2) أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى الطبراني وابن مردويه والديلمي عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ [7/ 493].

يماثله شيء ولا يصحّ الإيمان إلا بهذا اللفظ لأن فيه إثبات الإلٰهية لله ونفيها عما عداه، وليس ذا في سواه من الأذكار ولأن للتهليل تأثيراً في تطهير الباطن عن الأوصاف الذميمة.

(وعن أنس) من قال لا إلٰه إلا الله حين يصبح وحين يُمسي التقيا على خطاياه فيحطمانها حطماً، وكان له بذلك عند الله عهد والعهد التوحيد. فقوله: التقيا، أي قول لا إلٰه إلا الله في الوقتين، وقوله: على خطاياه، أي خطايا العبد، أي ذنوبه، فيحطمانها حطماً أي يكسرانها كسراً اهـ.

(وعنه) أنه قال: ما من عبد قال لا إلٰه إلا الله في ساعة من ليل أو نهار إلا طمست ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات. نقله في «شرح الشريعة»[1].

وينبغي أن يمدّ صوته بكلمة الشهادة حتى يأخذ كل عضو منها حظه ويغتنم الذكر بين الغافلين، وفي معترك الأسواق، ومزدحم الناس، فإنه ربما يكون سبباً لتنبيه غافل أو لتوفيق سوقي فاسق.

(فقد أخرج) الطبراني عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الغازين**»[2].

(وفي حديث آخر): «**ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفائزين، وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم، وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي تحاتّ من الجليد**» أي البرد، «**وذاكر الله في الغافلين يعرِّفه الله مقعده من الجنة، وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجمي**»[3].

(وأخرج) الحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ

---

(1) كتاب الشريعة للآجري: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي، ولد سنة 264 هجرية وتوفي سنة 360 هجرية.

(2) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، حديث رقم (1831) [1/ 218] وعزاه إلى الطبراني عن ابن مسعود. وفي رواية ورد كلمة [الفارين] بدل [الغازين].

(3) رواه أبو نعيم في الحلية، من طريق عمران القصير [6/ 181].

قال: «**من دخل السوق فقال: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتاً في الجنة**»[1].

(وأما فضل الذكر) وفضل أهله وفضل مجالسه أشهر من أن يذكر وأكثر من أن يحصر، والمراد بأهل الذكر كل نبي وملك وولي. ومن خواص أهل الذكر أنهم إذا رأوا ذكر الله لرؤيتهم لفرط ما يعلوهم من الهيبة والنور، ومن خواصهم أنهم هم الذين لا يشقى جليسهم بل يكتب معهم ويلحق بهم ويسعد بسعادتهم وإن لم يكن منهم، ومن خواصهم أنهم معانون على ما يطلبون من الحوائج لقوله ﷺ: «**أكثر ذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب**»[2] يعني اذكر الله بالقلب فكراً وباللسان ذكراً بأن تقول: لا إلٰه إلا الله مع الإخلاص فإن الذكر عون لك على ما تطلب لأنه مساعد لك على تحصيل مطلوبك لأنه سبحانه وتعالى يحب أن يذكر ولو من فاسق، فإذا ذكره ثم دعاه أعطاه ما تمناه.

(ولهذا قال) بعض الصوفية: الإعراض عن الذكر يشوش الرزق ويضيق المعيشة، أي كما يشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: الآية 124].

(وأخرج) ابن عساكر أن أبا مسلم الخولاني كان يكثر الذكر، فرآه رجل فقال: مجنون صاحبكم هذا، فسمعه فقال: ليس هذا بجنون هذا دواء الجنون يا ابن أخي.

(ومن خواصهم) أنهم يردون القيامة خفافاً لوضع الذكر أثقالهم.

(وإنهم) لا وحشة عليهم عند الموت ولا عند النشر **(وإن الله)** ينظر إليهم ولا يعذِّبهم أبداً **(وإنهم)** إذا اجتمعوا على الذكر وتفرقوا قيل لهم: قوموا

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء...، حديث رقم (1974) [1/ 722] ورواه الترمذي في السنن، باب ما يقول إذا دخل السوق، حديث رقم (3428) [5/ 491] ورواه غيرهما.

(2) أورده بنحوه في الدر المنثور وعزاه إلى ابن عساكر عن عطاء بن أبي مسلم مرسلاً، ونصه: «اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب».

مغفوراً لكم **(وإنهم)** أهل الطاعة لله والحب في الله تنزل على مساكنهم السكينة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله فيمن عنده. وفي رواية: يذكرهم الله على عرشه.

(قال) المناوي في «شرحه الصغير»: وأخذ منه فضل ملازمة الصوفية للزوايا والربط على الوجه المعروف، أي فكما يدفع بالمرابطين في الثغور عن المسلمين اقتحام العدوِّ فكذلك يدفع الله بأهل الزوايا المجتمعين على الذكر والطاعة أنواع البلايا ويعود نفع ذلك على البلاد والعباد.

ومن خواصِّهم، أي الذاكرين، أن بقعتهم من الأرض التي يذكرون الله عليها تفتخر على غيرها من البقاع وتستنير وتستبشر بذكر الله إلى منتهى سبع أرضين.

(وإنهم) أهل الكرم لقوله ﷺ: «**يقول الربّ عزَّ وجل يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع ـ أي الموقف ـ اليوم من أهل الكرم**»[1] قيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: «**أهل مجالس الذكر في المساجد**».

ومن خواصهم أن الصواعق والبلايا تتخطاهم وتصرف بهم عن الناس، وإنهم يعطون فوق ما يعطى السائلون لاشتغالهم بالذكر **(ففي)** الحديث القدسي: «**إن الله تعالى يقول: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**»[2].

(ومن) خواصهم أن الله تعالى يذكرهم بذكرهم إياه، كما تقدم في الحديث القدسي السابق.

(قال) في الرسالة القشيرية: وقيل إن الملك يستأمر الذاكر في قبض روحه.

(وروى) الطبراني بإسناد حسن مرفوعاً: «**ليبعثنَّ الله أقواماً يوم القيامة في**

---

(1) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر ما يكرم الله جلَّ وعلا به في القيامة...، حديث رقم (816) [3/ 98]، ورواه أحمد في المسند، عن أبي سعيد الخدري...، حديث رقم (11670) [3/ 68] ورواه غيرهما.

(2) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، الدعاء بلا نيّة ولا عمل، حديث رقم (29271) [6/ 34]، ورواه القضاعي في المسند، من شغله ذكري...، حديث رقم (584).

وجوههم النور في منابر اللؤلؤ تعظِّمهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء، فجثى أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله حلهم لنا نعرفهم، فقال: هم المتحابون في الله من قبائل شتى ومن بلاد شتى يجتمعون على ذكر الله»[1].

(وروى) أحمد مرفوعاً: «**ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا مغفوراً لكم قد بدِّلت سيئاتكم حسنات**»[2].

(قال) سيدي عبد الوهاب الشعراني قدس الله سره: قلت: وذلك أنه لا يصح لعبد أن يجالس الحق تعالى وعليه ذنب أبداً، فلا بدّ من تطهيره قبل مجالسة الحق تعالى بالتوبة النصوح، ولذلك شرط في الحديث كونهم يريدون بذلك وجهه، فلو جلسوا للذكر رياءً وسمعة لم يصحَّ لهم مجالسة الحق، ولا تبدّل سيئاتهم حسنات، فافهم والله أعلم.

(وأما ما ورد في فضل مجالس الذكر، فمن ذلك) ما رواه الترمذي وقال حديث حسن مرفوعاً: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: حِلَق الذكر**»[3] ـ أي بكسر الحاء المهملة وفتح اللام ـ، فمجالس الذكر أماكن الرحمة كما أن الجنة مواضع الرحمة، ولأن أهل الجنة تطيب حياتهم وقلوبهم بقرب الله، فأهل مجالس الذكر تطيب قلوبهم بذكر الله تعالى.

(قال) بعض العارفين: في الدنيا جنة هي في الدنيا كالجنة في الآخرة فمن دخلها دخل تلك الجنة يريد هذه المجالس، يعني مجالس الذكر، لما يدركون فيها من سرور القلب وفرحة بذكر الرب وانشراحه ونوره وابتهاجه حتى

---

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، حديث رقم (1893) [1/ 223] وعزاه إلى الطبراني عن أبي الدرداء.

(2) رواه الطبراني في الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، حديث رقم (1556) [2/ 154] وراوه أبو يعلى في المسند عن أنس بن مالك، حديث رقم (4141) [7/ 167] ورواه غيرهما.

(3) ورواه أبو يعلى في المسند، عن ثابت البناني عن أنس، حلق الذكر، حديث رقم (3433) [6/ 155]، ورواه أحمد في المسند، عن أبي سعيد الخدري، حديث رقم (12545) [3/ 150].

قال بعض من ذاق هاتيك اللذة: لو علم الملوك بعض ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف. **(وقال آخر)**: إنه ليمرُّ بالقلب أوقات إن كان أهل الجنة في مثلها إنهم لفي طيب عيش.

(وكما حثّ) الشارع ﷺ على حضور مجالس الذكر نفّر عن حضور مجالس الكذابين والخطّائين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفُرقان: الآية 72] أي لا يحضرون مجالس الزور والمنكر والبهتان فلا ينبغي حضورها ولا قربها تنزيهاً عن مخالطة الشرِّ وأهله وصيانة لدينه عما يثلمه لأن مشاهدة الباطل شركة فيه.

(وبالجملة) فأهل الذكر هم المرابطون، بل رباطهم أفضل أنواع الرباط لأن فيه مجاهدة النفس والشيطان ودفع البلايا والنوازل.

(فقد روى) الطيالسي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الرباط الصلاة بعد الصلاة ولزوم مجالس الذكر، وما من عبد يصلي ثم يقعد في مصلاه إلا لم تزل الملائكة تصلي عليه حتى يُحدِث**»[1] أي ينتقض طهره.

* * *

المقصد الثالث: في الذكر السرِّي والذكر الجهري وأيهما أفضل

اختلف المشايخ في ذلك، فبعضهم ذهب إلى أن الذِكر السرِّي أفضل، وبعضهم ذهب إلى أن الذكر الجهري أفضل، ولكلٍ حجة ودليل. وسأذكرها لك مفصلة إن شاء الله تعالى، وأجمع لك بين الروايات المختلفة لتكون على بصيرة، ولا تبادر بالقدح على مَن ذهب إلى واحد منهما دون الآخر ببادي الرأي، فأقول والله الموفق إلى الصواب وإليه المرجع والمآب، وهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم:

---

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال وعزاه إلى الطيالسي عن أبي هريرة، حديث رقم (18902) [7/ 116].

(قال) شيخنا العارف العلامة عبد الله الشرقاوي رحمه الله تعالى: الذكر على أقسام: **فالأول**: ما يكون باللسان ثم بالجنان، أي القلب، ثم بالأركان، أي الجوارح والأعضاء، ويقع في النفس، ثم في الروح، ثم يكون بالعقل، ثم بالسرِّ، ثم بالخفي، ثم بالأخفى، ثم بالمجموع، وما عدا الذكر اللساني فبالملاحظة من غير حركة ظاهرة، ويطلق عليه أيضاً أنه ذكر خفي. وفي الحديث: «**خير الذكر الخفي**»[1]، وفي حديث آخر: «**الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة بسبعين ضعفاً**»[2]. فإذا جمع الله الخلق وجاءت الحفظة بما كتبوا وحفظوا يقول الله تبارك وتعالى: انظروا هل بقي من شيء، فيقولون: ربنا ما تركنا شيئاً إلا أحصيناه وكتبناه، فيقول الله: إن لك عندي خبيئاً لا يعلم به أحد غيري، وأنا أجزيك به. وهو الذكر الخفي. رواه أبو يعلى والبيهقي والديلمي وغيرهم.

(وقال) ﷺ: «**اذكروا الله ذكراً خاملاً، قيل: وما الذكر الخامل يا رسول الله؟ قال: الذكر الخفيّ**»[3].

(وروى) أبو موسى الأشعري: أنهم كانوا في سفر ـ أي حين رجعوا من غزوة تبوك ـ فأشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير فقال النبيّ ﷺ: «**أيها الناس أربعوا على أنفسكم**» أي أرفقوا «**إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم**»[4].

(وورد) في الأحاديث أمثال ذلك مما يدل على تفضيل الذكر الخفي.

---

(1) ونصه: «خير الذِّكر الخفي وخير الرزق ما يكفي». رواه أحمد في المسند عن سعد بن مالك، حديث رقم (1477) [1/ 172] ورواه القضاعي في المسند، الباب التاسع، حديث رقم (1218) [2/ 217] ورواه غيرهما.

(2) رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن أبي زمنين) حديث رقم (75) [1/ 146] وفيه كلمة [يضاعف] بدل كلمة [يزيد].

(3) أورده ابن الجوزي في غريب الحديث [1/ 308].

(4) رواه البخاري في صحيحه، باب غزوة خيبر، حديث رقم (3968) [4/ 1541] ورواه مسلم في صحيحه، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، حديث رقم (2704) [4/ 2076] ورواه غيرهما.

(وأما الذكر الجهري) فجمعية الذاهبين إليه ما رواه الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**اذكروا الله ذكراً حتى يقول المنافقون إنكم تراؤون**»[1] أي اذكروا الله ذكراً كثيراً جداً حتى يرميكم أهل النفاق بالرياء لما يرون من شدة محافظتكم عليه.

(قال) المناوي رحمه الله تعالى: وهذا حثٌّ شديد على لزوم الذكر سراً وجهراً ولا ترائي به أحداً اهـ.

(فهذا) يدل على ندب الذكر بالجهر صريحاً.

(ومما) يدل على ندب الجهر بالذكر صريحاً أو التزاماً حديث الحاكم عن شداد بن أوس قال: إنا لعند رسول الله ﷺ إذ قال: «**ارفعوا أيديكم فقولوا لا إلٰه إلا الله**» ففعلنا فقال: «**اللهمَّ إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها بالجنة إنك لا تخلف الميعاد**». ثم قال: «**أبشروا فإن الله قد غفر لكم**»[2].

(وأخرج) البيهقي عن أبي الأدرع قال: انطلقنا مع النبيّ ﷺ ليلة، فمرَّ برجل في المسجد يرفع صوته بالذكر قلت: يا رسول الله عسى أن يكون هذا مرائياً، قال: «**لا، ولكنه أواه**»[3].

(وأخرج) الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ. قال ابن عباس: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك. يعني يعلم انصرافهم من الصلاة وخروجهم من المسجد إذا سمعهم يرفعون أصواتهم بالذكر اهـ.

(وأما الجمع) بين هذه الأحاديث المتعارضة التي بعضها يقتضي ندب الإخفاء وبعضها يقتضي ندب الجهر، فقد أجيب عن ذلك كما نقله المناوي في «شرحه الكبير» بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذّى به مصلٍّ أو نائم

---

(1) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس، حديث رقم (12786) [12/ 169] ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء عن ابن عباس [3/ 81].

(2) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم (1843) [1/ 679].

(3) رواه ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية، باب الدين يسر. . ، حديث رقم (2911) [12/ 372] ورواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (581) [1/ 417].

والجهر أفضل في غير ذلك لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى السامع، ولأنه يوقظ قلب الذاكر، ويجمع همته إلى الذكر، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم ويزيد في النشاط. وأما قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ [الأعراف: الآية 205] الآية، فأجيب عنه بأن الآية مكيَّة نزلت حين كان النبيّ ﷺ يجهر بالقرآن فيسمعه المشركون فيسبُّون القرآن ومَن أنزله، فأمر بالترك سدّاً للذريعة، وقد زال ذلك وبأن الأمر في الآية خاص بالمصطفى ﷺ الكامل المكمَّل والأرواح القدسيَّة، وأما غيره ممن هو محل الوساوس والخواطر الردية فمأمور بالجهر لأنه أشد تأثيراً في دفعها.

وأما قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: الآية 55] فذلك في الدعاء لا في الذكر، والدعاء الأفضل فيه الإسرار لأنه الأقرب إلى الإجابة. ولهذا قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريَم: الآية 3]. وأما ما نقل عن ابن مسعود أنه رأى قوماً يهلِّلون برفع الصوت في المسجد فقال: ما أراكم إلا مبتدعين وأمر بإخراجهم، فغير ثابت وبفرض ثبوته يعارضه ما في كتاب «الزهد» لأحمد عن شقيق بن أبي وائل قال: هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ كان ينهى عن الذكر، ما جالسته قط مجلساً إلا ذكر الله فيه.

(وأخرج) أحمد في «الزهد» عن ثابت البناني: أن أهل الذكر ليجلسون إلى ذكر الله تعالى وإنَّ عليهم من الآثام مثل الجبال وإنهم ليقومون ما عليهم منها شيء اهـ. كلام المناوي. ونقل صاحب الشرعة عن «شارح الكشاف»: إن هذا بحسب المقام والشيخ المرشد قد يأمر المريد برفع الصوت لينقلع عن قلبه الخواطر الراسخة فيه ويوافقه ما ذكر في المظهر حيث قال: الذكر برفع الصوت جائز بل مستحب إذا لم يكن عن رياء ليغتنم إظهار الدين ووصول بركة الذكر إلى السامعين في الدُّور والبيوت والحوانيت، وليوافق القائل: من يسمع صوته ويشهد له إلى يوم القيامة كل رطب ويابس يسمع صوته. قال في «شرح الشرعة» نقلاً عن «شرح المصابيح»: اختلف في أنَّ التهليل والتسبيح ونحوهما بمجرّد القلب أفضل، أو باللسان مع حضور القلب أفضل، احتجّ من رجح الأول بأن

عمل السرّ أفضل، واحتجّ من رجّح الثاني بأن العمل فيه أكثر، فاقتضى زيادة أجر والصحيح هو الثاني، يعني الذكر باللسان جهراً أفضل. ذكره النووي في «شرح مسلم» اهـ.

(قلت) إذا علمت ذلك وتحققت أنَّ الإسرار بالذكر وارد وإن الجهر به وارد وأي طريق سلكه الشخص فهو على هدى من ربّه، غير أن مدار الأمر على خلوص النية، فإن طرق القوم كثيرة وكلها موصلة إلى الله تعالى، فالبعض منهم وصل بواسطة الذكر الخفي، وبعضهم وصل بواسطة الذكر الجهري، لكن من غير اعتراض من بعضهم على بعض فما يشاهد ويسمع من بعض الناس من الاعتراض على الفقراء الصوفية وإطلاق اللسان فيهم بمجرّد شمّ شيء من رائحة العلم فإن ذلك محض جهل وتعصب وافتراء وعمى بصيرة، وهي نزغة شيطانية ليحرمهم بركات القوم ويقطع عنهم فضل الواردات الإلٰهية حيث علم الشيطان إن هؤلاء السادة لا يشقى مَن جالسهم وخالطهم، وأن السعيد من أحبهم ورافقهم وتشبَّه بهم، فأراد ـ حسداً منه ـ قطع هذه الفيوضات المدد عمن استولى على قلبه لأن الشيطان عدو لابن آدم مضلّ مبين.

(وقد سئل الشيخ) العارف الغارف من بحر المعارف، عبد الغني النابلسي، وهو من أكابر السادة الحنفية قدّس الله سرّه عن جماعة من بعض سقط الترك يعترضون على أهل الطريق بما يقع منهم حال الذكر من رفع الصوت بالجلالة والدوران في بعض الأحيان في حالة التواجد، والسقوط على الأرض، كالذي يحصل من فقراء الشيخ الرفاعي وفقراء سعد الدين الجباوي رضي الله عنهما، فإنهم إذا طاب لهم الوقت يتواجدون ويضطربون ويصرخون، فمنهم من لا يستطيع الوقوف فيسقط على الأرض لوقته فيصير كالخشبة فلا يستطيع القيام حتى يأتي نقيب الشيخ يكبس يديه ورجليه ويقيمه على بركة شيخه سعد الدين.

ثم إن هؤلاء المعترضين على مشايخ الطريق يحتجون بأنه ﷺ قال: «**يحرم السماع ومن حلل السماع فهو كافر، ومن حضر معهم فهو فاسق، ومن خالف هذا الحديث فهو ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان**»[1].

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

ويحتجون أيضاً بقول الشافعية: السماع لهو مكروه يشبه الباطل، من قال به تردّ شهادته. ويقول المالكية: يجب على ولاة الأمور زجرهم وردعهم وإخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا. ويقول الحنابلة: لا يصلَّى خلفه ولا تقبل شهادته ولا ينفذ حكمه وعقده النكاح فاسد. ويقول الحنفية: الحصير الذي يرقص عليه الصوفية لا يصلَّى عليه حتى يغسل، والأرض التي يرقصون عليها لا يصلَّى عليها حتى يُحفر ترابها. كذا في «قاضي خان» معزياً للوجيز.

ونقلوا في ذلك كلاماً طويلاً مذكوراً في رسالة للشيخ عبد الغني النابلسي سماها «جمع الأسرار في منع الأشرار من الطعن في الصوفية الأخيار أهل التواجد في الأذكار».

(فأجاب) رضي الله عنه في رسالته المذكورة بقوله: اعلم يا أخي أولاً أن زماننا هذا قد كثر فيه الجهل بأقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين حتى صار علماؤه يفترون الكلام وينسبونه إلى أصحاب المذاهب من أئمة الدين ويضعون الأحاديث والأكاذيب على النبيّ ﷺ بحسب أغراضهم الفاسدة ولا يبالون، وسبب ذلك قصورهم في العلم وعدم الاطلاع على كتب العلماء.

(وها أنا أنقل لك) ما كتبه العلماء في كتبهم المعتمدة المقبولة المعروفة عند أهل الإسلام، وأنقل لك فتاواهم في المذاهب الأربعة والله ولي التوفيق والإنعام.

(أما رفع الصوت بالذكر) فقد صنَّف فيه الحافظ المحدث الكبير الشيخ جلال الدين السيوطي من كبار أئمة الشافعية رحمه الله تعالى رسالة سماها «نتيجة الفكر في الجهر بالذكر» بناها جواباً عن سؤال رُفع إليه فيما اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد ورفع الصوت بالتهليل وهل ذلك مكروه أم لا؟

(فأجاب) رضي الله عنه بأنه لا كراهة في شيء من ذلك، وقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار به، ويجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، وقد تقدم سرد ذلك مفصلاً.

(وسئل) الحافظ ابن حجر عن رقص الصوفية وتواجدهم، هل له أصل أم لا؟

(فأجاب) بقوله: نعم له أصل، فقد روي أن جعفر بن أبي طالب رقص بين يدي النبيّ ﷺ لما قال له: «**أشبهت خَلقي وخُلقي**»[1] وذلك من لذة هذا الخطاب، ولم ينكر عليه النبيّ ﷺ. وقد صح التمايل والرقص عن جماعة من كبار الأئمة منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام.

(وسئل) الحافظ المذكور عمن يذكرون الله قياماً وقعوداً وبالأنغام الموسيقية بالتمطيط وإظهار ما بين همزة ولام ألف إلٰه ومدّ الهاء من إلٰه، ويقولون: هو وها وهي، ويذكرون بالحلق وهو الحاء بأن يقولوا: حي حي، ويرقصون في بعض الأحيان بالتواجد والوثبات ويغيبون عن إدراكهم ويقعون على الأرض وينشدون الأشعار وأصناف الكلام المطرب المهيج المحرِّك للنشاط وغير ذلك مما يتعلق بأحوال المريدين من أهل الطريق عموماً وخصوصاً، هل هو حرام أم لا؟ وهل لذلك أصل في الكتاب والسنَّة، وهل يجوز سبّ مشايخ الطريق أم لا؟ أفيدوا.

(فأجاب) الشهاب ابن حجر رحمه الله تعالى بقوله: يجوز الذكر بجميع الأنواع بأيل ولاها لورود الشرع بذلك، أن أيل اسم الرحمٰن، ولاها اسم المحبوب، ولا يلزم ذكر لا إلٰه إلا الله إلا في الشهادتين والأذان والتشهُّد، ويجوز الذكر بهو وها وهي وبالحلق والقلب، ويجوز الذكر بحرف واحد كما ورد في أوائل السور ككاف وهاء وياء وعين وصاد، ويجوز الذكر بأسماء الله طرّاً، ويجوز الرقص بدليل فعل الحبشة في المسجد بين يدي رسول الله ﷺ ولم ينكر عليهم وكان رقصهم بالوثبات والوجد، وحصل لعمر بن الخطاب وجد حتى غاب عن إدراكه، وإنشاد الشعر وغير ذلك جائز بلا إنكار، وكانت الصحابة يتناشدون الأشعار بين يديّ رسول الله ﷺ ولم ينكر عليهم. وأصل هذه الطرائق من الكتاب والسنَّة، ولا يجوز الإنكار عليها بالاتفاق، وسبُّ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان...، حديث رقم (2552) [2/ 960] ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ذكر إسلام أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ.. ، حديث رقم (4614) [3/ 130] ورواه غيرهما.

المشايخ إهانة في الدين والإهانة في الدين كفر شرعاً وعقلاً بلا خلاف اهـ.

(قلت) وسبّ المسلم من حيث هو والاستطالة في عرضه حرام من الكبائر فكيف إذا كان المسلم من الصُّلاح، فقد قال ﷺ: «**أربى الربا شتم الأعراض**»[1] اهـ.

(وسئل) خاتمة المحققين خير الدين الرملي عما اعتاده الصوفية من حلق الذكر والجهر به في المساجد من جماعة ورثوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم وينشدون القصائد الصادرة عن ذوي المعارف الإلٰهية كالقادرية والسعدية ممن سلمت لهم فقهاء الملّة المحمدية، ويقولون: يا شيخ عبد القادر، يا شيخ أحمد، يا رفاعي، شيء لله عبد القادر، ونحو ذلك إلى آخر السؤال.

(فأجاب) بما حاصله: إن الأمور بمقاصدها، والأعمال بالنيات، إلى أن قال: حقيقة ما عليه الصوفية لا ينكرها إلا كل نفس جاهلة غبية، وأما حلق الذكر والجهر به وإنشاد القصائد فقد جاء في الحديث ما اقتضى طلب الجهر به نحو قوله في الحديث القدسي: «**وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**»[2] رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد، وإنَّ ذلك تتعدّى فائدته إلى السامعين ويوقظ قلب الذاكر، ويجمع همته إلى الذكر، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد النشاط اهـ.

(وأجاب) أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد السلام من كبار أئمة المالكية عن سؤال رفع إليه يوافق هذا السؤال المتقدم، بأن ذلك كله جائز شرعاً والمعترض عليهم مبطل وربما يخشى عليه السلب.

(وأجاب) عز الدين بن عبد السلام، وقد سئل عن مثل ذلك فقال: سماع ما يحرِّك الأحوال السنية المذكرة للآخرة مندوب إليه ومن جزم بالتحريم

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان، فصل وما ينبغي للمرء المسلم...، حديث رقم (5092) [4/ 277].

(2) ورواه النسائي في السنن الكبرى، 45 قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾...، حديث رقم (7730) [4/ 412] ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء عن الفضيل بن عياض [8/ 118].

والتكفير فقد أخطأ فيما قال واستحق العقوبة والنكال، وكذا أوراد الصوفية لها أصل أصيل اهـ.

(وسئل) الشهاب الرملي عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان، ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، وهل للأولياء إغاثة بعد موتهم؟

(فأجاب) بجواز ذلك، وبأن لهم الإغاثة بعد موتهم معجزة للأنبياء وكرامة للصالحين والأولياء.

(وبالجملة) فالسكوت عن هذه الطائفة ـ أعني الصوفية ـ أولى وتسليم حالهم إليهم أسلم، فإن الطعن عليهم مظنة المؤاخذة وقد سلب كثير ممن طعن عليهم أو أذاهم، وليس في السكوت عنهم إثم بل فيه السلامة.

(ومن) كلام السادات بني الوفاء: إن أولاد الفقراء ـ يعني أرباب الطريق ـ كشجرة الزيتون، الكبيرة فيها الزيت والصغيرة فيها الزيت، وهي لا تخلو من زيت طيب.

(ومن) كلام الشيخ محمد الحنفي: إذا كان أولاد الفقراء رماداً فلا تطأهم بقدمك تحترق، وتوشك أن تقع في سوء الخاتمة والعياذ بالله.

(ومن كلام) سيدي مدين: لا تقطع رحم أولاد الفقراء يقطع الله رحمك.

(ومن) كلام سيدي أبي العباس الغمري: لحوم الفقراء مهمومة، فمن تعرّض لها عجل هلاكه بسم ساعة.

(وقال) اللّقاني رحمه الله تعالى: ويخشى على من تكلم فيهم ـ يعني في أهل الطريق ـ سوء الخاتمة، وجزاؤه الأدب الشديد والسجن الطويل المديد ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: الآية 17].

(وقال) سيدي إبراهيم الدسوقي: فيجب عليك يا ولدي التسليم لله في أمر القوم وحسن الظن بهم لا غير.

(وكان) الشيخ أبو المواهب الشاذلي قدّس الله سره يقول: سمعت شيخنا أبا عثمان يقول في الدرس على رؤوس الأشهاد: لعن الله من أنكر على هذا

الطريق، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل لعنة الله عليه.

(وكان) يقول: من اعترض على هذا الطريق لا يفلح أبداً ولو كان على عبادة الثقلين اهـ.

وإنما أطلت الكلام في هذا المقصد على ذلك رجاء أن يسمعه مسلم يحبّ الله ورسوله ويرجو اليوم الآخر وفي قلبه شيء من الإنكار عليهم وسوء الظن بهم فيرجع عن ذلك ويتوب إلى الله من سوء الظن بهم ويحسن ظنّه بالسادة الصوفية وفقراء الطريق ويكفّ لسانه عن الطعن والاعتراض والانتقاد، ويسلم إليهم أحوالهم، ويشتغل في عيوب نفسه وتخليصها من ورطات الذنوب. فتأمل يا أخي قول الله تعالى في الحديث القدسي: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**»[1]، ولا تقل: لو علمته ولياً لاعتقدت فيه فإن الأولياء عرائس والعروس لا تنجلي إلا على من طهر ظاهره من الانتقاد ونظف باطنه من سوء الظن ونوّره بالاعتقاد.

(قال) سيدي أفضل الدين قدّس الله روحه: لو أن إنساناً أحسن الظن بجميع أولياء الله تعالى إلا واحداً منهم بغير عذر مقبول في الشرع لم ينفعه حسن الظن عند الله حتى يحسن ظنه بالجميع، ولذلك لا تجد ولياً حق له قدم الولاية إلا وهو مصدق بجميع أقرانه من الأولياء لم يختلف في ذلك اثنان كما أنه لم يختلف في الله نبيان، فمن آذى الأولياء بسوء ظنه فقد خرج من دائرة الشريعة.

(ومن) كلام الشيخ أبي المواهب الشاذلي: من حرَّم احترام أصحاب الوقت فقد استوجب الطرد والمقت.

(وذكر) الشيخ محيي الدين رضي الله عنه: أن معاداة الأولياء والعلماء العاملين كفر، ومن عادى أحداً منهم فقد عادى إيمانه.

(وقال) الشيخ أبو محمد اليافعي: عليك بالاعتقاد في أهل عصرك من

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب التواضع، حديث رقم (6136) [5/ 2384] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من الثقة بالله تعالى...، حديث رقم (347) [2/ 58] ورواه غيرهما.

أولياء وعلماء وإياك أن تكون ممن يصدّق بأن لله أولياء وعلماء عاملين ولكن لا يصدق بأحد معين، فإن هذا محروم من الإمداد لأن من لم يسلم لأحد معين لم ينتفع بأحد أبداً.

(وقال) سيدي علي الخواص قدّس الله سرّه: من زعم أنه ينال حظاً من الله لقرابته من أولياء الله مع عدم صلاحه ومخالفته لطريقهم ومع إساءته الأدب مع أحد منهم فقد كذب فيما زعم، فكما تجب محبة الرسل كلهم وإن اختلفت شرائعهم، فكذلك الأولياء تجب محبة الكل وإن اختلفت طرائقهم. وكما أن من آمن بالأنبياء والمرسلين إلا واحداً منهم لا يصح إيمانه فكذلك من اعتقد أولياء الله كلهم إلا واحداً منهم بغير طريق شرعي لا تصحّ محبته ولا يفيده ذلك الاعتقاد شيئاً.

(وبالجملة) فهلاك المعترض عليهم ومؤذيهم محتم بمجرد الإيذاء والاعتراض ما لم تسبق له عناية من الله بتوفيقه للتوبة وحسن الاعتقاد لأن من تعرض لهم بالأذى فقد آذى الله، ومن آذى الله فقد استحقَّ الطرد والوبال وأهلكه الله وقصمه في الحال بشهادة حديث: «**من آذى لي ولياً فقد آذنته بالمحاربة**»[1]. ولا تغتر أيها الجاهل بإمهال الله لك فتقول: لو كان هذا ولياً أهلكني الله بسببه، فهلاكك حتم لا بدَّ منه وتأخيره لحكمة ربانية.

(فارجع) عما أنت فيه فقد نصحتك وبالغت في النصيحة وما قصَّرت، فاختر لنفسك ما يحلو فالله الله أيها المنكر على السادة الصوفية والعلماء العاملين إلا ما رجعت عن إنكارك إلى رشد انقيادك وحسن اعتقادك بالمحبة والمودة، ففي الحديث: «**المرء مع من أحب**»[2] وأنت مع من أحببت **(وتدبر)** قول العارف الكبير سيدي أبي مدين قدّس الله سرّه في قصيدة له حيث يقول:

وسلِّم إلينا ما ادّعيناه إننا إذا غلبت أشواقنا ربما بحنا

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب علامة حب في الله...، حديث رقم (5816) [5/ 2283] ورواه مسلم في صحيحه، باب المرء مع مَن أحب، حديث رقم (2640) [4/ 2034].

فإنا إذا طبنا وطابت نفوسنا وخامرنا خمر الغرام تهتكنا
فلا تلمِ السكران في حال سكره فقد رفع التكليف في سكرنا عنا

هذا وإني أرجو الله تعالى أن يميتني على حبهم وأن يحشرني في حزبهم، فيا سعادتي إن قبلوني عند أبوابهم وخادم نعالهم، فإني طريح أعتابهم، اللهمَّ لا تقطع مددهم عنّا فهم عزّنا وهم سادتنا وهم ركننا العميد، ولله درّ من قال:

لي سادة من عزهم أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي في حبهم عزٌّ وجاه

(تتمة) قد ذكرنا في أول هذا المقصد أن الذكر على أقسام، فأول ما يكون باللسان، ثم يكون بالجنان، ثم بالأركان، ويقع في النفس، ثم في الروح، ثم يكون بالعقل، ثم بالسر، ثم بالخفي، ثم بالأخفى، ثم بالمجموع إلى آخر ما تقدم، ولكل من هذه الأقسام علامة تدل عليه.

(قال) شيخنا الشرقاوي رحمه الله تعالى: فعلامة ذكر القلب سماع ذكره أحياناً بأذن الجسم، وسماع ذكر الجمادات لأنها تذكر مع ذكر القلب، وعلامة ذكر الروح حصول فتوح يدرك به معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسرَاء: الآية 44] ويحقق له توحيد الأفعال، وعلامة ذكر السر انجذاب القلب إلى حضرات الرب انجذاباً مدركاً لصاحبه بطريق الذوق والوجدان ويحقق له توحيد الأسماء، وعلامة الذكر الخفي تحقق صاحبه بمقام الفناء ويحقق له توحيد الصفات، وعلامة ذكر الأخفى التحقق بالفناء عن الفناء ويحقق لصاحبه توحيد الذات، وعلامة ذكر الجملة التحقق بالبقاء مع الفناء وببقاء البقاء بعد فناء الفناء، وإذا قوي الذكر القلبي ربما تضرر صاحبه من الذكر اللساني لغلبة تجلِّي الحق على قلبه فلا يذكر به ـ أي بلسانه ـ إلا في نحو الصلاة، وذلك نتيجة الإكثار من الذكر اللساني فهو عزيمة عندنا ـ أي معاشر أهل الطريقة الخلوتية ـ في البداية لا بدَّ منه ـ أي من الذكر اللساني ـ وبعد تمكنه من القلب يصير رخصة، وعلامة تمكنه منه ـ أي من القلب ـ أن يجري على لسان الذاكر حال غفلته من غير قصد، وعند السادة النقشبندية بالعكس، فالجهري عندهم رخصة، والقلبي عزيمة، ويلقِّنون المريد اسمين الأول والثاني

إن كان يحتاج إلى مجاهدة فإن لم يحتج لقَّنوه الثاني فقط وربما لقن بعضهم فرقهم الثالث، وأما أهل طريقتنا فيلقِّنون المريد سبعة أسماء هكذا، عادة خلوتية الشام يلقِّنون المريد اثني عشر اسماً ويعدونها له دوراً ثانياً وثالثاً ونحن نقتصر على الدور الأول، فالذكر من جملة أركان الطريق عند الخلوتية وعند النقشبندية وعند القادرية وعند الرفاعية، وعند غيرهم من أرباب الطريق، فالطرق وإن تعددت فالمقصد واحد، ألا ترى أن الكعبة المشرّفة ليس لها طريق واحد بل كل أهل جهة يسلكون طريقة وتلك الطريق توصلهم إليها، وكذلك مذاهب أهل الاجتهاد كلها مذاهب توصل الذاهب في واحد منها إلى باب الجنة وأما بقية أركان الطريق فقد ذكرها الشيخ البكري في كتابه «بلغة المريد» ففتش عليها إن شئت تظفر بها.

(والحاصل) أن الذكر من حيث هو لا بقيد كونه خفياً ولا بقيد كونه جهرياً بل هو من حيث هو هو منشور الولاية وقوت أرواح أهل الهداية، والنار المحرقة للأغيار، يطرد الشيطان ويرضي الرحمٰن ويبهج القلب وينوِّر الوجه ويسهِّل الرزق ويحبط الذنوب ويذهب الأجزاء الثابتة من تناول الشبهات أو الحرام، ويورث الري من العطش عند الموت، ويزيل الحسرة والندامة يوم القيامة. نسأل الله أن يجعلنا وأولادنا وذريتنا وأحبتنا من أهله وأن يحققنا بحقيقة لا إلٰه إلا الله وأن يميتنا على قول لا إلٰه إلا الله، وأن يحشرنا في زمرة أهل لا إلٰه إلا الله.

وهذا أوان الشروع في المقصود متوكلاً على الملك المعبود، فأقول والله ولي التوفيق والهادي إلى أقوم طريق: لما كان المسؤول في هذا الورد المبارك حصول المنافع الدنيوية والأخروية ودفع المضار الدنيوية والأخروية، وذلك من الأمر ذي البال ـ أي الحال ـ والشأن الذي يهتم به شرعاً، ابتدأ الشيخ العارف بهاء الدين شيخ الطريقة النقشبندية قدّس الله سرّه وِرْدَه هذا بقوله:

الفيوضات الإحسانية شرح أوراد الشيخ بهاء الدين نقشبند قدِّس سرُّه

(بسم الله) مستعيناً على حصول ما رجى ودفع ما كره بذكر اسم الله حيث إن الباء قد ترد للاستعانة به وبأسمائه الأولى، فسقط اعتراض بعضهم إن باء الاستعانة لا تدخل إلا على الآلة كما في قولك: قطعت بالقدوم، ولا يحسن جعل اسم الله تعالى آلة للابتداء. قال في «المطالب الوفية»: بل في جعل الباء للاستعانة كمال الافتقار إلى الله في تحصيل الخيور ودفع الشرور، فكأن الشيخ قدِّس سرّه يقول: أستعين باسم الله.

(الرحمٰن الرحيم) على حصول ما أرجو ودفع ما أكره، وإنما افتتح الحق تعالى كتابه بحرف الباء واختارها على سائر الحروف لا سيما على الألف لأن في الألف ترفُّعاً وتكبُّراً وفي الباء انكساراً وتواضعاً، فلما تكبّرت الألف وضعها الله اهـ. وفي الحديث: «**من تواضع لله رفعه الله ومن تكبَّر وضعه الله**»[1] اهـ.

وعدد حروف البسملة الرّهية تسعة عشر حرفاً بعدد الملائكة خزنة النار، فمن أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأها ليجعل الله له بكل حرف منها جنة ـ أي وقاية ـ من واحد منهم فإنهم يقولونها في كل أفعالهم، فبها قوتهم وقالوا: من قرأها لم يدخل النار. وقال بعض العارفين: من قرأها عند دخوله على جبار آمنه الله تعالى شره. وأخرج ابن السني عن علي مرفوعاً: إذا

---

(1) أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى الخطيب والبيهقي عن عمر، سورة النحل [15/ 23] [5/ 120] ورواه القضاعي في المسند، 44 من تواضع لله. . . ، حديث رقم (335) [1/ 219].

وقعت في ورطة ـ أي شدّة ـ فقل: بسم الله الرحمٰن الرحيم ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم فإن الله تعالى يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء. وورد في فضلها أخبار كثيرة لا نطيل بذكرها.

(اللهمَّ) أصله: يا الله، فحذف منه حرف النداء وعوض عنه الميم المشددة للتفخيم والتعظيم ولذا لا يجمع بينهما فلا يقال: يا اللهمَّ إلا في ضرورة الشعر. قال ابن مالك في «الخلاصة»:

والأكثر اللهمَّ بالتعويض وشذّ يا اللهمَّ في قريض

قال بعضهم: وحكمة حذفها من هذا الاسم أنها تدل على البينونة المعنوية النفسانية، ففي حذفها إشارة إلى زوال ذلك. وأن مقام الداعي بهذا الاسم مقام جمع[1] لا مقام فرق، وتعويض الميم عنها يقتضي قوة الهمة في الطلب والجزم به اهـ.

فالميم في الأصل تدلّ على الجمع كالواو في قاموا، ففي زيادتها في آخر هذا الاسم إشارة إلى أنه قد اجتمعت فيه سائر الأسماء، فإذا قال الداعي: اللهمَّ، كأنه قال: يا الله الذي له الأسماء الحسنى، فكأنه دعا بسائر الأسماء، ولذا قال الحسن رضي الله عنه: في قولك: اللهم مجمع الدعاء. وقال بعضهم: في قولك اللهمَّ تسعة وتسعون اسماً لله تعالى.

(تنبيه) في عبارات القوم مقام جمع ومقام فرق ومقام جمع جمع، وبيان ذلك أن تقول: إذا أثبت العبد طاعة له نظراً إلى كسبه فرق وإذا أثبتها بالله جمع، وإذا تحقق بالفناء فهو جمع جمع. وقال الأستاذ أبو علي الدقاق: الفرق ما نسب إليك، والجمع ما سلب عنك. ومعناه أن ما يكون كسباً للعبد من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق، وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإسداء لطف وإحسان فهو جمع. فقولك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية

(1) الجمع: شهود الحق بلا خلق. وجمع الجمع: شهود الخلق قائماً بالحق. ويسمى الفرق بعد الجمع (اصطلاحات الصوفية ورشح الزلال: للشيخ عبد الرزاق القاشاني. هذا وسيشرح المؤلف المعنى لاحقاً).

5]، إشارة إلى الفرق، وقولك: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: الآية 6] إشارة إلى الجمع. ولهم عبارات في ذلك كثيرة مذكورة في محلّها.

ثم إن الشيخ قدّس الله سرّه بعد النداء بصيغة التعظيم قدّم الثناء على الله تعالى بما هو أهله أمام الدعاء ليكون أرجى للإجابة فقال: **(أنت)** أي بما لك من العظمة والكبرياء، فهو بجملته ضمير فصل محله رفع مبتدأ، أو أن هو الضمير والتاء حرف خطاب لا محل لها من الإعراب على خلاف فيه مذكور في محله.

وقوله: **(الملك)** بكسر اللام خبر المبتدأ، أي ذو الملك أي القدرة، ومن عرف أنه تعالى الملك الحق تنتهي إليه الآمال جعل همته وقفاً عليه، فلم يتوجه في كل أموره إلا إليه، ولا يحطّ حوائجه إلا ببابه استسلاماً لحكمه، واكتفاء بوجوده تعالى عن غيره.

وقوله: **(الحي)** أي الموصوف بالحياة الأبدية التي لا يجوز عليها فناء ولا موت ولا يعتريها قصور ولا عجز و﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَة: الآية 255] إما خبر بعد خبر وهكذا ما بعده، أو نعت للملك أو كل واحد صفة لما قبله احتمالات، وخاصية هذا الاسم ثبوت الحياة في كل شيء، والحياة من صفات المعاني، والحي من الصفات المعنوية.

(القيوم) فيعول من قام بالأمر إذا حفظه، ومعناه القائم بنفسه من غير افتقار إلى شيء يقوم به المقيم لغيره من غير استعانة بشيء. وقال ابن عباس: هو الذي لا يحول ولا يزول.

(الحق) أي الثابت وجوده على وجه لا يقبل الزوال ولا العدم ولا التغيُّر، والكل منه وإليه، فكل شيء دونه باطل إذ لا حقيقة لمن دونه من ذاته ولا في ذاته:

«ألا كل شيء ما خلا الله باطل»

ومن خواص هذا الاسم أن يكتب في كاغد مربع على أركانه الأربع ويجعله في كفه وقت السحور ويرفعه إلى السماء فإن الله يكفيه ما أهمه.

(المبين) أي الذي أظهر الصراط المستقيم لمن شاء هدايته من خلقه ومن

لازم لا إلٰه إلا الله الملك الحق المبين كل يوم مائة مرة استغنى عن فقره وحصل على تيسير أمره. ذكره المناوي في «شرحه الكبير».

(الذي لا إلٰه إلا هو) هذه الجملة صفة لما قبلها، أي لا معبود بحق إلا أنت يا الله يا من هو متصف بالصفات المتقدمة، ولا يصح أن ترفع أكف الضراعة إلا إليك، فإنك القريب المجيب الكريم واسع العطاء لا يخيب قاصدك.

(أنت) بما لك من الجلال والكمال **(ربي)** أي سيِّدي ومولاي ومالكي وخالقي ومتولي أمري ومصلح شأني، فهو إقرار من الشيخ قدّس الله سرّه واعتراف بأنه لا مالك إلا الله تعالى، وأنه تعالى يتصرف في ملكه كيف يشاء تصرف المالكين في أملاكهم، ولا حظر عليه ولا وجوب، يسعد من يشاء ويشقي من يشاء، لا يُسأل عما يفعل، فحظ العبد منه إذا تحقق بذلك أن يتخلق بحسن تربيته لنفسه وإصلاحه لها ويحسن تربية من هو في كفالته من ولد وزوجة ورفيق ومريد ويصلحهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التّحريم: الآية 6].

(خلقتني) أي أوجدتني من العدم فجعلتني بشراً سوياً تام الأعضاء والحواس وصوّرتني في أحسن صورة فلك الحمد والشكر على نعمة الإيجاد.

(وأنا) بضعفي **(عبدك)** الكائن في قبضة قهرك وتحت تصرفك وإن كنت آبقاً بسبب عصياني لك وتقصيري في طاعتك فلا أخرج عن رقِّ العبودية لك، لكن العبد كل العبد من لا يغفل عن مولاه ولو عند معاينة أسباب التلف ويكون راضياً عن مولاه حال السراء والضراء والعسر واليسر، وإذا جاز العبد هذا المقام وتحقق بهذه الصفة استحق وصف العبودية فإن مقام الرضى شريف وهو عزيز جداً لا يناله إلا من كان عبداً لله خالصاً متمحضاً ليس له مع الله اختيار، ولا يتمحض وصف العبودية في أحد سوى النبيّ ﷺ، وكذا لا يتم تمحضها في كل زمان إلا للقطب، ولهذا يدعى ﷺ عبد الله من حيث تحققه بمقام العبودية، ومن حيث تخلُّقه بالرحمة لجميع العالم يدعى عبد الرحمٰن وعبد الرحيم، وقسْ على ذلك جميع الأسماء. وجاء في الحديث: «**إن عبدي كل عبدي الذي**

يذكرني وهو ملاقٍ قِرْنَه ـ أي عدوه ـ المقارن المكافىء له»[1] وهذه الجملة يجوز أن تكون مؤكدة وأن تكون مقرّرة، أي أنا عابد لك.

ولما اعترف الشيخ قدّس الله سرّه بالعبودية لله تعالى قال: **(وأنا)** مع ضعفي وعجزي واعترافي بالتقصير في حقك مقيم وثابت **(على عهدك)** الذي عاهدتني عليه يوم الميثاق حين أشهدتني على نفسي فاعترفت لك بالربوبية وعلى نفسي بالعبودية **(و)** مقيم وثابت على **(وعدك)** الذي وعدتك به من القيام بحق العبودية. وقال المناوي: أي ما عاهدتك عليه وواعدتك به من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك. ذكره بعضهم وقال المؤلف ـ يعني الجلال السيوطي ـ: العهد ما أخذ عليهم في عالم الذر يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: الآية 172]، والوعد ما جاء على لسان النبيّ ﷺ: «**أن من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة**»[2] اهـ. ثم إن الله تعالى كلّف الأنفس بما تسعه قدرتها وطاقتها فضلاً منه ورحمة، وإن كان مذهب الأشعري جواز التكليف بما لا يطاق عقلاً لكنه غير واقع بمحض الفضل والكرم رحمة بالعباد، فمن بذل وسعه في طاعة الله على مقدار ما خلق الله فيه من الوسع والطاقة كان معذوراً ومسامحاً في تقصيره، ومن تقاعس وتكاسل كان كاذباً في دعواه العبودية.

ولذا قال: **(ما استطعت)** أنا، أي ما دمت مستطيعاً القيام بواجب حقك لخلقك قدرة الطاعة فيّ مع تهيئي لأسبابها، ومعناه الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى.

(أعوذ) أي التجىء وأعتصم **(بك)** يا رب **(من شر ما صنعت)** أنا من المعاصي ومن الطاعات التي داخلها الرياء والعجب فحبطت ولم أنتفع بها لعدم الإخلاص **(أبوء)** أي أقرّ وأعترف **(لك)** يا رب **(بنعمتك)** التي أنعمت بها

---

(1) رواه الترمذي في السنن، باب 19، حديث رقم (3580) [5/ 570]، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ذكر من اسمه عبد العزيز [36/ 266] ورواه غيرهما.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب في الجنائز...، حديث رقم (1180) [1/ 417]، ورواه مسلم في صحيحه، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً...، حديث رقم (93) [1/ 94] ورواه غيرهما.

(عليَّ) من خلق قدرة الطاعة فيّ وتهيئتي لأسبابها، وأطلق النعمة فلم يقيدها لتشمل كل الأنعام، ـ وأصل البوء اللزوم ـ أي ألتزم بشكر نعمتك عليّ **(وأبوء)** أي أقرّ وأعترف **(بذنبي)** أي تقصيري في طاعتك ومخالفتي لأمرك وتقصير كل إنسان بحسبه إذ ما يعدّ طاعة بالنسبة إلى شخص ربما عدّ تقصيراً بالنسبة لشخص آخر أعلى منه رتبة ولذا قالوا: «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

(فاغفر لي) يا رب بمحض فضلك وكرمك، وإنما قدرنا ذلك لأن الله تعالى لا يجب عليه شيء، والغفر الستر ـ أي استر ـ **(ذنوبي)** جمع ذنب وهو ما استحق صاحبه عليه العقوبة، أي لا تعاقبني بالسلب **(فإنه)** أي الحال والشأن **(لا يغفر)** أي لا يمحو ويستر **(الذنوب)** أحد **(إلا أنت)** يا رب فإنك إن قابلت ذنوبي بالمغفرة والستر لا أفتضح بها يوم يقوم الأشهاد، وإن تفضّلت عليّ بالعفو والتجاوز فزت ونجوت من العذاب، فإن المغفرة تقتضي تغطية الذنب وستره والعفو يقتضي محو الذنب وعدم تعذيب صاحبه، وفائدة الإقرار بالذنب أن الاعتراف يمحو الاقتراف، كما قيل:

فإن اعتراف المرء يمحو اقترافه كما أن ارتكاباً للذنوب ذنوب

وهذه الصيغة التي أوردها الشيخ قدّس الله سرّه مقتبسة من الحديث الذي رواه أحمد والبخاري والنسائي عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهمَّ أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر من صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقناً فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها بالليل وهو موقن فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**» انتهى. كذا في «الجامع الصغير» للجلال السيوطي رحمه الله تعالى.

والشيخ نفعنا الله به قدّم الثناء والتوحيد قبل طلب المغفرة وستر الذنوب إيقاناً بوعد الصادق المصدوق ﷺ في قوله: «**إن الله لا يهتك ستر عبد فيه مثقال ذرة من خير**»[1] أي شيء قليل من الإيمان بل يتفضل عليه بستر قبائحه في هذه

(1) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (617) [1/ 166].

الدار ومن ستره الله في هذه الدار لا يفضحه في يوم القرار. فعلى المذنب أن لا يغتر بكرم الله ولا يقنط من رحمة الله.

ثم أخذ رحمه الله تعالى في التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والثناء على الله تعالى بما هو أهله طمعاً منه رضي الله عنه في أن يعطيه الله تعالى فوق ما يعطي السائلين لقوله ﷺ في الحديث القدسي إخباراً عن الله تعالى: «**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**»[1]، فقال رضي الله عنه:

(سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر) وهذه الكلمات الأربع أفضل الكلام وأحبه إلى الله تعالى بعد القرآن، إذ هي أفضل كلام الآدميين. ذكره النووي. وفي حديث أحمد عن رجل وابن حبان في «صحيحه» من حديث سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الكلام أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر**»[2]. والمراد كما قال القاضي من كونها أفضل الكلام ـ أي كلام البشر ـ لأن الثلاث الأول وإن وجدت في القرآن لكن الرابعة وهي الله أكبر لم توجد فيه ولأنه ورد في خبر: «**أفضل الذكر بعد كتاب الله سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر**»[3]. وقدم أبو حنيفة الأول وهو التسبيح وجعله أفضل مما بعده، وفضَّل مالك الثاني وهو المختار عند أصحاب الشافعي. وإنما كانت هذه الكلمات الأربع أفضل الكلام وأحبه إلى الله تعالى لأنها جامعة لجميع أنواع الذكر من تسبيح وتحميد وتوحيد وتمجيد ولدلالتها على جميع المطالب الإلٰهية إجمالاً والمعارف الإلٰهية، فالتسبيح تقديس لذاته تعالى عمّا لا يليق بجلاله وتنزيه

---

(1) رواه ابن أبي شيبة، الدعاء بلا نية ولا عمل، حديث رقم (29271) [6/ 34]، ورواه القضاعي في المسند، من شغله ذكري...، حديث رقم (584) [1/ 340].

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب 8 إذا قال: والله لا أتكلم...، [6/ 2459] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر البيان بأن ما وصفنا من التسبيح...، حديث رقم (839) [3/ 120] ورواه غيرهما.

(3) أورده محمد آبادي في عون المعبود، باب تمام التكبير...، حديث رقم (832) [3/ 44] ونصه: «أفضل الذكر بعد كلام الله: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر»، وقال: قال المنذري: وأخرجه النسائي.

صفاته عن النقائص، والتحميد منبه على معنى الفضل والإفضال من الصفات الذاتية والإضافية، والتهليل توحيد للذات ونفي للضدّ والندّ، والتكبير اعتراف بالقصور في الأقوال والأفعال. وهذه الكلمات هنّ الباقيات الصالحات كما في خبر[1].

ثم ختم الشيخ قدّس الله سرّه هذه الكلمات بقوله: **(ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم)** مشيراً إلى التبري من الحول والقوة والاعتماد على حول الله وقوته، أي لا حركة ولا حيلة لعبد إلا بمشيئة الله تعالى وإقداره وتمكينه. وفي هذا التدريج لمحة من معنى العروج للساكن العارف. وأخرج الحكيم عن معاذ مرفوعاً: «**ألا أخبركم عن وصية نوح لابنه حين حضره الموت قال: إني واهب لك أربع كلمات هنّ قيام السماوات والأرض وهن أول كلمات خروجاً من عنده فاعمل بهن واستمسك حتى يلقاك وهي أن تقول: سبحان الله وبحمده، ولا إلٰه إلا الله والله أكبر، والذي نفس نوح بيده لو أن السماوات والأرضين وما فيهن وزن بها لوزنتهن**». قال الحكيم: فنعم الواهب ـ أي نوح ـ ونعم الموهوب له، أي ولده، ونعم المواهب، أي هذه الكلمات، فمن قام بها كان من الأولياء فإنها عماد الأعمال، فبالتسبيح تطهر الأعمال، وبالتقديس والتحميد تحطّ الأثقال، وبالتهليل تقبل الطاعات، وبالتكبير ترفع وتنال الثبات. وأخرج ابن عدي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنز الجنة**». قال المناوي: أي ثوابها نفيس مدّخر في الجنة كما يدّخر الكنز ويحفظ في الدنيا. وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا من غراس الجنة فإنه عذب ماؤها طيب ترابها فأكثروا من غراسها وهو لا حول ولا قوة إلا بالله**» ومعناها لا تحول للعبد عن معصية الله ولا قوة له على طاعة الله إلا بإقداره تعالى له وتوفيقه.

---

(1) الخبر هو ما رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح . . . ، حديث رقم (1889) [1/ 694] ونصه: «عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هن يا رسول الله، قال: الملّة، قيل: وما هي، قال: التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله».

(هو) سبحانه وتعالى بما له من العظمة والجلال والكبرياء **(الأول)** أي الذي لا مفتتح لوجوده **(و)** هو **(الآخر)** أي الذي لا مختتم لوجوده لثبوت قدمه واستحالة عدمه، فكلّ شيء منه بدأ وإليه يعود، وخاصية اسمه تعالى الأول جمع الشمل فإذا واظبه مسافر كل يوم جمعة ألف مرة انجمع شمله وخاصية اسمه تعالى الآخر صفة الباطن مما سواه تعالى فإذا واظبه الشخص كل يوم مائة مرة خرج من قلبه ما سواه تعالى.

(و) هو **(الظاهر)** أي الواضح الربوبية بالدلائل له في كل شيء آية تدل عليه ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذّاريات: الآية 21]، **(و)** هو **(الباطن)** أي المحتجب عن التكيف والأوهام، فهو الظاهر من جهة التعريف الباطن من جهة التكييف. قال في «الحكم»: «أظهر كل شيء لأنه الظاهر، وطوى وجود كل شيء لأنه الباطن». وخاصية اسمه تعالى (الظاهر) إظهار نور الولاية على قلب قارئه وعلى قالبه، وخاصية اسمه تعالى (الباطن) وجود الأنس لمن قرأه كل يوم ثلاث مرات في كل مرة ساعة زمانية.

(وهو) سبحانه وتعالى **(بكل شيء عليم)** أي لكون الأشياء عنده تعالى على حدٍّ سواء، والبطون والظهور إنما هو بالنسبة إلى الخلق، وأما هو سبحانه وتعالى فلا باطن من الخلق عنده بل هم في غاية الظهور لديه لأنه هو الذي أوجدهم، فعلمه سبحانه وتعالى بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن. وقال يمان: هو الأول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم. وقال السدّي: هو الأول ببرّه إذ عرّفك توحيده، والآخر بجوده إذ عرّفك التوبة مما جنيت، والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له، والباطن بستره عليك إذ عصيته فستر عليك. وقال الجنيد: هو الأول بشرح القلوب، والآخر بغفران الذنوب، والظاهر بكشف الكروب، والباطن بعلم الغيوب وعلمه سبحانه وتعالى محيط بالكائنات وغيرها إحاطةً لا يدخلها قصور ولا شرط، فهو يعلم ذنوب عباده ولا يعاجلهم بالعقوبة حلماً منه لعظمته وعلو شأنه، فإنه لا يعاجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوت. والعلم صفة من صفات المعاني ينكشف بها ما تتعلق به انكشافاً لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه.

(يحيي) أي له سبحانه وتعالى صفة الإحياء فيحيي ما يشاء من الخلق بأن يوجده على صفة الحياة كيف شاء في أطوار بقائها كيف شاء ومما شاء، وهي ـ أعني الحياة ـ صفة من صفات المعاني لا تتعلق بشيء أصلاً، يعني أنها لا تقتضي أمراً زائداً على القيام بعملها.

(ويميت) أي له هاتان الصفتان صفة الإحياء وصفة الإماتة على سبيل الاختيار والتجدد والاستمرار فهو قادر على البعث بدليل ما ثبت له من صفة الإحياء والإماتة.

(وهو) مع اتصافه بصفات الكمال **(على كل شيء)** من الإحياء والإماتة وغيرهما من كل ممكن **(قدير)** أي بالغ القدرة، فقدير صفة مبالغة من قادر وكونه تعالى قادراً من الصفات المعنوية فيستحيل عليه العجز عن ممكن ما.

(سبحانك) أي أنزِّهك تنزيهاً يليق بعظمتك **(يا عظيم)** وهو الذي لا يمكن لأحد مقاومته بل كل أحد يخشاه ويتقيه ولا يمكن أن يدركه كنه عقل فيحصيه **(سبحانك)** أي تنزيهاً لك **(يا معظَّم)** أي يا من تخشاه الملوك والجبابرة وتخضع له رقاب الفراعنة والأكاسرة وتسجد له الجباه على مواطىء الأقدام **(سبحانك)** أي تنزيهاً لك وتقديساً عن كل ما يليق بكبريائك **(يا مقتدر)** من الاقتدار وهو الاستيلاء على كل من أعطاه حظاً من قدرته ذكره الحرالي.

(سبحانك) مصدر ملازم للنصب دائماً بعامل مقدّر تقديره أسبِّح تسبيحاً لك **(يا عالم السرِّ والخفيَّات)** أي يا مطلِّعاً على مضمون الأسرار وعالماً بما هو أخفى من ذلك ما يغيب عن علمك شيء من ذلك. وفي تفسير القرطبي قال ابن عباس: السر ما حدّث به الإنسان غيره في خفاء، والخفيات جمع خفي وهو كل ما كان أخفى من السرّ. قال ابن عباس: هو ما أضمره الإنسان في نفسه مما لم يحدِّث غيره، أي إنه سبحانه وتعالى يعلم سرَّ الإنسان ويعلم ما هو أخفى من السر مما يحدِّث به نفسه فيعلم تضرُّع عبده ويسمع دعاءه سواء جهر به أو أسره أو أخفاه.

(سبحانك) ما أبلغ قدرتك **(يا باعث)** أي معيد ومرسل ومحيي وحاشر **(من)** مات وقبر **(في الجدالة)** أي الأرض، كما في «الصحاح»، ومنه قول عليٍّ

كرَّم الله وجهه لما رأى عمار بن ياسر مقتولاً: «أعزز عليَّ أبا اليقظان أن أراك صريعاً مجدّلاً» أي مرمياً على الجدالة بفتح الجيم وهي الأرض. قاله الهروي في التصريح. وقال في «القاموس»: الجدل القبر، والمعنى باعث من في القبور ومعيد أرواحهم إلى أجسادهم بعد فنائها.

(و) سبحانك يا باعث من في **(المسموكات)** أي السماوات، جمع مسموكة وهي السماء وكلُّ شيء مرتفع يقال له مسموك. والمراد ببعث من في الأرض إحياء من مات عليها وإعادة روحه إلى جسده وحشره إلى أرض الموقف للحساب والقصاص سواء قبر في الأرض أم لم يقبر بأن أكلته السباع والطيور أو دواب البحر أو حرق فإن الله يبعثه لموقف الحساب. والمراد ببعث من في السماوات إحياء الملائكة الذين ماتوا بنفخة الصعق وهي النفخة الأولى التي يصعق أي يموت منها جميع المخلوقات من سكان الأرضين والسماوات إلا من استثناهم الله تعالى، وفيهم خلاف بين المفسرين مذكور في محله.

(تنبيه) في حفظي إني قد كنت رأيت في بعض الكتب المعتمدة أن الذي يحشر يوم القيامة إنما هو الحيوان المتولد بواسطة التناكح دون الحيوان المتولد من العفونات كالبعوض والذباب والدود، ثم رأيت العلامة الخطيب نقل في تفسيره عن قتادة قال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: الآية 5] يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص اهـ. وقيل: إذا قضي بينها ردت تراباً فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاووس ونحوه اهـ. فهو يفيد أن كل حيوان يحشر سواء تولّد بالتناكح أو بسبب العفونات. وكلام ابن عباس لا يدل لشيء من ذلك بل هو للثاني أقرب حيث قال: المراد من حشرها موتها اهـ. فالموت طارئ على كل حيوان مطلقاً والتردد في حشر الحيوان المتولد من العفونة وهو محتاج للتصحيح أو نقل ظاهر لا يطرقه احتمال اهـ وقد ذكرناه في مجموعتنا الكبرى.

(سبحانك يا مستعبد جميع الخلائق) أي خلقتهم لعبادتك فهم كلهم عبيدك، وفرضت عليهم توحيدك. ومعنى مستعبد جميع الخلائق أي مكلفهم بمعرفته وتوحيده ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريَم:

الآية 93]. ولفظ الخلائق عام يشمل الحيوانات والجمادات والكل مكلفون بالتوحيد ومعرفة وحدانية الذات العلية بشهادة ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسرَاء: الآية 44]، وبشهادة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النُّور: الآية 41] وهذا التسبيح إما أن يكون المراد منه دلالته بخلق هذه الأشياء على كونه تعالى منزَّهاً عن النقائص موصوفاً بنعوت الجلال، أو يكون المراد منه في حق البعض الدلالة على التنزيه، وفي حق الباقين النطق باللسان. قال الرازي: والأول أقرب لأن الثاني متعذِّر لأن في الأرض مَن لا يكون مكلفاً لا يسبِّح بهذا المعنى، والمكلفون منهم من لا يسبِّح أيضاً بهذا المعنى كالكفار. وأما القسم الثاني وهو أن يقال: إن من في السماوات ـ وهم الملائكة ـ يسبِّحون باللسان، وأما الذين في الأرض فمنهم مَن يسبِّح على لسان الدلالة، فهذا يقتضي استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والمجاز معاً وهو غير جائز، أي عند أكثر العلماء، فلم يبق إلا القسم الأول وهو أن هذه الأشياء مشتركة في أن أجسامها وصفاتها دالة على تنزيه الله تعالى وقدرته وألوهيته وتوحيده وعدله فسمي ذلك تسبيحاً وعبادة توسعاً اهـ كذا نقلناه في «مجموعتنا الكبرى» وسيأتي إيضاح ذلك إن شاء الله تعالى عند قول المصنف: سبحانك ما ذكرناك حقَّ ذكرك إلخ.

والحاصل أنه سبحانه وتعالى خلق المخلوقات لعبادته وتوحيده كما قال جلّ شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: الآية 56] أي إلا لآمرهم بالعبادة وليقروا بها. وهذا منقول عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(سبحانك يا مقدِّر) من التقدير وهو إعطاء كل شيء قسمه ونصيبه **(الوجد)** بتثليث الواو وسكون الجيم أي الغني **(و)** يا مقدِّر **(الصوافق)** أي الأرباح في التجارات والبيوعات والخسارة فيها، فأنت الذي قدّرت الغنى والفقر والربح والخسران **(سبحانك يا من لا تطرأ)** أي تدخل **(عليه)** يقال طرأ من باب منع طرأ وطرّواً أتاهم من مكان وخرج عليهم منه فجأة والطارئة الداهية، والمعنى لا تفجأه ولا تدهاه ولا تصل إليه **(الآفات)** أي العاهات والبليات جمع آفة بالمدّ وهي العاهة والمحنة والبلية، أي لا يصل ولا يدخل شيء من ذلك على البارئ تعالى.

(سبحانك يا مكوِّن) من التكوين وهو الخلق والإيجاد، أي خالق **(الأزمنة)** جمع زمان كسحاب، هو والعصر اسمان لقليل الوقت وكثيره والجمع أزمان وأزمنة وأزمن **(و)** يا مكوِّن **(الأوقات)** جمع وقت وهو المقدار من الدهر. واعلم أن الله تعالى يعيد المعاني يوم القيامة كما يعيد الأجسام فيبعث الله يوم القيامة السنة والشهر والجمعة واليوم والليلة والساعة والزمان والوقت لتشهد لابن آدم بما عمل من خير وطاعة وعليه بما عمل من شر ومعصية، ففي «صحيح الحاكم» عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يبعث الله الأيام يوم القيامة على هيأتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة لأهلها يحفون بها كالعروس تهدي إلى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضاً، وريحهم يسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور ينظر إليهم الثقلان لا يطرقون تعجباً حتى يدخلون الجنة لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون**»[1] اهـ.

ولذا طلب من الإنسان كثرة الصلاة والسلام على النبيّ ﷺ في ليلة الجمعة وفي يومها. روى البيهقي عن أبي هريرة وابن عدي عن أنس قالا: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا الصلاة عليَّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر فإن صلاتكم تعرض عليَّ**»[2] والمراد ليلة الجمعة ويومها. وكفى بالعبد شرفاً ورفعةً أن يذكر اسمه بالخير بين يديه ﷺ. وذكر أبو طالب المكي: إنَّ أقل الأكثرية ثلاث مائة مرة والوارد في الصلاة عليه ألفاظ كثيرة أشهرها: اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

والذي تلقيناه عن المشايخ حال سلوكنا الطريق: اللهمَّ صلِّ على محمد النبيّ الأمي وعلى آله وصحبه وسلِّم، ونحن نأمر به السالك، ووجه مناسبة

---

(1) المستدرك على الصحيحين، كتاب الجمعة، حديث رقم (1026) [1/ 412] ورواه ابن خزيمة في الصحيح، باب صفة يوم الجمعة، حديث رقم (1730) [3/ 117] ورواه غيرهما.

(2) أورده المتقي الهندي في كنز العمال وعزاه إلى البيهقي عن أبي هريرة وابن عدي عن أنس عن الحسن وخالد بن معدان مرسلاً، حديث رقم (2139) [1/ 247].

الصلاة عليه يوم الجمعة وليلتها أن يوم الجمعة سيد الأيام والمصطفى ﷺ سيد الأنام، فللصلاة عليه في يوم الجمعة مزية ليست توجد في غيره مع حكمة أخرى وهي أن كل خير تناله أمته في الدارين فإنما هو بواسطته، وأعظم كرامة تحصل لهم في يوم الجمعة وهي بعثهم من قبورهم إلى قصورهم ومنازلهم في الجنة، وكما أنه عيد لهم في الدنيا فكذا في الأخرى فإنه يوم المزيد الذي يتجلى لهم الحق تعالى فيه، وهذا حصل لهم بواسطة المصطفى ﷺ، فمن شكره إكثار الصلاة عليه فيه.

(علا) أي ارتفع **(قدرك)** أي مقدارك، وتعاظم جلالك عن كل ما لا يليق بعليِّ جنابك الأقدس. والمراد علوُّ قدر وشرف ومنزلة لا علو مكان وجهة تعالى الله عن المكان والجهة وارتفع وتقدّس عن كل ما ينسبه إليه الجاهلون مما لا يليق بجلال الربوبية.

(وتعاليت) أي تقدَّست يا إلٰهي وتنزَّهت **(عما يقول الظالمون)** أي المائلون عن الحق العادلون عن طريق الرشد، السالكون سبيل الغي من أهل الزيغ والضلال، الذين يقولون بالشركة وتعدُّد الآلهة، وينسبون للحضرة العلية صاحبة وولداً وغير ذلك مما لا يليق بجلال الربوبية، وهو مقتبس من سورة الإسراء من قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [الإسرَاء: الآيتان 42 - 43] **(علواً)** مصدر واقع موقع التعالي الذي هو التعاظم أي تعالياً **(كبيراً)** أي بليغاً لا يدرك بالعقول ولا يتخيل في الأوهام ولا يلحقه نقص ولا تغيير.

(سبحانك) أي أنزِّهك تنزيهاً لائقاً بعلوك وكبريائك **(يا معتق الرقاب)** جمع رقبة وهي كناية عن الشخص بجملته من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، والمراد أنه تعالى بفضله وكرمه يعتق أي يجبر ويخلص من شاء من عباده من عذاب النار بعد استحقاقه لها بذنوبه وعصيانه. أو المراد أنه تعالى يلهم السادات فكّ رقاب العبيد من غلّ الاسترقاق، أو المراد معتق الرقاب من أسر الشهوات ورق الأغيار، فإن من أسرته الشهوات واسترقته الأغيار فقد سجن في سجن الطبيعة وقيّد بقيود النقص والشيطان والهوى والدنيا، وعند ذلك يخسر

خسارة الأبد، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، فكان الشيخ قدَّس الله سرّه يقول: اللهمَّ كما خلصت الأرقّاء من قيود الرق وأعتقتهم من الأسر، فخلِّص رقابنا من رقّ الأغيار، وفكَّ قيودنا من أسر الشهوات والنفس والشيطان والهوى، وأطلقنا من سجن الطبيعة كي لا أكون تحت رق شيء من المخلوقات فأكون عبداً لك خالصاً. والمعنى في ذلك أنه طلب السلامة والنجاة والخلاص من أسر الشهوات ليحوز درجة الأحرار، والحرية في اصطلاح القوم هي الانطلاق عن رق الأغيار، فحقيقة الحرية في كمال العبودية، فمن صدقت لله عبوديته خلصت عن رق الأغيار حريته. ومعنى صدق العبودية أن يعبد الله تعالى لكونه مخلوقاً للعبادة، ولأن الله تعالى أهلٌ لها، لا طمعاً في جنة ولا هرباً من نار، فإنه حينئذ يكون عبد الجنة أو النار وهذا مقام المخلصين.

(سبحانك يا مسبِّب الأسباب) أي يا خالق الأسباب والمسببات، ومرتِّب المسببات على أسبابها الظاهرة لحكمة، فإنه تعالى قادر على إيجاد الأشياء اختراعاً وابتداءاً لا بتقديم سبب ولا بسبق علة، بأن يشبع الإنسان مثلاً من غير أكل، ويرويه من غير شرب، وينشىء الخلق من غير جماع، لكنه تعالى أجرى عادته بأنّ الشبع يحصل عقب تناول الطعام، والري عقب تناول الشراب، والولد عقب الجماع، فعادته تعالى في خلقه تعليق الأحكام بالأسباب، وترتيب الحوادث على العلل، فإن الإنسان وإن علم أن ما قدر له من خير وشرٍّ لا بدَّ من وصوله إليه لا ينبغي له أن يترك السعي في تحصيل الخير والاحتراز من الشر رأساً، فإنه جهل وإبطال لحكمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ [المُلك: الآية 15]، وقال تعالى لمريم: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريَم: الآية 25]، وقال ﷺ: «**إن الله يحب أن يرى عبده تعِباً في طلب الحلال**»[1] والسبب في الأصل الشيء الذي يتوصل به إلى غيره.

(1) أورده الغزالي في الإحياء، الباب الأول في فضل الكسب...، [2/ 61] وعزاه إلى الديلمي في مسند الفردوس. وأورده أبو الفضل العراقي في المغني عن حمل الأسفار وقال: وفيه محمد بن سهل العطار، قال الدارقطني: يضع الحديث. حديث رقم (1584) [1/ 418].

(سبحانك يا حي) أي يا موصوف بالحياة التي لا يجوز عليها فناء ولا موت **(يا قيوم)** أي يا قائماً بنفسه من غير استعانة بشيء مطلقاً وبه قامت الأشياء **(لا يموت)** أي لا يطرأ عليه موت لأن الموت نقص في شأن الألوهية.

(سبحانك يا إلٰهي) أي يا معبودي، والنداء بهذا الاسم قليل والأكثر أن يقال: اللهم، فإنه وارد في الأدعية كثيراً ومن القليل كما هنا قوله ﷺ: «**إذا مات حامل القرآن أوحى الله إلى الأرض أن لا تأكلي لحمه، قالت: إلٰهي كيف آكل لحمه وكلامك في جوفه**»[1] رواه الديلمي عن عائشة. ومنه قول داود عليه الصلاة والسلام: «إلٰهي ما حق عبادك عليك إذا هم زاروك فإن لكل زائر على المزور حقاً؟ قال: يا داود فإن حقهم عليَّ أن أعافيهم في دنياهم وأغفر لهم إذا لقيتهم»[2] رواه الطبراني وابن عساكر عن أبي ذر بسند ضعيف، كذا في «الجامع الصغير» اهـ.

والإلٰه هو المنفرد بالألوهية وإليه يأله كل شيء، أي يلجأ، ولذلك يضاف إليه كل موجود في الوجود، والله هو الذي تأله فيه العقول أي تتحيَّر.

(و) سبحانك يا **(إلٰه)** أي رب **(الناسوت)** أي البشر، مأخوذ من ناس ينوس نوساً إذا تحرك، سمي البشر بذلك لتحرك البشرية بتحرُّك الروحانية **(خلقتنا)** أي أوجدتنا من العدم **(يا ربنا)** أي يا موجدنا ومصلحنا **(بيدك)** أي بذاتك وقدرتك، أي أنعمت على أصلنا وهو آدم أبو البشر بإخراجه من العدم إلى الوجود فكان سبباً لوجودنا بعد العدم. فالمراد من اليد الذات والقدرة لا حقيقة الجارحة لأنها محال على الله تعالى. قال علماء التفسير في قوله تعالى خطاباً لإبليس خطاب توبيخ وإذلال وطرد وهو أن ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية 75] أي بذاتي من غير توسط أب وأم وتثنية اليدين مع أن المراد بهما الذات لإبراز كمال الاعتناء بخلق آدم عليه الصلاة والسلام

---

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، حديث رقم (2487) [1/ 277] وعزاه إلى الديلمي عن جابر.

(2) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، حديث رقم (11862) [5/ 9] وعزاه إلى الطبراني وابن عساكر عن أبي ذر وقال: وسنده ضعيف.

المستدعي لإجلاله وتعظيمه قصداً إلى تأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ لإبليس في امتناعه من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام.

(وفضلتنا) أي ميزتنا معاشر بني آدم **(على كثير من خلقك)** غير العقلاء **(تفضيلاً)** أي بالغلبة والاستعلاء أو بالشرف والكرامة، وهذا مقتبس من قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسرَاء: الآية 70]، والمراد أنه تعالى فضّل جنس البشر على أجناس غيره كالملائكة ولا يلزم منه أي من تفضيل جنس البشر على جنس الملك تفضيل أفراد جنس البشر، أي كل فرد منهم إذ هم أي الملائكة أي جنسهم أفضل من البشر غير الأنبياء لا أفرادهم، إذ عوام البشر أي صلحاؤهم كالصديق رضي الله عنه أفضل من عوام الملائكة أي غير الرؤساء منهم على المعتمد، والمراد من هذا التفضيل التكريم بجميع أنواعه كاعتدال الخلق والحكم بالطهارة بعد الموت وهذه من أنواع التكريم الذاتية، وأما أمور التكريم العرضية فكالعلم والنطق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسرَاء: الآية 70]. قال في الخازن: قال ابن عباس: معناه أنهم يأكلون بالأيدي وغير الآدمي يأكل بفيه من الأرض، يعني أن الله كرَّم بني آدم وفضلهم وميَّزهم على غيرهم بأنواع التكريم والتفضيل كالعقل والنطق والتمييز والخط والفهم وتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم وحسن تدبيرهم أمر المعاش والمعاد وكاللحا للرجال والذوائب للنساء وتناول الطعام بالأيدي وعقد النكاح والدفن بعد الموت وكونهم خير أمة أخرجت للناس وحملهم في البرّ على الدواب وفي البحر على السفن، وخلق جميع ما في الأرض لأجلهم، وكونه تعالى رزقهم من الطيبات، أي المستلذات الحيوانية كاللحم والسمن واللبن والنباتية كالثمار والحبوب، وقيل: إن جميع الأغذية إما نباتية وإما حيوانية، ولا يتغذى الإنسان إلا بأطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام، ولا يحصل هذا لغير الإنسان.

فإن قلت: ما الفرق بين التكريم والتفضيل فإنه تعالى قال في أول الآية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسرَاء: الآية 70]، ثم قال في آخرها: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ﴾

[الإسرَاء: الآية 70]، أجيب: بأن الله تعالى كرَّم الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والحظ وحسن الصورة، ثم إنه تعالى عرّفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة، فالأول هو التكريم، والثاني هو التفضيل. ذكره الخازن. ولما كان ذلك الإيجاد من العدم وذلك التكريم والتفضيل نعمة جسيمة ومنّة عظيمة قائلها الشيخ قدّس الله سرّه بالحمد والشكر تقييداً لتلك النعم في قوله:

(فلك) يا ربنا **(الحمد)** أي الثناء الجميل حيث إنك أنت المنعم الحقيقي المستحق جميع أنواع المحامد على كل حال **(و)** لك يا ربنا **(النعماء)** بفتح النون وإسكان العين وبالمدّ جمع نعمة وهي كما قال الزمخشري: كل نفع قصد به الإحسان أي أنت مبديها ومتفضل بإيصالها إلينا **(ولك)** يا ربنا لا لغيرك **(الطَوْل)** بفتح الطاء المهملة وتسكين الواو الفضل والقدرة والغنى والسعة والمَنّ. وقال البيضاوي: الطول الفضل بترك العقاب للمستحق.

(و) لك يا ربنا لا لغيرك **(الآلاء)** بالمد أي النِّعم جمع إلى بالفتح وقد يكسر ونعم الله على العبد كثيرة لا تتناهى من حين استقراره نطفة في رحم أمه إلى حين ولادته، ومن ولادته إلى موته، ومن موته إلى حشره ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: الآية 18].

(يا ربنا تباركت) أي تعاظمت وكثرت بركاتك في السماوات والأرض فأنت المخصوص بالخيرات الابتداعية والبركات المتوالية **(وتعاليت)** أي ارتفعت وتنزَّهت أن تنقص خزائن جودك وبرك، وتقدّست أن ترمى بالبخل، فسحاب جودك وإنعامك هطَّال، وغيث كرمك وإحسانك هام على العباد في الدنيا والآخرة لا ينقطع وابله.

(نستغفرك) أي نطلب منك الغفران لذنوبنا والعفو عن تقصيرنا للقيام بواجب شكرك فإنك حليم لا تعجِّل بالعقوبة **(ونتوب)** أي نرجع نادمين **(إليك)** ونستظل بظل عفوك طامعين بحلمك حيث لا نجد غافراً للذنب وقابلاً للتوب سواك، وقد قلت في كتابك المنزل على نبيك المرسل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طٰه: الآية 82].

ثم أخذ الشيخ قدّس الله سرّه في الثناء على الله بما هو أهله منزِّها لله تعالى ولصفاته عن التشبيه والتعطيل والتجسيم بما فيه معنى قدم الذات والصفات فقال: **(أنت)** بما لك من صفات الكمال والجلال والجمال **(الأول)** أي لك الأولية المحيطة بكل أول **(فلا شيء قبلك)** فلا مبتدأ لوجودك، كنت حيث كنت ولا شيء معك، ولا تدركك الفطن ولا تدري العقول كيف كنت قبل ظهورك في الأشياء. أشار الشيخ قدّس الله سره بذلك إلى العماء الذي كان فيه الحق جلّ وعلا المشار إليه في الحديث: «**كان ربنا في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء**»[1] يعني ليس معه شيء، والعماء بالمد كما في القاموس: السحاب الرقيق المرتفع، وهو في اصطلاح القوم عبارة عن حضرة الواحدية ومرتبة الأحدية، أي كان ربنا سبحانه وتعالى قبل ذلك في عماء أي ستر وعدم ظهور كما يدل له حديث: «**كنت كنزاً مخفياً لا أُعرف فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق وتجلّيت إليهم بالنِّعم حتى عرفوني**»[2]، وفي رواية: «**وتعرّفت إليهم فبي عرفوني**». قال بعضهم: إن لفظة فبي عدد اسم محمد بالجمل أي فبمحمد عرفوني فهو أول مظهر ظهر فيه الحق تعالى ومنه نشأت حقائق سائر الأشياء.

(وأنت الآخر) أي بلا انتهاء ولا تأخير أحد **(فلا شيء بعدك)** فأنت مبدأ الوجود ومنتهاه لا يعرف حقيقة ما أنت إلا أنت **(وأنت الظاهر)** الذي ظهر وجودك بالآيات والدلائل المثبتة في أرضك وسمائك إذ ليس ذرة في السماوات ولا في الأرض إلا وهي شاهدة باحتياجها إلى مدبِّر دبرها ومقدِّر قدّرها **(فلا شيء)** في السماء ولا في الأرض **(يشبهك)** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: الآية 11] تعالى عن الشبيه والنظير والعديل والمماثل.

(وأنت الباطن) بذاتك المحتجب عن نظر العقل بحجب كبريائك **(فلا**

---

(1) رواه الترمذي في سننه، باب ومن سورة هود، حديث رقم (3109) [5/ 288]، ورواه ابن ماجه في سننه، باب فيما أنكرت الجهمية، حديث رقم (182) [1/ 64] ورواه غيرهما.

(2) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2016) [2/ 173].

شيء يراك) في الدنيا والمنفى إنما هو رؤية الإحاطة فلا يحيط به تعالى بصر أحد لا في الدنيا ولا في الآخرة لعدم انحصاره تعالى لقوله عزَّ وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: الآية 103]. قال العلامة سليمان الجمل رحمه الله تعالى في حاشيته على «تفسير الجلالين» نقلاً عن الخازن: قال جمهور المفسرين: معنى الإدراك الإحاطة بكنه الشيء وحقيقته والأبصار ترى الباري جلّ جلاله ولا تحيط به. وقال ابن عباس: كلّت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به.

وتمسك بهذه الآية قوم من أهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا: إن الله لا يراه أحد من خلقه لأن رؤيته تعالى مستحيلة عقلاً. ومذهب أهل السنَّة والجماعة: أن المؤمنين يرون ربهم في عرصات القيامة وفي الجنة، وأن رؤيته تعالى غير مستحيلة عقلاً. واحتجوا لمذهبهم المنصور بتظاهر أدلة الكتاب والسنَّة والإجماع من الصحابة ومن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين في الآخرة. قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القِيَامَة: الآيتان 22- 23] ففي هذه الآيات دليل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث. وخرج بالبصر رؤية القلب التي هي عبارة عن أمر يخلقه الله تعالى في القلب في المنام وهو الرؤيا أو عن دوام استحضار الله تعالى بصفات الجلال ونعوت الإكرام، وهو المسمى عند الصوفية بمقام الشهود، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى عند قول المصنف قدّس الله روحه: وتثبت شهودنا في مقام الإحسان.

(وأنت الواحد) أي المتعالي عن التجزُّؤ والانقسام فلا يتطرق إلى ذاتك التعدُّد والاشتراك، ولذا قال: **(بلا كثير)** أي لا من جهة العدد. حكي أن الحجَّاج سأل الشعبي فقال له: واحد من اثنين وواحد من واحد وواحد لواحد أيها تعبد يا شعبيّ، فقال الشعبي: لا أعبد واحداً من طريق العدد ولا واحداً من طريق الجسد ولا واحداً مثل الولد، أعبد واحداً لا يدخل في عدد ولا يخرج من جسد ولا يستقر في الصلب مثل الولد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: الآية 11].

وحكي أن بعضهم سلَّم ابنه لمعلِّم ليعلِّمه الحساب، فقال المعلِّم للولد: قل واحد، فقال الولد: واحد، فقال المعلِّم: قل اثنين، فقال الولد: واحد، فقال: قل ثلاثة، فقال: واحد، فشكاه المعلِّم إلى أبيه فقال الأب: لِمَ تفعل ذلك يا ولدي، فقال الولد: إني أستحيي من الواحد أن أذكر الاثنين وأن أتعلَّم في الحساب أكثر من الواحد. انتهى. ذكره صاحب «الحدائق لأهل الحقائق».

(وأنت القادر) الحقيقي، وأما غيره تعالى إنما تكون له القدرة بواسطة الاقتدار الإلٰهي فهو تعالى متمكن من الفعل **(بلا)** معالجة ولا واسطة **(وزير)** بعينه على إيجاد الممكن، فإذا قال تعالى لممكن شاء إيجاده: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعَام: الآية 73] ذلك الممكن على وفق ما أراده تعالى بمجرد تعلق الإرادة بإبرازه تبرزه القدرة **(وأنت المدبِّر)** لأسرار خلقك بما تحار فيه الألباب وخواص هذا الاسم أن من داوم تلاوته أوقع له التدبير وشهد أنَّ التدبير في ترك التدبير، ومعناه أنه تعالى يدبر أمور خلقه **(بلا مشير)** أي من غير استعانة بأحد يشاوره في تدبير أمر خلقه لعدم احتياجه تعالى لأحد، فهو القائم بنفسه سبحانه وتعالى.

ثم إن الشيخ قدّس الله سره أورد في ورده هذا آية قرآنية يشير مضمونها إلى أنه جلّ ذكره هو المدبر بلا مشير لأنه هو مالك الملك على الإطلاق ولا ملك في الحقيقة سواه تعالى، وهو مدبر الملوك والممالك وكل ما سواه فانٍ وهالك، فقال: (﴿قُلِ﴾) أي يا أشرف الخلق يا محمد، إن كان الخطاب خاصاً به ﷺ، أو يا من يصح أن يتوجه إليه الخطاب من كل عاقل إن كان الخطاب عاماً له ولغيره (﴿ٱللَّهُمَّ﴾) أي يا الله الذي له القدرة القاهرة يا (﴿مَٰلِكَ﴾) أي صاحب (﴿ٱلْمُلْكِ﴾) [آل عمران: الآية 26] حقيقة الذي ينفذ مشيئته في ملكه تجري الأمور فيه على ما يشاء ويريد، لا مانع له، ولا مضارع، بل هو الفاعل المختار لا مكره له على فعل ولا على ترك، ولا على قبض ولا على بسط، ولا على تولية ولا على عزل، ولا على إيجاد ولا على إعدام، ولا على إغناء ولا على إفقار، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد والكل تحت حكمه ومشيئته وفي قبضة قهره، فهو تبارك اسمه ملك لا يعزل، وسلطان لا يتحول، وجبار لا يقهر، وعزيز لا يذل، ومنتقم لا يعجز، وجواداً لا يبخل، وكريم لا يسأل، مالك الملك على الإطلاق ملكاً حقيقياً يتصرف فيه كيف يشاء، فالعباد وما ملكوا ملكه، والسماوات والأرضون

ملكه، والدنيا والآخرة ملكه، فهو ملك الملوك ووارثهم يوم لا يدعى أحد الملك غيره، يوم يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: الآية 16].

ورد في بعض الكتب المنزلة: «أنا الله ملك الملوك ومالك الملك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة، وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة. فلا تشتغلوا بسبِّ الملوك ولكن توبوا إليَّ أعطفهم عليكم». ذكره الخازن في تفسيره ونقله عنه العلامة الجمل.

وفي تفسير القرطبي قال علي رضي الله عنه: قال النبيّ ﷺ: «**لما أمر الله أن تنزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي، و**﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 18]، **و**﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 26] **إلى قوله:** ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: الآية 27] **تعلقن بالعرش، فقال الله: وعزّتي وجلالي لا يقرؤكن عبد عقيب كل صلاة مكتوبة إلا أسكنته حضيرة القدس على ما كان منه وإلا نظرت إليه بعيني المكنونة في كل يوم سبعين نظرة، وإلا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة، وإلا أعذته من عدوه بنصرته عليه، ولا يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**» اهـ.

(﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 26]) من خلقك لكون مالكيتك حقيقية ومالكية غيرك مجازية (﴿وَتَنزِعُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 26]) أي تسلب (﴿ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 26]) حسبما تقتضيه مشيئتك وإرادتك (﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 26]) من خلقك ممن سبقت له العناية (﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 26]) منهم ممن أدركته الشقاوة في الدنيا أو الآخرة أو فيهما، فتعزّ بالنصر والتوفيق، وتذل بالإدبار والخذلان، لا تُسأل عمّا تفعل.

(﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 26]) التقديم للاختصاص، أي أنت مالكه، وإنما خص الخير بالذكر لأنه المرغوب فيه أو لأنه المقتضي بالذات والشر مقتضى بالعرض، إذ لا يوجد شرٌّ جزئي ما لم يتضمن خيراً كلياً. قاله القاضي كالكشاف وهو ظاهر كما قاله الكرخي.

(﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [آل عِمرَان: الآية 26]) من الممكنات (﴿قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: الآية 26]) هو تعليل لما سبق وتحقيق له.

(﴿تُولِجُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 27]) أي تُدخل (﴿ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 27]) فينمحق أثره بامتداد نوره على الكون فيدل على أن له صانعاً حكيماً يغيِّره (﴿وَتُولِجُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 27]) يقال: ولج يلج من باب وعد يعد ولوجاً كدخول، ولجة كعدة، والولوج الدخول، والإيلاج الإدخال، أي تدخل (﴿ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 27]) فينطمس نوره ويضمحل ضوؤه فيدل بهيئته على موجده الذي أوجده. وتقديم الليل على النهار يدل أن الليل أفضل من النهار وهو الصحيح لأنه محل التجلي الإلٰهي والتنزُّل الرحماني والفيض الوهباني، وفيه القدر والإسراء والمعراج.

وقيل: النهار أفضل من الليل لأن غالب الفرائض تقع فيه كالصوم والوقوف بعرفة.

قال الشعراني قدّس الله روحه في كتابه «الجواهر والدرر»: قلت لشيخنا رضي الله عنه: رأيت في كلام بعضهم أن الليل ذكر والنهار أنثى هل ذلك صحيح؟ فقال: نعم، لما كان الحق سبحانه وتعالى يغشى الليل النهار توالدت الكائنات من غشيان الزمان. فقلت له: استخراج النهار الذي هو أنثى كاستخراج حواء من آدم؟ فقال: نعم ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ [يس: الآية 37] كان استخراج الليل الذي هو ذكر كاستخراج عيسى عليه الصلاة والسلام من مريم، وهنا الأسرار لا تذكر إلا مشافهة. ثم إن الليل له تجلٍّ وعالم، والنهار له تجلٍّ وعالم، فالمراد بتجلّي الليل هو تجلي الحق تعالى الحاصل على عباده الخاصة والعامة، والمراد بعالم الليل رجال من أهل الله تنزل عليهم الفيوضات الإلٰهية والواردات الرحمانية في الأوقات السحرية ثم يقسمونها على أربابها كما هو مبسوط في محله. أو المراد بهم ما حواه باطن فلك الليل من العباد الركَّع السجود والأرواح المجردة التي هي دائمة الشهود.

والمراد بتجلّي النهار الواردات الإحسانية والنفحات الامتنانية الواردة على الأجساد من طلوع الفجر إلى الشمس فهو وقت تقسيم قوت الأجساد وتفريق الأرزاق، ولذا كره النوم بعد الصبح ليكون الشخص حاضراً وقت القسمة الإلٰهية. فقد ورد في الحديث: «**نوم الصبحة يمنع الرزق، والواردة بعد**

العصر إلى غروب الشمس» فهذا وقت تقسيم قوت الأرواح ولذا طلب من الشخص ملازمة مصلاه والاشتغال بالذكر في هذا الوقت تلقياً للوارد الإلٰهي والفيض الإحساني.

والمراد بعالم النهار رجال من أهل الله ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النُّور: الآية 37] ولا تشغلهم أموالهم ولا أولادهم عن طاعة الله ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التّوبَة: الآية 71]، تصوم بطونهم عن الحرام والمشبوه وجوارحهم عن المعاصي وألسنتهم عن الفواحش والكذب، وأعينهم عمَّا لا يحل، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

(﴿وَتُخْرِجُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 27]) بقدرتك (﴿ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 27]) أي المسلم من الكافر (﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [آل عِمرَان: الآية 27]) أي الكافر من المسلم، فالمسلم حيُّ الفؤاد والكافر ميت الفؤاد. قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: الآية 122] قاله الكرخي.

(﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 27]) من عبادك (﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: الآية 27]) أي رزقاً واسعاً، أي بلا ضيق إذ المحسوب يقال للقليل.

(يا رحمٰن) بما ستر على العاصين (﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [البَقَرَة: الآية 114]) مأخوذ من الرحمة التي هي ظهور أمره تعالى في الخلق بنوع من الرفق **(و)** يا (﴿رَّحِيمٌ﴾ [الأنعَام: الآية 54]) بما غفر للمذنبين (﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [البَقَرَة: الآية 102]) فهو فعيل مأخوذ من الرحمة أيضاً وهو خاص بالمؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزَاب: الآية 43]، وإمداد الكافر إنما هو استدراج قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عِمرَان: الآية 178]. وقال عبد الله بن المبارك: الرحمٰن الذي إذا سئل أعطى، والرحيم الذي إذا لم يسأل عنت. وقيل: الرحمٰن بالإنقاذ من النيران، والرحيم بإدخال الجنان. وقيل: الرحمٰن بإزالة الكروب والعيوب، والرحيم بإنارة القلوب بالغيوب.

(سبحانك يا من احتجب) بحجاب النور **(في الأولى)** أي في الدنيا، أي تحيرت البصائر والأبصار وارتجت طرق الأفكار دون أنوار عظمته وكبريائه

وأشعة عزّه وسلطانه، فهي الحجب التي تحول بين العقول البشرية وما وراءها، ولو كشف تلك الحجب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه كما في حديث مسلم وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري، أي لأحرقت عظمة ذاته جميع المخلوقات من سائر العوالم السفلية والعلوية لأن بصره تعالى محيط بالكلّ، يعني لو كشف الحجاب عن ذاته لاضمحلت جميع مخلوقاته. والمراد بسبحات وجهه أنوار ذاته التي إذا رآها الملائكة المقرّبون سبَّحوا لما يروعهم من إجلاله وعظمته ويدهشهم من كمال جماله وجلال قدرته. والمراد بالنور الآيات البينات التي نصبها أعلاماً لتشهد له وتطرق أي توصل إلى معرفته والاعتراف به، فشبِّهت بالنور في إنارتها وهدايتها، قاله الزمخشري.

وهذا كله تقريب لأفهام العباد لأن كون الشيء ذا حجاب من أوصاف الجسم والحق سبحانه منزَّه عن ذلك. قاله المناوي رحمه الله تعالى. وقد تمسك بهذا بعض أهل الاعتزال بناء على مذهبهم الفاسد من عدم رؤية الله تعالى في الآخرة، وأجيب عنه بأن المراد منه مرتبة الألوهية والله تعالى لا يرى بها إنما يرى بمرتبة الربوبية. قال في «الحكم العطائية»: الحق تعالى ليس بمحجوب إنما المحجوب أنت عن النظر إليه إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ولو كان له ساتراً لكان لوجوده حاضراً، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر، وهو ﴿ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: الآية 18] كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء اهـ.

والمعنى أن الله تعالى محتجب في الدنيا **(عن)** أبصار **(جميع الورى)** أي المخلوقات، فلا يراه في الدنيا أحد. قال الشيخ علوان الحموي قدّس الله سره في «شرح الشيبانية»: اعلم أن فصل الخطاب هنا أن رؤية الله تعالى جائزة عقلاً ولكنها مع جوازها عقلاً هل هي واقعة حساً جائزة شرعاً أو لا، هذا محلُّ النظر والذي نراه ـ والله أعلم بغيبه ـ إنها غير واقعة بالبصر لغير سيِّدنا محمد سيِّد البشر ﷺ ولو وقعت لأعطيها الكليم، ومن المعلوم أن آخر مقامات الولاية أول مقامات الصدِّيقية، وآخر مقامات الصدِّيقية أول درجات النبوة، وآخر درجات النبوَّة أول درجات الرسالة، وآخر درجات الرسالة أول درجات

أولي العزم الذين من جملتهم موسى الكليم عليه الصلاة والسلام، ولم يظفر بالرؤية على المشهور عند الجماهير من السلف والخلف مع اختلافهم في وقوعها وثبوتها للنبي الفاتح الخاتم ﷺ ليلة الإسراء، فبين منكر من الصحابة كعائشة، ومن وافقها رضي الله عنهم، فقد صرّحت بتكذيب من نسب ذلك إلى النبيّ ﷺ كما رواه مسلم، وبين معترف بها مسلم لها كابن عباس وأتباعه رضي الله عنهم، وكل منهم أخبر عمّا وصله واعتقده، فكيف يظفر بها مَن دونهم في الرتبة وأسفل منهم بكثير في الدرجة اهـ. كذا نقلناه في مجموعتنا الكبرى عن «المطالب الوفية».

ومما يدلُّ على جواز الرؤية وعدم استحالة وقوعها تعليقها على ممكن وهو استقرار الجبل، وذلك لما سألها موسى فقال له: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعرَاف: الآية 143] ومعلوم أنَّ لا تفيد تأبيد النفي خلافاً لما في «الكشاف»، ولا تفيد تأكيد النفي خلافاً لما في الأنموذج، واستقرار الجبل ممكن غير مستحيل، فثبت بذلك جوازها عقلاً وعدم استحالة وقوعها.

وإنما قال المصنف قدّس الله سره: احتجب في الأولى، أي الدنيا لأن عباده المؤمنين يرونه في الجنة كما تقدم لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القِيَامَة: الآية 22] أي بهية مشرقة عليها أثر النعمة بحيث يدل ذلك على نعمة أصحابها مضيئة بأنوار الإيمان والطاعة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القِيَامَة: الآية 23] أي من غير إحاطة ولا تكييف ولا انحصار في جهة.

(سبحانك يا من تردى) أي اتصف **(بالوقار)** أي بالحلم والرزانة والمهابة **(والكبرياء)** أي العظمة والرفعة في الشرف. ففي الحديث القدسي: «**قال الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**»[1] أي من جاذبني إياه رميته في نار جهنم. فالكبرياء والعظمة وصفان

(1) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار بأن من تقرّب إلى الله قدر شبر...، حديث رقم (328) [2/ 35] ورواه أبو داود في سننه، باب ما جاء في الكبر، حديث رقم (4090) [4/ 59] ورواه غيرهما.

مختصان به تعالى، فمن ادعاهما كان كمن ادعى إزار شخص أو قميصه وهو لا يسلم له فيه إلا بعجزه، والله تعالى ليس بعاجز فلذلك أهلك من تردّى بالكبرياء والعظمة، فمن تكبَّر من المخلوقين فقد نازع الخالق في ردائه وإزاره فله في الدنيا الذل والصغار وله في الآخرة عذاب النار.

قال حاتم الأصم: لا يخرج الله المتكبِّر من الدنيا حتى يريه الهوان من أرذل أهله وخدمه ويتمرغ في بوله وقذره قبل أن يموت.

قال بعضهم: الرداء عبارة عن الجمال والبهاء، كأنه قال: لا تليق الكبرياء إلا بي لأن من هو دوني صفات الحدوث لازمة له وسمعة العجز ظاهرة عليه، والإزار عبارة عن الجلال والستر والامتناع من الإدراك والإحاطة به علماً وكيفية لذاته وصفاته، فكأنه قال: حجبت خلقي عن إدراك ذاتي وكيفية صفاتي بالجلال والعظمة.

(سبحانك يا مالك جميع الأشياء) ملكاً حقيقياً بطريق الأصالة ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: الآية 128]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: الآية 40]. قال العلامة الجمل رحمه الله تعالى: أي نستوعبها إرثاً بإهلاك أهلها فلا يبقى موجود غيرنا ولا يبقى لأحد غيرنا عليها ملك.

(سبحانك يا من تعزّز) أي غلب وتفرّد **(بالقدرة)** القاهرة القوية الباهرة. يقال: تعزز الرجل صار عزيزاً، والاسم منه العزة بكسر العين المهملة وهي القوة والغلبة.

(و) تعزّز وغلب **(بالعلاء)** بفتح العين المهملة وبالمدّ، أي الرفعة في الشرف والرتبة سبحانك **(ويا من يعلم)** علم إحاطة واطلاع أي يطلع ويحيط ويرى **(ما في الضواحي)** أي السماوات كما في «القاموس» وعليه يكون المعنى يعلم ما في السماوات من ملائكة ونجوم وأفلاك وأبراج وغير ذلك، أي يعلم أعداد ما اشتملت عليه السماوات وأعيانها. ويحتمل أن يراد بالضواحي النواحي جمع ضاحية وهي الجهة والناحية كما قاله الجوهري. وعليه فالمعنى يعلم جميع ما في نواحي العالم لا يغيب من ذلك شيء عن علمه تعالى.

والأول أقرب لكونه قابله بقوله: **(و)** يعلم عدد ما في **(الحسن)** بكسر الحاء المهملة وفتح السين المهملة مقصوراً بوزن إلى، وهو اسم السهل من الأرض يستنقع فيه الماء. وقال الجوهري: هو ما تشقه الأرض من الرمل، لكن المراد هنا مطلق الأرض سهلها ووعرها وجبالها وبحارها وأنهارها، والمعنى يعلم ما في الأرض من حيوان ووحش وطير وبهائم وحبوب ورمال وغير ذلك، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سَبَإ: الآية 2] أي إنه تعالى يعلم ما أودع في الخافقين من القوى علماً مستمراً إلى حين خرابهما فيعلم ما يدخل في الأرض من النبات وغيره من أجزاء الأموات وغيرها، وإن كان ذلك في غاية البعد فإن الأماكن كلها بالنسبة إليه تعالى على حدّ سواء في القرب والبعد، ويعلم ما يخرج منها أي من الأرض مثل ذلك، ويعلم ما ينزل من السماء من الوحي والأمطار والحرّ والبرد وغيرها من الأعيان والمنافع التي يوجدها سبحانه وتعالى من مقادير أعمار بني آدم وأرزاقهم وغيرها من جميع شؤونهم، ويعلم ما يعرج أي يصعد ويرتقي ويغيب فيها، أي في السماء كالأبخرة والأنوار والكواكب والأعمال وغيرها سبحانك.

(ويا من يعلم) أي يطلع ويشاهد **(ما يتلجلج)** أي يتردّد ويختلج **(في الصدور)** جمع صدور وهو مستقر القلب، أي يعلم ما يتردّد في القلب ويستقرّ فيه من الأسرار وإن لم يتحرك به اللسان، ويعلم ما أضمر الشخص في نفسه من خير وشر لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: الآية 284].

فإن قلت: ورد في الحديث: «**إن الله تجاوز لأمتي عمّا حدّثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل**»[1] رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة، وهو نصٌّ في أنَّ الله تعالى عفا عن حديث النفس والخواطر التي لا تستقر سواء كان ذلك الخاطر غيبة أو كفر أو غيره، فمن خطر له الكفر مجرد خطور من غير تعمد لتحصيله ثم صرفه في الحال فليس بكافر ولا شيء عليه كما نصّ عليه

(1) البخاري، باب إذا حنث ناسياً . . ، حديث رقم (6287) [6/ 2454] ومسلم، باب تجاوز الله عن حديث النفس . . . ، حديث رقم (127) [1/ 116] ورواه غيرهما.

العلماء فلم يؤاخذ الله بالخواطر التي تقع في القلوب قهراً ما لم يتكلم به الشخص باللسان في الخواطر القوليات أو يعمل بالجوارح في الخواطر العمليات، فحينئذ تقع المؤاخذة بالكلام أو بالعمل. وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: الآية 284] صريح في التكليف والمؤاخذة بالخواطر التي لا يقدر الإنسان على دفعها فكيف الجمع بين الحديث والآية؟ قلت: أجيب عنه بجوابين **أحدهما**: أن المراد بالمحاسبة مجرد الإخبار لا المعاقبة عليه، فهو تعالى يخبر العباد بما أخفوا أو أظهروا ليعلموا إحاطة علمه تعالى بالظواهر والخفيات ثم يغفر لمن لم يلحق الخاطر بالعزم على فعل المعصية أو ترك الواجب فضلاً منه وكرماً، ويعذب من أتبع الخاطر بالعزم على فعل المعصية أو ترك الواجب عدلاً.

والجواب الثاني: أن ما في الآية منسوخ إن أريد بما في النفس مطلق ما يرد على القلب من الخواطر، وأما إن أريد به خصوص العزم فلا نسخ. والحاصل أنه لا مؤاخذة بحديث النفس ما لم يبلغ حد الجزم وإلا أوخذ به حتى لو عزم على ترك واجب أو فعل محرم ولو بعد سنين أثم حالاً.

قال العزيزي في شرحه على «الجامع الصغير»: وهذا مخصوص بغير الكفر، أما الكفر إذا تردد فيه كفر حالاً. وقد نظم بعضهم مراتب القصد فقال:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه هم فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

وشرح تفاصيلها مذكور في العلقمي والعزيزي وحاشية شيخنا العلامة إبراهيم الباجوري حفظه الله تعالى.

فقول الشيخ قدّس الله سرّه: يا من يعلم ما يتلجلج في الصدور، أي يطلع على ما يتردّد في القلوب التي مسكنها الصدور، وهو من إطلاق المحل وإرادة الحال فيه، يشير بذلك إلى إحاطة علم الله تعالى بالضمائر، فيثيب من خطر له خاطر طاعة أو همَّ بها، ويتجاوز عمَّن خطر له خاطر معصية أو همَّ بها، ما لم يصمم ويعزم أو يتكلم أو يعمل. قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله**

عنده حسنة كاملة، فإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن همَّ بها فعملها كتبها الله تعالى سيئة واحدة، ولا يهلك على الله إلا هالك» رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة[1]. ومعنى الهمّ العقد والتصميم فتكتب الحفظة الهمّ بالحسنة حسنة كاملة لا نقص فيها، وإن نشأت عن مجرد الهمّ والتضعيف في الحسنة يكون بحسب الزيادة في الإخلاص وصدق العزم وحضور القلب وتعدّي النفع ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: الآية 261].

وأما الهمّ بالمعصية فمحل كتابته حسنة إذا تركها لله تعالى لما في رواية أبي هريرة: «**وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة**»[2]، فلا يسمى الإنسان تاركاً للمعصية إلا إذا تركها وهو قادر على فعلها خوفاً من الله ولم يعملها لا بجوارحه ولا بقلبه، وأما من كان حريصاً على فعلها وحال بينه وبين الفعل مانع فإنه لا يثاب على هذا الترك كما ذكره العزيزي. وفي خبر مسلم: «**الكف عن شرّ صدقة**». **والحاصل أن من أصرَّ على السيئات وأعرض عن الحسنات ولم تنفع فيه الآيات والنذر فهو غير معذور فهو هالك. قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى: وأعظم بمضمون هذا الحديث الشريف من منة إذ لولاه لما دخل أحد الجنة لغلبة السيئات على الحسنات اهـ.**

وأشار الشيخ المصنِّف قدّس الله سرّه بقوله: **(والحشىٰ)** بفتح الحاء المهملة والشين المعجمة مقصور، أو هو اسم لما انضمت عليه الضلوع، ويجمع على أحشاء، قاله الجوهري. وقال في «القاموس»: الحشا ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه اهـ. إلا أنه تعالى عالم بما انطوى عليه جسد الإنسان وبطنه من كبد وطحال وكرش وأمعاء ودم ولحم وعظام وعروق

(1) ورواه الطبراني في الكبير، عن ابن عباس، حديث رقم (12760) [12/ 161] ورواه النسائي في السنن الكبرى (5) الرحيم، حديث رقم (7670) [4/ 396] ورواه غيرهم.

(2) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم (7062) [6/ 2722] ورواه الطبراني في مسند الشاميين، حديث رقم (123) [1/ 87] ورواه غيرهما.

وأعصاب ومخ ومواد ورطوبات ويعلم مجرى الدم في العروق، ومجرى الطعام والشراب، وحظ كل عرق من الغذاء، لا يغيب عن علمه شيء من ذلك، فهو سبحانه وتعالى المستحق للعبادة ولأن يوصف بالقدرة التامة والعلم المحيط بالكائنات والمكونات، يعلم ما أسررت وما أعلنت وما أظهرت وما أخفيت، ويعلم ما أنت ومن أنت، ويعلم ذاتك وصفاتك المركبة فيك، ويعلم مستقر الروح منك ومسكن العقل فيك، ويعلم مستقر الفهم منك والذوق، وأين يكون عقلك وفهمك إذا غلب عليك النوم، ويعلم مجاري الطعام والشراب في أمعائك وعروقك، أفلا تستحي ممن أحاط علمه هذه الإحاطة أن تعصيه وتخالف أمره وتقصر في خدمته!.

ومما أنشده الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى للزمخشري حين تناظر معه، قوله رحمه الله تعالى:

قل لمن يفهم عني ما أقول ... قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه ... ضربت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا ... تدرِ من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات رُكِّبت ... فيك حارت في خفاياها العقول
أين منك الروح في جوهرها ... هل تراها فترى كيف تجول
وكذا الأنفاس هل تحصرها ... لا ولا تدري متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا ... غلب النوم فقل لي يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه ... كيف يجري منك أم كيف تبول
فإذا كانت طواياك التي ... بين جنبيك كذا فيها خلول
كيف تدري من على العرش استوى ... لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكي الرب أم كيف يرى ... فلعمري ليس ذا إلا فضول
فهو لا أين ولا كيف له ... وهو ربّ الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له ... وهو في كل النواحي لا يزول
جلّ ذاتاً وصفاتٍ وسما ... وتعالى قدره عمّا تقول

سبحانك **(يا من شرّف)** أي فضّل **(العروض)** بفتح العين المهملة آخره

ضاد معجمة اسم لمكة المحروسة وللمدينة المنورة وما حولهما من القرى والأماكن. قال عبد يغوث الحارثي:

أيا راكباً إما عرضتَ فبلّغنْ ندامايَ من نجرانَ أنْ لا تلاقيَا

أي أتيت العروض وهي مكة والمدينة وما حولهما، والمعنى يا من جعل مكة والمدينة أشرف من غيرهما من بقية البلاد وفضلهما **(على)** سائر **(المدن)** جمع مدينة مأخوذ من مدن بالمكان إذا أقام به وتجمع على مدائن، وكل بلد اشتمل على أسواق وحاكم وشرع وحاكم سياسة فهو مدينة، فإن كان البلد جامعاً كبيراً واسعاً فهو مصر **(و)** على سائر **(القرى)** بضم القاف جمع قرية، وهي كما في «القاموس»: المصر الجامع اهـ.

والقرية مأخوذة من القرى وهو الجمع، سميت بذلك لاجتماع الناس فيها. وتطلق على أبيات غير مشتملة على سوق وحاكم شرع وحاكم سياسة لم تبلغ حد المدينة، والمدينة ما جاوز حد القرية ولم يبلغ حد الأمصار، ووجه تشريف مكة كونه تعالى جعلها حرماً آمناً يقصدها الناس من كل فج عميق لزيارة البيت العتيق لا زال محروساً من كل طارق زنديق. ووجه تشريف المدينة المنورة كونه تعالى جعلها مهاجر نبيه ﷺ ومحل دفن جسمه الشريف، ولا يدخلها الطاعون ولا الدجال وهي آخر البلاد خراباً كما في الحديث. وورد في فضل مكة والمدينة أخبار كثيرة وآيات شهيرة.

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم إن إبراهيم حرَّم مكة فجعلها حراماً وإني حرَّمت المدينة ما بين مأزميها أن لا يراق فيها دم ولا يُحمل فيها سلاح لقتال، ولا يخبط فيها شجرة إلا لعلف، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين، والذي نفسي بيده ما من المدينة شعب ولا ثقب إلا وعليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا إليها**»[1].

(1) صحيح مسلم، باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها، حديث رقم (86) [2/ 1001] ورواه غيره.

ومعنى قوله: لا يراق فيها دم أي لا يُقتل فيها آدمي معصوم بغير حق. ومعنى: لا يحمل فيها سلاح، أي عند فقد الاضطرار لحمله. ومعنى لا يحيط أي لا يضرب، والشعب بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة: الفرجة النافذة بين جبلين. وقد تمسك بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى تفضيل المدينة على مكة وقال: التضعيف شامل للأمور الدينية أيضاً. وفي «تاريخ القطب»: أن من خواص اسم مكة أنه إذا كتب بدم الرعاف على جبين المرعوف مكة وسط البلاد والله رؤوف بالعباد انقطع الدم. ولمكة أسماء كثيرة جمعها صاحب «القاموس» في مؤلف مستقل.

سبحانك **(يا من يعلم ما تحت الحِبَبِ)** بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة جمع حبة بكسر المهملة وتشديد الموحدة، اسم لبزور الصحراء مما ليس بقوت كما قاله الجوهري. وفي بعض النسخ: الحبوب وهي جمع حبة بفتح الحاء المهملة وهو يشمل المقتات وغيره **(و)** يعلم ما تحت **(الثرى)** بفتح المثلثة مقصوراً، وهو التراب الندي، فإن لم يكن نديا فهو تراب. يقال: أرض ثرياء أي ذات ندى. ويقال: التقى الثريان بفتح المثلثة والراء وذلك أن يجيء المطر فيرسخ في الأرض حتى يلتقي هو وندى الأرض. قال الأصمعي: العرب تقول: شهر قرى وشهر ترى وشهر مرعى، أي تمطر أولاً ثم يطلع النبات ثم يطول فترعاه الغنم. والثراء بالمد المال. والشيخ قدّس الله روحه أراد أنّ الله تعالى أحاط علمه بما تشتمل عليه الصحارى من الحبوب والنباتات والرمال والحصى ويعلم ما تحت الثرى ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: الآية 59]. فهو في علم الله الذي لا يغير ولا يبدل ثابت في اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه علم ما يكون وعلم ما قد كان قبل أن يخلق السماوات والأرض، فعلمه سبحانه وتعالى محيط بما في البر والبحر فلا يحدث فيهما شيء إلا وهو يعلمه، فعنده تعالى مفاتح علم الغيب من الأقدار والأرزاق.

روي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله تعالى، لا يعلم أحد ما يكون في غد إلا الله، ولا يعلم أحد**

ما يكون في الأرحام إلا الله، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يدري أحد متى يجيء المطر». وفي رواية أخرى: «**لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى الساعة إلا الله**» أخرجه البخاري[1].

(سبحانك يا من تعالى) أي ارتفع وتعاظم **(ولطف)** بضم الطاء من باب ظرف، أي بطن وخفي عن الإدراك بالحواسّ والقياس بالناس وعلم غوامض دقائق المصالح فأوصلها إلى الجنة والناس، ومن شدّة بطونه تنزه **(عن أن يرى)** بالبناء للمجهول، أي يراه أحد من خلقه في الدنيا رؤية إحاطة بكنه ذاته لأن حقيقة ذاته سبحانه وتعالى لا يمكن إدراكها ولا تحيط العقول بحقيقة معرفتها، ولا تصل الأفكار إليها من كل وجه لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة، ولا يتأتى ذلك إلا كُمَّل الخلق فضلاً عن غيره من أهل المراتب الشامخة، ويشهد لذلك حديث: «**كل الخلق في ذات الله حمقى**»[2]، وحديث: «**سبحانك ما عرفناك حق معرفتك**»[*]، «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[3]، وقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المَائدة: الآية 116].

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله احتجب عن العقول كما احتجبت عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم**»[4] ولهذا حجر ﷺ عن التفكر في ذات الله، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 28]. قال الشيخ الأكبر: أي لا تتفكروا فيها لارتفاع المناسبة بين ذات الحق وذات

---

(1) في صحيحه، باب قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾...، حديث رقم (4420) [4/ 1733] ورواه غيره.

(2) أورده الغزالي في الإحياء [3/ 180].

(*) أورده المناوي في فيض القدير، حرف الهمزة [2/ 410].

(3) رواه مسلم في صحيحه، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (486) [1/ 352] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر ما يستحب للمصلي أن يتعوذ برضاء الله...، حديث رقم (1932) [5/ 258] ورواه غيرهما.

(4) أورده الألوسي في روح المعاني [الأنعام 110] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ [7/ 258].

الخلق فجميع الخلائق في معرفة كنه حقيقته تعالى حائرون ولقربها سائرون. قال الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه: العجز عن إدراك الإدراك إدراك اهـ. فلكل شيء حقيقة وحقيقة الحق لا تدركها العقول والأفكار ولا تتخيلها الظنون والأوهام، فالمخلوق لا يدرك كنه خالقه بحال بل ذلك أمر محال لارتفاع المناسبة بينهما كما تقدم.

(تباركت) أي عمَّت بركتك يا **(ربنا وتعاليت)** أي ارتفعت عن أن يحاط بك أو تدرك بالعقول وأعترف بربوبيتك فإنه **(لا ربّ)** أي لا مصلح للخلق **(غيرك)** من حيث إنك خالقهم ومتولي أمورهم **(ولا قاهر سواك)** لأن الكل تحت حكمك ومشيئتك وفي قبضتك.

(اللهمَّ أنت) وحدك **(المنعم)** بالنعم كلها كليها وجزئيها **(المتفضِّل)** أي صاحب الفضل على خلقك والزيادة في العطاء **(الشكور)** الذي تعطي الكثير على اليسير وتثيب الثواب الجزيل على العمل القليل سحاب جودك وفضلك على العباد مدرار غيثه لا ينقطع آناء الليل وأطراف النهار.

(وأشهد) أي أقرّ باللسان وأذعن بالقلب والجِنان **(أنك أنت الله الذي لا إلٰه إلا أنت)** المحمود في كل فعاله **(أنت ربي)** أي سيدي ومولاي وخالقي ومالكي **(وربّ كل شيء)** أي مالكه ومصلحه **(فاطر)** أي موجد **(السماوات والأرض)** ومخترعهما ومبتدعهما على غير مثال سابق **(عالم الغيب والشهادة)** أي السر والعلانية أو ما غاب عن العباد وما شاهدوه، أو المعدوم والموجود، أو الدنيا والآخرة، كذا في «الكشاف».

(العلي) الذي لا رتبة إلا وهي منحطة دون رتبته **(الكبير)** بحسب القدرة الإلٰهية لا من حيث الجثة فهو منزه عن الجثة **(المتعال)** أي المنزه عن كل ما لا يجوز عليه، قاله الكرخي.

واعلم أن الشيخ قدّس الله سرّه وأذاقنا حلاوة مشربه قد أشار في هذا الورد المبارك إلى أنه ينبغي أن يتحصن القارىء في أحد وعشرين موضعاً كما سنبينها لك، فكلّ واحد منها بمنزلة حصن حصين وحرز متين فما ظنك بالمجموع، وعليك بالمودوع، وينبغي للقارىء أن لا يغفل عنها مهما أمكن يجد نفعها إن شاء الله تعالى.

الموضع الأول: من مواضع التحصين قوله: (﴿طسٓمٓ﴾ ﴿طسٓ﴾) قدّم الشيخ رحمه الله الأول لتقدُّمه في القرآن، فكأنه يقول: أقسم عليك يا رب بحق قولك: ﴿طسٓمٓ﴾ ﴿طسٓ﴾ وكل واحد منهما مشتمل على الاسم الأعظم كما قيل، فكأنه قال: يا الله المسمى بهذه الأسماء أو المنزل لهذه الحروف مودعاً فيها أسرار اسأثرت بعلمها افعل بي ما هو اللائق بك فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة، فيحتمل أن يكون محلهما الرفع على أنهما مبتدأ.

وخبره قوله: (﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾) أي أرسلهما في الأرض، أي أرسل البحر المالح والعذب ﴿يَلۡتَقِيَانِ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 19] في رأي العين أي يتجاوران ويتماسان على وجه الأرض بلا فصل بينهما في رؤية العين. قال ابن عباس: بحر السماء وبحر الأرض. وقال سعيد بن جبير: يلتقيان في كل عام. وقال الحسن وقتادة: بحر فارس والروم. وقال ابن جريج: البحر المالح والأنهار العذبة. وقيل: بحر المشرق وبحر المغرب. ويحتمل أن يكون قوله ﴿طسٓمٓ﴾ و﴿طسٓ﴾ قسم، و﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ جواب القسم، أي لقد مرج البحرين. ويحتمل أن يكونا واردين على سبيل التعداد فحينئذ لا حظَّ لهما من الإعراب. ويكون قوله: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ خبر المبتدأ محذوف تقديره هو ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 19].

(﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 20]) أي حاجز عظيم من قدرة الله تعالى لا يراه الخلق لأنه حاجز لطيف أو من الأرض فهما في الظاهر مختلطان وفي الحقيقة منفصلان كذا في المدارك والأول أولى.

(﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 20]) أي لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية. قيل: إن بحر النيل يخرج من أصل جبل قاف فيشق البحر المحيط ويمرّ حتى يصل إلى البر ولا يبغي عليه البحر المحيط ولا يختلط به ولا يسلبه العذوبة. وقيل: معناه لا يبغيان على الناس فيغرقانهم كما طغيا على مَن في الأرض في أيام نوح عليه الصلاة والسلام فجعل الله بينهما وبين الناس اليبس، وقيل غير ذلك مما يطول شرحه. وفي ذلك إشارة من الشيخ قدّس الله سرّه إلى أن الله تعالى لما كان قادراً على أن يحجز بين البحرين

فلا يبغي أحدهما على الآخر ولا يبغيان على الناس، فهو تعالى قادر أن يحول بين العبد وبين المعاصي فيحفظه من الوقوع فيها، وعلى أن يحميه من الوقوع في المهلكات ومن تسلُّط الأعداء والنفس والشيطان، فكأنه يقول: يا من حجز بين البحرين امنعني من الوقوع في ورطات الذنوب وموبقات الشهوات واحفظني من كيد الشيطان وشر الأعداء.

(التحصين الثاني): آية الكرسي، وهي من أبلغ أنواع التحصين لأنها حرز مانع من طوارق الليل والنهار فقال: (﴿ٱللَّهِ﴾) الجامع لكل كمال إلٰهي (﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) أي لا معبود بحق أو لا موجود (﴿إِلَّا هُوَ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) فهو المستحق للعبادة لا غيره (﴿ٱلۡحَيُّ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) الدائم البقاء الذي يصح أن يعلم ويقدِّر وكل ما يصح له فهو واجب الوجود (﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) أي المبالغ في القيام بتدبير خلقه وحفظهم (﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) أي نعاس (﴿وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) لأن من يطرأ عليه ذلك كان قاصراً في التدبير والحفظ (﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) ملكاً وخلقاً وعبيداً.

(﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي﴾ [البَقَرَة: الآية 245]) أي لا أحد (﴿يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) لأن الكبرياء شأنه وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه (﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) أي الخلق من أمور الدنيا (﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) من أمور الآخرة أي يعلم ما قبلهم وما بعدهم من أمور الدنيا والآخرة (﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) أي لا يعلم المخلوقات من معلوماته تعالى (﴿إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) أي يعلمهم به منها بأخبار الرُّسل.

(﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) **قيل: كرسيه مجاز عن علمه تعالى أو وسع علمه أي أحاط أحداً من كرسي العالم، ومنه الكراسة التي تضم العلم، ومنه قيل للعلماء: الكراسي كما يقال: أوتاد الأرض. وقيل: مجاز عن ملكه أي وسع ملكه أخذاً من كرسي المَلِك، فإن الكرسي كلما كان أعظم تكون عظمة القاعد عليه أكثر وأوفر، فعبر عن شمول علمه تعالى أو**

بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه وإحاطته بالسماوات والأرض وبالأقطار العلوية والسفلية. وقيل: كرسيه قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض. وقيل: هو جسم عظيم بين يدي العرش نسبته إليه كنسبة الكرسي إلى سرير الملك محيط بالسماوات السبع لقوله ﷺ: «ما السماوات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقة في فلاة»[1]. وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة، ومن العقائد وجوب الإيمان بالكرسي، قال في «المطالب الوفية شرح الفرائد السنية»: وهو أي الكرسي جسم نوراني بين يدي العرش ملتصق به لا قطع لنا بحقيقته فنمسك عنها أي عن البحث عن حقيقة الكرسي لعدم العلم بها اهـ. كذا نقلناه في «مجموعتنا الكبرى».

(﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) أي لا يثقله سبحانه وتعالى (﴿حِفْظُهُمَا﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) أي حفظ السماوات والأرض (﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]) أي المتعالي عن الأنداد والأشباه، والمراد به علو القدرة والمنزلة لا علو المكان لأنه تعالى منزَّه عن التحيز (﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: الآية 255]) أي المُستحقَر بالنسبة إليه كل ما سواه.

والشيخ قدّس الله سرّه أورد هذه الآية في ورده هذا لأمرين، **الأول**: أنه طلب من الله تعالى أن يحفظه من الأغيار والفجار والأشرار والأسواء والأدواء والعلل والأمراض والأعراض والأسقام والآلام كما حفظ السماوات والأرض أن تزولا ولم يثقله حفظهما.

والأمر الثاني: حيث إن تلاوتها مطلوبة عقيب كل صلاة مكتوبة، ولها فضائل كثيرة فقد روى الحاكم عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة: اللهمَّ إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ

(1) أورده الألوسي في تفسير روح المعاني، سورة التوبة (129) فإن تولوا فقل [11/ 53]، وأورده أبو المظفر السمعاني في التفسير، سورة البقرة (255) وسع كرسيه [1/ 258] وأورده غيرهما.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: الآية 255] **فإن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا ويصعد إليّ فيها منه سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة»** كذا في «الجامع الكبير» المسمى بجمع الجوامع للإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى.

وقال ابن العربي: وقد ورد في الأخبار أن آية الكرسي سيدة آي القرآن لأنه ليس في القرآن آية يذكر الله فيها بين مضمر ومظهر في ستة عشر موضعاً إلا آية الكرسي. كذا في «المناوي».

وقال الثعالبي: قد جعل الله آية الكرسي أماناً لأهل الإيمان من شر الشيطان. وعن النبيّ ﷺ أنه قال: «**سيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي، إن فيها لخمسين كلمة في كل كلمة خمسون بركة»**[1].

وقال جعفر الباقر: من قرأ آية الكرسي مرة صرف الله عنه ألف مكروه من مكروه الدنيا وألف مكروه من مكروه الآخرة، أيسر مكروه الدنيا الفقر، وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر. كذا في كتاب «البركة في السعي والحركة» ولهذا قيل: إن آية الكرسي بتمامها اسم الله الأعظم، كذا في «غاية المغنم».

وقال رسول الله ﷺ: «**أُعطيت آية الكرسي من تحت العرش»**[2] رواه البخاري في «التاريخ» عن الحسن مرسلاً. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها يبعث الله ملكاً يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة»**[3]. وقال ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي دبر كلِّ صلاة كان الذي يتولى قبض روحه ذو الجلال والإكرام، وكان كمن قاتل مع أنبياء الله حتى استشهد»**[4]، وقال: «**ما قرئت هذه الآية في دار**

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، حديث رقم (2533) [1/ 280].
(2) أورده النسفي في التفسير، سورة البقرة، الله لا إله. . . ، [1/ 124].
(3) أورده الألوسي في تفسير روح المعاني، البقرة (255) الله لا إله. . . ، (3/ 11)، وأورده البيضاوي في التفسير، سورة البقرة 255، الله لا إله، [1/ 556].
(4) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، خواتيم سورة البقرة، وعزاه إلى الحكيم الترمذي عن زيد المروزي معضلاً، حديث رقم (2567) [1/ 284].

إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة، يا علي علِّمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها»[1]. وقال ﷺ: **«أتاني جبريل فقال: إن عفريتاً من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي»**[2].

وروي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: **«من قرأ آية الكرسي هون الله عليه سكرات الموت، وما مرت الملائكة في بيت فيه آية الكرسي إلا صعقوا ولا مروا بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾** [الإخلاص: الآية 1] **إلا سجدوا، ولا مروا بآخر سورة الحشر إلا جثوا على ركبهم»**[3] اهـ.

وقال في «روض الأزهار»: ونقل عن بعضهم أنه قال: إذا كنت في سفر أو موضع مخيف فخط عليك بحربة دائرة واقرأ آية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة وقل: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التّوبَة: الآية 51] الآية فإنه لا يصل إليك أحد من الإنس ولا من الجن ولا يقدر على إيذائك أحد بإذن الله تعالى. وفيه: من قرأها ستة عشر مرة يوم الجمعة بعد صلاة العصر في موضع خالٍ عن الأصوات وطلب من الله شيئاً إلا أعطاه الله ما تمناه، ومن قرأها ليلة الجمعة عدد المرسلين وهو ثلاثمائة وثلاثة عشر مرة قضيت حاجته، وأن من أدمن قراءتها لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة. وفضائلها كثيرة وفوائدها شهيرة، وهذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الإلٰهية فإنها دالة على أنه سبحانه وتعالى متوحد في الألوهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره منزَّه عن التحيز والحلول، مُبرَّأ عن التغير

---

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار، حديث رقم (162) [1/ 160] وأورده غيره.

(2) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في المصنف، في الرجل يفزع من الشيء، حديث رقم (23599) [5/ 50]، ونصه: «إن جبريل قال لي: إن عفريتاً من الجن يكيدك فقل: أعوذ بكلمات الله التامَّة التي لا يجاوزها برّ ولا فاجر من شرّ ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، ومن شرّ ما بثّ في الأرض وما يخرج منها، ومن شرّ فتن الليل والنهار، ومن شرّ كل طارق إلا طارق يطرق بخير، يا رحمٰن».

(3) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومارجع، والذي ورد قوله ﷺ: **«علِّموا أرقاءكم سورة يوسف، وأيّما مسلم تعلَّم سورة يوسف وتلاها وعلَّمها ما ملكت يمينه وأهله هوَّن الله عليه سكرات الموت وأعطاه من القوة أن لا يحسد مسلماً»**.

والفتور، لا يناسب الأشباح ولا يعتريه ما يعتري الأرواح، مالك الملك والملكوت ومبدع الأصول والفروع ذو البطش الشديد، لا يشفع عنده إلا من أذن له العالم وحده بجليلها وحقيرها كلها وجزئها، واسع الملك والقدرة، لا يؤوده شاق ولا يشغله شأن عن شأن، متعالٍ فما يدركه وهم وهو عظيم لا يحيط به فهم اهـ.

(التحصين الثالث): الحواميم السبعة، لقوله ﷺ: «**الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع، تجيء كل حم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهمَّ لا تُدخل هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأ بي**»[1]. قال المناوي: أي تقول ذلك على وجه الشفاعة فيه فيشفِّعها الله تعالى في كل من آمن بها وكان يقرؤها في الدنيا، والتعبير بكان يشعر بأن ذلك إنما هو لمن داوم على قراءتها اهـ. وقوله: ويقرأ بي، بالباء الموحدة الجارة لياء المتكلم.

وعن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحواميم روضة من رياض الجنة**»[2]. قال العلامة المناوي: يعني السورة التي أولها (حم) لها فضل وشأن يوصل إلى روضة من رياض الجنة. وفي حديث «الجامع الصغير» عن أنس: الحواميم ديباج القرآن أي زينته قال: (حم حم حم حم حم حم) عددها هنا سبعة لا أزيد ولا أنقص. قيل: إن لفظ (حم) اسم من أسماء الله تعالى، كذا في تفسير أبي الليث. وفي «عيون التفاسير» قيل: هو ـ أي (حم) ـ اسم الله الأعظم ومعناه الحيُّ القيوم اهـ.

قلت: وفيه مع ما قبله نظر لأن أسماءه تعالى تقدّست ما منها شيء إلا هو صفة مقصودة مفصحة عن ثناء وتحميد، و(حم) ليس إلا اسمي حرفين من حروف المعجم فلا معنى تحته يصلح لكونه بتلك المثابة. قال المناوي: ولذلك عدل السيوطي في «تفسير الجلالين» عن التأويل على مذهب الخلف إلى مذهب السلف الممسكين عن التأويل وفوضوا علم ذلك إلى الله تعالى فقال: الله أعلم بمراده اهـ.

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان، ذكر الحواميم. . . ، حديث رقم (2479) [2/ 485].

(2) قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج الديلمي وابن مردويه عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: الحواميم روضة من رياض الجنَّة.

وقيل: كل حرف من حروف فواتح السور إشارة إلى اسم من أسمائه تعالى أو صفة من صفاته. وقيل: هو قَسم أقسم الله به، والتكرير لكمال المبالغة في إظهار التضرع والتذلل والابتهال إلى السميع القريب المجيب الوهاب المتعال، أو إشارة إلى دفع سوء قضاء من جميع الجهات السبع. فبـ(حم) الأول يشير عند قراءته إلى جهة الأمام، وبالثاني إلى الخلف، وبالثالث إلى اليمين، وبالرابع إلى الشمال، وبالخامس إلى الفوق، وبالسادس إلى التحت، وبالسابع إلى جميع الأطراف وينوي في قلبه أن كل قضاء يأتي إليّ من هذه الجهة فقد دفعته بقدرة الله تعالى.

قال ملا علي القاري رحمه الله تعالى: إنما استوعب الجهات كلها لأن ما يلحق الإنسان من نكبة وفتنة فإنما يحيق به ويصل إليه من إحدى هذه الجهات، والأول من الحواميم السبعة إما مبتدأ أي المسمى بـ(حم)، وإما قسم بحذف الباء، أي بحق (حم) والبواقي على التقديرين تأكيد له.

وقوله: (حم) فعل ماضٍ مبني للمجهول خبر المبتدأ أو وجوب القسم، أي قدر وقضى وتم **(الأمر)** نائب الفاعل والمراد بالأمر كوننا منصورين على الأعداء، وكونهم مغلوبين من طرفنا، وكوننا محفوظين من الأسواء والبليات.

وعبر بالفعل الماضي في قوله: **(وجاء النصر)** أي العون والظفر والحفظ لنا من عند الله للإشعار بتمامية الأمر، ومجيء النصر ووقوع الحفظ تحقيقاً من غير شكّ، بل ينبغي للقارىء أن يعتقد ذلك عند تلاوته **(فعلينا لا ينصرون)** أي لا يجد الأعداء من جهة نصراً وظفراً علينا أبداً.

(﴿حمٓ﴾) قيل هو اسم للسورة، وقيل اسم للقرآن، ومحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي هذا اسم مسمى بـ(حم) أو مبتدأ. وما بعده من قوله: (﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [غافر: الآية 2]) أي القرآن خبره، ويحتمل أن يكون هذا هنا إشارة إلى جواب سؤال مقدّر كأنه قيل له: كيف تحصنت بـ(حم)؟ أجاب بقوله: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [غافر: الآيتان 1- 2] يعني أن (حم) يتحصن الشخص به لأنه تنزيل الكتاب (﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ [غافر: الآية 2]) أي القادر على كل شيء (﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [غافر: الآية 2]) بكل شيء.

(﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ [غافر: الآية 3]) أي ساتر ذنب المؤمن (﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر: الآية 3]) أي توبة المؤمن العاصي بالاستغفار والرجوع عن الذنب، وتوبة الكافر بالإقرار بالشهادتين (﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: الآية 3]) لمن مات مصرّاً على المعاصي أو مات كافراً (﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ [غافر: الآية 3]) أي صاحب الفضل بترك العقاب لمن يستحقه (﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ [غافر: الآية 3]) أي لا مستحقّ للعبادة في السماوات والأرض (﴿إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: الآية 3]) أي إلا الله، فيجب الإقبال الكلي على عبادته (﴿إِلَيۡهِ﴾ [غافر: الآية 3]) لا إلى غيره (﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: الآية 3]) أي المرجع بعد البعث فيجازي المطيع والعاصي، كذا في التفاسير، وهذا مقتبس من سورة المؤمن، ولعل في هذه الآية إشارة إلى أنَّ من كان متصفاً بهذه الصفات العجيبة فهو قادر على كل شيء من الممكنات التي من جملتها حفظ العبد من الوقوع في موبقات الذنوب وأسر الشهوات، فهذا ملحظ الشيخ قدّس الله روحه من إيراد هذه الآية في هذا الورد.

ثم إنه رضي الله عنه التفت إلى الثناء على الله بما هو أهله معترفاً بأنه هو الفاعل المختار لا مكره له إن شاء حفظ العبد وعصمه، وإن شاء خذله وأسلمه، فقال: **(يفعل ما يشاء بقدرته)** من غير استعانة بأحد **(ويحكم ما يريد بعزته)** من غير معارضة من أحد **(ولا منازع له في جبروته)** أي لا أحد ينازعه فيه لأنه القادر ومن سواه عاجز، والجبروت مأخوذ من الجبر أي القهر، وهو ـ أعني الجبروت ـ العالم المتوسط بين الدنيا والآخرة، وهو البرزخ لأن في هذا العالم يظهر حكم القهر الإلٰهي ومنه عالم الخيال المسمّى بعالم المثال. وقيل: هو عالم العقول والنفوس المجردة مأخوذ من الإجبار بمعنى الاستعلاء لاستعلاء ذلك العالم عن تركُّبه من العناصر. وعند أبي طالب المكي: هو عالم العظمة كعالم الأسماء والصفات الإلٰهية، وكعالم الآخرة مأخوذ من جبرت الفقير إذا أغنيته لأنه موطن الغنى الأبدي. وفي الحديث: «**الجبروت في القلب**»[1] كعالم أرض السمسمة المخلوقة من بقية طينة آدم عليه السلام المسماة بأرض الحقيقة،

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، حديث رقم (7761) [3/ 212] وعزاه إلى ابن لال عن جابر.

لأن الأشياء تظهر فيها على حقائقها، فكلّ من عالم الآخرة والسمسمة من عالم العظمة لظهور عظمة الله تعالى فيها أكثر من ظهورها في غيرها، والأرض المذكورة هي مسرح عيون العارفين العلماء بالله تعالى وفيها يجولون ولا يدخلون فيها إلا بأرواحهم وربما دخلها بعضهم وهو لا يشعر اهـ.

وسيأتي الكلام على رجال هذه الأرض إن شاء الله تعالى عند قول المصنِّف: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك يا معبود.

(ولا شريك له في ملكه) ومن الذي يماثله أو يعادله أو يساويه أو يشبهه أو يدانيه حتى يكون شريكه في ملكه والكل خلقه وعبيده **(سبحان الله وبحمده)** الواو للحال، أي أنزِّه الله متلبِّساً بحمده أو للعطف أي أسبِّح الله وأتلبس بحمده، ومعناه أنزِّه الله عن جميع النقائص وأحمده بجميع الكمالات.

روى أحمد ومسلم والترمذي عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحبُّ الكلام أن يقول العبد: سبحان الله وبحمده**»[1].

(لا قوّة) أي لا استطاعة لمخلوق في جلب ما يحبه ودفع ما يكرهه **(إلا بالله)** أي إلا بإعانة الله له على جلب المنافع ودفع المضار **(ما شاء الله)** من الجائزات **(كان)** من خير أو شر **(وما لم يشأ)** كونيته **(لم يكن)** لأنه لا يقع في ملكه تعالى إلا ما يريد.

(اعلم) أيها العبد **(إن الله)** المتصف بصفات الجلال والقهر وله الفعل المطلق **(على كل شيء)** يمكن أن يدخل تحت المشيئة **(قدير)** أي بالغ القدرة، فهو قادر على صرف الأذى والضرر عنك وعصمتك من الوقوع في موبقات الذنوب **(و)** اعلم أيضاً **(أن الله)** الذي له جميع صفات الكمال **(قد أحاط)** لكمال قدرته **(بكل شيء)** أي مطلقاً موجوداً كان أو معدوماً **(علماً)** فله سبحانه وتعالى الخبرة التامة بمصالح العالم ومفاسده فلا يخرج شيء عن علمه تعالى وقدرته.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة...، حديث رقم (2137) [3/ 1685] ونصه: «**أحبُّ الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرّك بأيِّهنَّ بدأت...**».

(اللهمَّ لا تقتلنا بغضبك) أي بسبب غضبك علينا لعصياننا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزّخرُف: الآية 55]، **(ولا تهلكنا)** من أهلك المزيد المتعدي **(بِمَثُلاتِكَ)** أي بسبب تأخيرك لنا ممتعين بطيبات الدنيا وزينتها لنزداد إثماً وعصياناً وغروراً وفجوراً، وفي الصباح أمليت له في الأمر أي أخرت فإنّ من الشقاء أن يطول عمر الإنسان في المعاصي إذ فيه الهلاك الأبدي، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ﴾ [آل عِمرَان: الآية 178] أي لا يظن الكافر أن إطالة عمره وتأخيره ممتعاً بعافيته لأجل سعادته بل ذلك لأجل أن نهلكه في ارتكاب المحرمات والفواحش، وفي الحديث: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»[1] معناه إنَّ الله يؤخر الظالم ويمهله ويطيل عمره ليكثر ظلمه ويزداد ذنوباً وعصياناً فيزداد عقابه فإذا أنزل عليه نقمته لم يقدر على تخليصه من الله أحد بل يهلكه لكثرة ظلمه بالشرك إن كان كافراً، فإن كان مؤمناً لم يخلصه مدة طويلة بقدر جنايته ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: الآية 102].

(و) لا تهلكنا **(بعذابك)** النازل على العصاة بسبب عصيانهم وعدم توبتهم ورجوعهم **(وعافنا)** من الإهلاك بالعذاب فتوفيقك لنا إلى التوبة والإنابة **(قبل)** وقوع **(ذلك)** الغضب والإهلاك بالعذاب في أن تعصمنا من كل فاحشة وتتوب علينا من كل ذنب، وتوفقنا لكل طاعة.

(سبحان الملك القدُّوس) أي المنزَّه عن سمات النقص وموجبات الحدوث، مأخوذ من القدس وهو الطهارة من كل عيب ونقص. قال بعضهم: حقيقة القدس الاعتلاء عن قبول التغير، أي سبحان الملك الذي لا يتغير ولا يجوز عليه نقص في ذات ولا وصف ولا فعل، وبذلك يتَّصف الملك على الإطلاق. وفي الحديث: «**ما من صباح يصبح العباد إلا منادٍ ينادي: سبحان الملك القدُّوس**» رواه الترمذي[2] عن الزبير. وفي رواية: «**إلا وصاح يصرخ:**

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾، حديث رقم (4409) [4/ 1726].

(2) في سننه، باب دعاء النبي ﷺ وتعوذه دبر كل صلاة، حديث رقم (3569) [5/ 563].

أيها الخلائق سبِّحوا الملك القدوس»[1]. وروى الترمذي عن أنس: «**إن لله بحراً من نور حوله ملائكة من نور على جبل من نور بأيديهم حراب من نور يسبِّحون حول ذلك البحر: سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزَّة والجبروت، سبحان الحيّ الذي لا يموت، سبُّوح قدُّوس ربّ الملائكة والروح. فمن قال ذلك في يوم أو شهر أو سنة أو في عمره مرةً غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر أو مثل رمل عالج أو فرّ من الزحف**»[2] كذا في «الجامع الكبير» للسيوطي.

(سبحان ذي العزّة والعظمة والقدرة والقوة والكبرياء والجبروت) مأخوذ من الجبر وهو القهر كما تقدم، سمي بذلك لأن العباد مقهورون عن إدراك كنهه، فعالم الجبروت أعلا وأرفع من عالم الملكوت وهو ما يدرك بالمواهب، فهو تعالى المتصرف في عالم البرزخ يحيط به علماً. والمعنى أنه تعالى هو صاحب هذه الصفات لا تمكن لغيره تعالى. ورد في الحديث: «**أهل السماء الدنيا سجود إلى يوم القيامة يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأهل السماء الثانية ركوع إلى يوم القيامة يقولون: سبحان ذي العزَّة والجبروت، وأهل السماء الثالثة قيام إلى يوم القيامة يقولون: سبحان الحي الذي لا يموت**»[3] اهـ والملك هو عالم الشهادة والملكوت عالم الغيب.

(سبحان الملك الحق الحي الذي لا ينام ولا يموت) بل هو الباقي وكل من عليها فانٍ **(سبُّوح قدُّوس)** أي منزَّه مطهر عن أن يعتري ذاته فناء أو يلحق صفاته نقص تفتتت في جمال ذاته أكباد المحبين وتحيرت في عظمة جلاله ألباب العارفين هو تعالى **(ربنا ورب الملائكة)** على الإطلاق الذين لا يحصي

---

(1) أورده ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية، وعزاه إلى أبي يعلى عن الزبير بن العوام.

(2) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، حديث رقم (3840) [2/ 97] وعزاه إلى الديلمي عن أنس.

(3) أورده السيوطي في الدر المنثور، البقرة 30 وإذ قال ربّك. . . ، [1/ 113] وعزاه إلى ابن جرير وأبي نعيم في الحلية عن سعيد بن جبير. . . ، ورواه أبو الشيخ في العظمة، حديث رقم (489) [3/ 965].

عددهم إلا الله تعالى، وكثرتهم لا يسعها عقل بشر، فهو دليل على عظمة الله. قال النبي ﷺ: «**أطت السماء ويحق أن تئطَّ، والذي نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر إلا وفيه مَلَك ساجد يسبِّح الله بحمده**»[1] اهـ. يعني صوتت من ثقل ما عليها من ازدحام الملائكة وكثرة الساجدين مأخوذ من الأطيط وهو التصويت، فالملائكة أكثر المخلوقات عدداً وأصنافهم وأوصافهم كثيرة، موكول علمها إلى الباري سبحانه وتعالى. قال جلّ شأنه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدَّثِّر: الآية 31].

روى ابن عساكر: أن في السماء ملائكة قياماً لا يجلسون أبداً، وسجوداً لا يرفعون أبداً، وركوعاً لا يقومون أبداً، يقولون: يا ربنا ما عبدناك حقَّ عبادتك. وقيل: إن المكلفين أربعة أنواع: الإنسان، والملك، والجنّ والشياطين، وبنو آدم عشر الجنّ، والجنّ عشر حيوان البحر، والطير، والكل عشر ملائكة السماء الدنيا، وكلهم عشر ملائكة السماء الثانية، وهكذا إلى ملائكة الكرسي والعرش. وفي كتاب «الزاهر» وغيره عن الأوزاعي: إن في مناجاة موسى قال: يا رب من عبدك قبل آدم، قال: الملائكة، قال: يا رب كم هم؟ قال: اثني عشر ألف سبط، قال: يا رب كم السبط؟ قال: مثل الجن والإنس والطير والبهائم اثنا عشر ألف مرة. وفي رواية: كم عدد السبط؟ قال: عدد التراب.

وفي «تذكرة الإمام الرازي»: إن رسول الله ﷺ لما عرج به إلى السماء رأى ملائكة في محل عال ورأى بعضهم يمشي تجاه بعض فقال لجبريل: أين يذهبون؟ فقال: والذي بعثك بالحق لا أدري إلى أين غير أني أراهم هكذا من يوم خُلقت ولا أرى واحداً منهم قد رأيته قبل ذلك» اهـ.

وفي «الفتوحات»: لا يزال الحق يخلق من أنفاس العالم ملائكة ما داموا متنفسين. والأخبار الدالة على كثرتهم لا تكاد تحصى، وهم أجسام لطيفة

(1) رواه بنحوه الترمذي في السنن، باب في قول النبي ﷺ: لو تعلمون ما أعلم...، حديث رقم (2312) [4/ 556] ورواه بنحوه البيهقي في السنن الكبرى، باب ما كان مطالباً برؤية مشاهدة الحق...، حديث رقم (13115) [7/ 52] ورواه بنحوه غيرهما.

نورانية لا تتزاحم ﴿شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية 6].

يجب على المكلَّف الإيمان بهم إجمالاً لعدم الاطلاع عليهم وعلى أفرادهم، ويجب الإيمان برسلهم تفصيلاً وهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل صلوات الله على جميعهم وسلامه، ويجب اعتقاد عصمتهم. وما يحكى من قصة هاروت وماروت فهو مؤوَّل فيجب تعظيمهم وتوقيرهم وتبرئتهم عن كل ما فيه إخلال بتعظيمهم، وقد استوفينا الكلام على قصة هاروت وماروت وتأويل ما ينقل عنهم من قصتهم مع الزهرة، ونقلنا أقوال العلماء في ذلك في مجموعتنا الكبرى.

واختلف أهل العلم في الروح والأكثر على أنه جبريل عليه الصلاة والسلام وهو أمين الوحي والسفير بين الله وبين رسله، له ستمائة جناح، منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر فينشرهما تلك الليلة فيجاوزان المشرق والمغرب. وقيل: ملك آخر رأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا، في كل رأس ألف وجه، وفي كل وجه ألف فم، وفي كل فم ألف لسان يسبِّح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد، ولغة كل لسان لا تشبه لغة الآخر، فإذا فتح أفواهه بالتسبيح خرّت ملائكة السماوات السبع سجداً مخافة أن يحرقهم نور أفواهه، يسبِّح الله بكرةً وعشيةً، فينزل في ليلة القدر لشرفها وعلو شأنها فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد ﷺ بتلك الأفواه كلها إلى طلوع الفجر.

وقال كعب الأحبار: الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا في ليلة القدر، ينزلون من غروب الشمس إلى طلوع الفجر. وقيل: المراد من الروح حقيقته التي هي من أمر الله لا يعرف حقيقتها إلا الله تعالى فنمسك عن الخوض فيها ونكِل علمها إلى الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: الآية 85] فلم يأذن الله لنبيه ﷺ بالخوض فيها، وهي التي بها حياة الحيوان وبمفارقتها يموت. وعليه فالمعنى أنه تعالى هو ربّ الروح يعلم مستقرّها من الأجساد، وأين تكون بعد الموت.

وقيل: «الروح الأقارب من الأموات يقولون: ربنا ائذن لنا بالنزول إلى منازلنا حتى نرى أولادنا، فيأذن الله لهم، فينزلون ليلة القدر إلى منازلهم ومساجدهم فيتحسّرون إذا رأوا المصلِّين ويقولون: يا من سكن ديارنا ونكح نساءنا وأكل أموالنا ارحمونا في هذه الليلة بشيء من الصدقة والدعاء، ثم يرجعون، فإن أحد تفقدهم بشيء من الصدقات والدعاء والقراءة رجعوا مسرورين وإلا رجعوا متأسفين حزينين إلى مثل تلك الليلة من العام القابل» اهـ.

(اللهمَّ علِّمنا من عِلْمِك) أي اللدني، وهو العلم الوارد من مقام العندية على العبد الخصوصي المتمحض في الرتبة العندية، وهذا العلم هو ثمرة التقوى، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البَقَرَة: الآية 282]، **(وفهِّمنا عنك)** أسرارك بفيض إحساني وعلم رباني، سأل ربه أن يفهِّمه من الأسرار المخبوءة في خزائن العيوب التي لا يصل العبد إلى شيء منها إلا بعناية إلٰهية لا بعمل، لأن تفهيم الحق للعبد لا يتوقف على اجتهاد. قال سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه: فيض الربوبية إذا فاض أغنى عن الاجتهاد، فإن صاحب الاجتهاد قاصر ما لم يقرأ من لوح المعاني سرَّ عطاء القادر، فقد يعطي المولى من يكون قاصراً ما لم يعط أصحاب المحابر، وليس مطلوب القوم إلا مولاهم فإذا حصلوا على معرفته عرفوا بتعريفه كل شيء من غير تعب ولا نصب، ثم إذا صحت له المعرفة فلا حجاب له بعد ذلك إلا إن أُخْذِل. نسأل الله تعالى السلامة اهـ.

(وقلِّدنا) من التقليد، وهو اللبس في العنق **(بصمصام)** أي سيف **(نصرك)** أي معونتك لنا على الأعداء كي نظفر بهم ونشفي غيظنا منهم ونشمت فيهم **(اللهمَّ اجعلني شاكراً)** أي كثير الشكر **(لك)** على نعمك، أي وفِّقني للإكثار من شكرك لأكون قائماً بما وجب عليَّ من شكر نعمائك التي لا تُحصى لأن الشكر في مقابلة النِّعم واجب علينا لأنه يربط النعم ويجلب المزيد، ولذا قيل: كل إنسان يُسأل عن شكر نعمه، كذا في القاضي. وقال بعض المتقدمين: إن كفران النعمة بوار، أي هلاك. وقيل: الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة، كذا في «الكشاف». وقيل: النعمة إذا شُكِرت قرّت وإذا كُفِرَت

فرّت. وقيل: النعمة لا زوال لها إذا شُكِرَت ولا بقاء لها إذا كُفِرَت. وقيل: النعمة وحشية فاشكلوها بالشكر، قاله السبكي في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم».

واجعلني **(ذاكراً)** أي كثير الذكر **(لك)** لا يفتر لساني عن ذكرك ليكون آخر كلامي من الدنيا، أو اجعلني أذكرك إذا خلوت بمعصية فأعلم أنك مطّلع عليَّ وتراني فيمنعني الحياء منك عن ارتكاب الفاحشة، أو اجعلني كثير الذكر لك بالقلب واللسان بأن تفتح مسامع قلبي لذكرك ليدرك به ما نطق به كل لسان ذاكر، فإن القلب الذي لم يدرك لذّة الذكر كالميت بل الميت خير منه. كان رجل في بني إسرائيل أقبل على الله تعالى ثم أعرض عنه فقال: يا رب كم أعصيك فلا تعاقبني، فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان: قل لفلان كم أعاقبك ولم تشعر ألم أسلبك حلاوة ذكري ولذّة مناجاتي اهـ. نقله المناوي في شرحه الكبير.

واجعلني **(راهباً لك)** مأخوذ من الرهبانية، وهي التعبُّد، أي اجعلني عبداً لك في جميع الحالات، أي استخدمني في عبادتك وطريق رضاك حتى أكون عبداً لك في حالة السراء بالشكر وفي حالة الضراء بالصبر والرضى وإلا فالكل عبيد لله تعالى سواء شكروا في حالة السراء وصبروا في حالة الضراء، أم لا، والعبودية أشرف الأوصاف. قال القشيري في الرسالة: قال أبو علي الدقاق رضي الله عنه: ليس شيء أشرف من العبودية ولا اسم أتمّ للمرء من هذا الوصف اهـ. ولكون العبودية أشرف الأوصاف ذكر الله تعالى نبيه بها في أشرف المقامات، فقال: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية 1]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: الآية 1]. وأنشد القاضي عياض رضي الله عنه:

ومـمـا زادنـي شـرفـاً وتـيـهـاً وكـدت بـأخـمـصـي أطـأ الـثـريـا
دخولي تحت قولك: يا عبادي وأن صيَّرت أحـمـد لـي نـبـيـا

فإن قيل: العبودية أقوى أم العبادة؟ قلت: العبودية أقوى لأنها الرضى بما يفعل الرب، والعبادة فعل ما يرضي الرب، والرضى فوق العمل حتى كان

ترك الرضى كفراً وترك العمل فسقاً، ولذلك تسقط العبادة في الآخرة ولا تسقط العبودية في الدارين. كذا في «شرح بدء الأمالي» لملا علي القاري ونقلناه في مجموعتنا الخضراء.

واجعلني **(مطواعاً لك)** أي كثير الطاعة لأوامرك لا أخالفك في شيء أمرتني به أو نهيتني عنه. قال في «المطالب الوفية»: والطاعة هي امتثال أمر الله القطعي والظني بفعل الفرائض والمستحبات وما بينهما اهـ. **(واجعلني هيناً)** مأخوذ من هان يهون هوناً إذا سهل، والهين ضد الصعب، والمعنى سهلاً منقاداً لأوامرك، سهل المعاملة مع الناس لأنال رحمتك.

واجعلني **(مخبتاً)** أي خاشعاً **(إليك)** كافّاً لبصري عن محارمك، واجعلني **(أواهاً)** أي كثير الدعاء موقناً بالإجابة، متخلِّقاً بالرحمة، رفيقاً بالضعفاء والمساكين. قال في «القاموس»: الأوَّاه الموقن أو الرحيم أو الرفيق اهـ. وعليه بالمعنى اجعلني أرفق بالضعفاء والمساكين وأعاملهم باللطف والرأفة والرحمة. وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة وغيره قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف»**[1] أي إن الله لطيف بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، فلا يكلِّفهم فوق طاقتهم بل يسامحهم ويلطف بهم فهو تعالى يحب من عباده الرفق أي لين الجانب في القول والفعل والأخذ بالأسهل، أي يحب أن يرفق بعضهم ببعض ويثيب عليه في الدنيا من الثناء الجميل ونيل المطالب وتسهيل المقاصد، وفي الآخرة من الثواب الجزيل. ووصف سبحانه وتعالى بالرفق إرشاداً وحثّاً للعباد على تحري الرفق في كل أمر، فهو كما قال المناوي: خارج مخرج الإخبار لا التسمية فلا يجوز إطلاق الرفيق على الله تعالى اسماً لأن أسماءه تعالى إنما تتلقى بالنقل المتواتر، وليس في ذلك نقل ولا وقف عليه اهـ.

واجعلني **(مُنيباً)** إليك أي ذا إنابة أي رجوع عن الذنوب والمعاصي بالتوبة النصوح الصادقة الخالصة فإن من حصلت له العناية بالتوفيق إلى التوبة

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ما ذكر في الرفق والتؤدة، حديث رقم (25313) [5/ 210] ورواه الطبراني في المعجم الصغير، باب من اسمه حبوش، حديث رقم (429) [1/ 262] ورواه غيرهما.

النصوح والإنابة إلى الله لا يعود إلى الذنب أبداً، أي اجعلني كلما أذنبت أعقبت الذنب بتوبة ورجوع لأكون ممن رضيت عنهم وأسعدتهم.

وكان من دعائه ﷺ: «**اللهمَّ اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساؤا استغفروا**»[1] رواه ابن ماجه والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها. والمعنى كما قاله المناوي: اجعلني من الذين إذا أتوا بعمل حسن من طاعة وعبادة قرنوه بالإخلاص فيترتب عليه الجزاء فيستحقون دخول الجنة فيستبشرون بها كما قال تعالى: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصّلَت: الآية 30] فهو كناية تلويحيّة.

قال بعض العارفين: خير الذنوب ذنب أعقب توبة وشرُّ الطاعات طاعة أورثت عجباً، والمصطفى ﷺ معصوم عن الإساءة وإنما هذا تعليم للآية أرشدهم إلى أن يأتي الواحد منهم بهذا الدعاء الذي هو عبارة عن أن لا يبتليه الله بالاستدراج ويرى عمله حسناً فيهلك ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فَاطِر: الآية 8] اهـ.

(اللهمَّ تقبَّل توبتنا) أي رجوعنا عن الذنوب **(واغسل حوبتنا)** أي إثمنا ووزرنا، أي أزل عني ذنوبي وخطاياي فهو مبالغة في التطهير وإزالة الذنوب والأوزار أي طهِّرنا منها بأنواع مغفرتك **(وسدِّد مقاولنا)** جمع مقالة أي اجعلنا ناطقين بالسداد والصواب والتسديد والتوفيق للسداد بفتح السين وهو الصواب ضد الخطأ **(واسلل)** أي انزع **(سخيمة)** أي سواد **(صدورنا)** جمع صدر، وهو كناية عن طلب نزع الغلّ والحقد والحسد والشحّ والكبر من القلب لأنها أدناس قلبية يجب التنزُّه عنها بالتوبة كما يجب التنزُّه عن الأنجاس الحسية بالماء الطهور **(وأذهب الدخَل)** بالدال المهملة والخاء المعجمة المفتوحتين آخره لام، أي الداء والعيب والريبة والمكر والخديعة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ [النّحل: الآية 94] أي مكراً وخديعة. والمعنى أذنب من قلوبنا كل مكر وخديعة وريبة فإنها عيوب قلبية، ولفظ الداء يشمل الكل لأن الريبة والمكر والخديعة من أمراض القلوب وكلها تنافي أخلاق المؤمنين،

(1) رواه ابن ماجه في السنن، باب الاستغفار، حديث رقم (3820) [2/ 1255] ورواه أبو يعلى في المسند عن السيدة عائشة، حديث رقم (4472) [7/ 446] ورواه غيرهما.

ولأجل ذلك طلب الشيخ من الله أن يطهِّر قلبه من كل وصف ذميم ويُذهب من قلبه كل خلق سيِّئ لأن ذلك يبعد عن حضرة الله تعالى كأنه طلب أن يكون متخلقاً بالصدق لأن الدخل في القلب يفسده.

(و) أذهب **(الران)** أي الغطاء والحجاب الحاصل على القلب من كثرة الذنوب والمعاصي وأكل الحرام والمشبوه واستيلاء الغفلة، فإن ذلك مرض قلبي يجب مداواته بالسلوك على يد شيخ مرشد ناصح يوقفه على العلل القلبية وينصله منها، فإن ذلك لا يتأتى إلا بالسلوك كما ذكرنا. والمعنى لا تجعل قلوبنا مطبوعاً عليها فلا تقبل الخير ولا تميل إليه، ففي الحديث عن أبي هريرة: أن النبيّ ﷺ قال: «**إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، وإذا زاد زادت حتى تعلو قلبه**»[1] فذلكم الران الذي ذكره الله في كتابه.

وقال أبو معاذ: الرين أن يسود القلب من الذنوب، والطبع أن يطبع على القلب، وهو أشدّ من الرَّين، والإقفال أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب قال تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمَّد: الآية 24]. وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب ويغشى فيموت القلب. وعن الحسن أيضاً: الذنب بعد الذنب يسوِّد القلب.

(و) أذهب **(الأجبنة)** هو الجبن بضم الجيم وسكون الباء الموحدة، ومعناه في الأصل الخور عن الحرب أي الضعف والعجز وإمساك النفس عن ملاقاة العدو ضناً أي بخلاً بها. يقال لضعيف القلب عن القتال: جبان، لكنه أراد هنا مطلق الضن بالنفس وإمساكها ليشمل إمساك النفس عن إتيان واجب الحق تعالى وقد استعاذ ﷺ من الجبن بقوله: «**اللهمَّ إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم والقسوة والغفلة والغيلة والذلة والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصمم**

(1) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، تفسير سورة المطففين...، حديث رقم (3907) [2/ 562]، ورواه ابن ماجه في سننه، باب ذكر الذنوب، حديث رقم (4244) [2/ 1418] ورواه غيرهما.

والبكم والجنون والجذام والبرص وسيّئ الأسقام» اهـ أخرجه السيوطي في «الجامع الصغير» من رواية الحاكم والبيهقي عن أنس رضي الله عنه.

والمعنى أذهب يا ربنا الجبن **(من قلوبنا)** معاشر الحاضرين أو المسلمين فالجمع لتعميم الدعاء لأن ضمير المتكلم المعظم نفسه أو مع غيره لكن التعظيم هنا غير مناسب لأن مقام الدعاء مقام ذلٍّ وانكسار فتعين كونه ضمير الجماعة وحينئذ فيصدق على التالي وحده أنه جماعة إما بالنظر إلى نفسه مع ما اشتمل عليه من العوالم الباطنية من إيمان ويقين وعقل وغير ذلك، والعوالم الظاهرية من جوارح البدن وأعضائه، وإما بأن يلاحظ الداعي أنه نائب في الدعاء عن جميع العالم، فيصير كأنه العالم كله ويحصل له ثواب ذلك، كما أنه إذا نوى أن الله تعالى لو يعطيه قوى جميع العالم فعبده بها أثابه الله تعالى، وهذا الورد غالب ألفاظه بلفظ الجمع وتارة يوجد بلفظ الإفراد اقتداء برسول الله ﷺ فقد جمع في دعائه تارة كقوله: «**اللهمَّ إنا نسألك قلوباً أوَّاهة**»[1] وأفرد تارة أخرى كقوله ﷺ: «**اللهمَّ استر عورتي وآمن روعتي**»[2]، وأمر بالتعميم في الدعاء تارة تصريحاً وذلك حين سمع عمر بن الخطاب يقول: «اللهمَّ اغفر لي وارحمني». فضرب ﷺ منكبه وقال: «**عمِّم فإن بين الخاص والعام حيث كما بين السماء والأرض**»[3].

وأمر تارة أخرى بما يقتضي الإفراد فقال: «**ابدأ بنفسك فتصدّق عليها فإن فضل شيء فلذي قرابتك، فإن فضل شيء عن ذي قرابتك فهكذا وهكذا**»[4] رواه النسائي عن جابر.

ومما يقتضي طلب الإفراد في الدعاء ما رواه ابن ماجه والحاكم عن

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء. . ، حديث رقم (1957) [1/ 716].

(2) رواه النسائي في السنن الكبرى، ما يقول إذا أمسى، حديث رقم (10401) [6/ 145] ورواه أبو داود في السنن، حديث رقم (5074) [4/ 318] ورواه غيرهما.

(3) هذا الأثر لم أجده فيما بين يدي من مصادر ومراجع.

(4) ورواه مسلم في صحيحه، باب الابتداء في النفقة بالنفس. . . ، حديث رقم (997) [2/ 692] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الاستحباب للمرء أن يؤثر بصدقته على أبويه. . . ، حديث رقم (3339) [8/ 128]، ورواه النسائي في السنن الكبرى، باب أي الصدقة أفضل، حديث رقم (2326) [2/ 37].

عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الدعاء دعاء المرء لنفسه**»[1]، قال شارحه المناوي رحمه الله: لأنها أقرب جار إليه والأقرب أحق بالرعاية فيكون القيام بذلك أفضل اهـ.

والحاصل أنه ينبغي لقارىء هذا الورد أن يقرأه بين جماعة كما شرط الشيخ المصنف ذلك ضمناً حيث جمع ضمائره، ولأن الجمع لا يخلو من رجل مقبول الشفاعة ولو كان ذلك الرجل أشعث أغبر لا يؤبه له أي لا يفطن ولا يلتفت إليه أحد. وأيضاً المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه لا سيما إذا دعى لغيره بقلب خالص فقد جاء في الحديث: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً**»[2] اهـ. وأيضاً في الاجتماع بركة لقوله ﷺ: «**يد الله مع الجماعة**»[3] فالشاذ منهم يختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة من الغنم كما في «الأخبار»، وفي حديث: «**من سرَّه أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد ومن الاثنين أبعد**»[4]، نعم إذا لم يتمكن التالي من الحضور مع الجماعة فيرخص له في تلاوته منفرداً لكن يستحضر في نفسه أنه نائب في الدعاء عن المسلمين الغائبين عن مجلسه ويستحضر في نفسه أيضاً أولاده وعياله وإخوانه كما تقدم.

(اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من جداع) بفتح الجيم والدال المهملة آخره عين مهملة، أي موت **(الفجأة)** أي البغتة، أي أعوذ بك من أن يفجأني الموت أي يهجم عليَّ على غفلة مني وعدم استحضار توبة وإنابة، وقد استعاذ ﷺ من موت الفجأة. يقال: فجأه من بابي منع وسمع، أي هجم عليه بغتة على حين غفلة كأنه طلب من الله ضمناً التوفيق للتوبة والعمل الصالح ليموت على ذلك فيختم له بخير عمله.

---

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، حديث رقم (3190) [2/ 33] وعزاه إلى الحاكم عن عائشة.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب تشبيك الأصابع...، حديث رقم (467) ورواه مسلم في صحيحه، باب تراحم المؤمنين...، حديث رقم (2585) [4/ 1999] ورواه غيرهما.

(3) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم (2166) [4/ 466]، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط، مَن اسمه محمد، حديث رقم (6405) [6/ 277].

(4) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، حديث رقم (387) [1/ 197] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم ما عليه جماعة المسلمين...، حديث رقم (4576) [10/ 436] ورواه غيرهما.

روى أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله، قيل: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه**»[1] قال شارحه المناوي رحمه الله تعالى: أي يلهمه التوبة وملازمة العمل الصالح كما يجب وينبغي حتى يملّ الخلق ويستقذرهم ويحنّ إلى الموت ويشتاق إلى الملأ الأعلى فإذا هو برسل الله تعالى، أي ملائكة الموت يردون عليه بالروح والريحان والبشرى والرضوان من ربّ غير غضبان فينقلونه من هذه الدار الفانية إلى الحضرة العالية الباقية، فيرى لنفسه الضعيفة الفقيرة نعيماً مقيماً وملكاً عظيماً اهـ.

قال الحكيم الترمذي: فهذا عبد أدركته دولة السعادة، فأصاب حظه ومراده بعدما قطع عمره في رفض العبودية وتعطيلها وعطل الحدود وأهمل الفرائض، فلما قرب أوان هو كناية عن الموت أي قرب موته منه أي شخوصه إلى الحق أدركته السعادة بذلك الحظ الذي كان سبق له فاستنار الصدر بالنور وانكشف الغطاء فأدركته الخشية وعظمت مساوئه عنده فاستقام أمره فعمل صالحاً قليلاً فأعطي جزيلاً انتهى.

(و) أعوذ بك **(من حِراق)** بكسر الحاء المهملة وبالألف بعد الراء آخره قاف بوزن كتاب اسم للنار التي لا تبقي شيئاً على وجه **(المأروشة)** أي الأرض، أو بضم الحاء المهملة بوزن غراب اسم للماء الشديد الملوحة، يقال: ماء حراق بالضم أي شديد الملوحة، فعلى الأول يكون المعنى: أعوذ بك من أن يحترق وجه الأرض فتتعطل الأشجار والنباتات ويحترق تراب وجهها فلا ينبت شيئاً لأن التراب إذا احترق حتى اسودّ لا ينبت. وعلى الثاني يكون المعنى: أعوذ بك من ملوحة ماء المطر والعيون والأنهار وملوحة وجه الأرض، فإنه إن وقع ذلك ـ والعياذ بالله تعالى ـ تصير الأرض سبخة لا تنبت شيئاً. وكلا المعنيين صحيح. ويصح أيضاً أن يكون ذلك كناية عن الجرب

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الجنائز، حديث رقم (1257) [1/ 490] ورواه الترمذي في السنن، باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة...، حديث رقم (2142) [4/ 450] ورواه غيرهما.

مأخوذ من مرش إذا حك بأطراف الأصابع فيكون من إطلاق اللازم وهو الحك وإرادة الملزوم وهو موجبه كالجرب، أو المراد بالمأروشة المخلوق مطلقاً، وإنه استعاذ بالله من وقع الحريق في الأشياء حيواناً أو نباتاً فإن ذلك إن وقع والعياذ بالله أهلك الحرث والنسل. فهذه أربع احتمالات وكلها محتملة لكلام الشيخ المصنف، فكأنه استعاذ بالله من ملوحة الماء وملوحة الأرض ومن الحرق والجرب فتأمّل.

(و) أعوذ بك **(من الإلحاد)** أي الميل عن الحق والعدول عنه إلى الباطل، ويدخل في ذلك المماراة في الدين والمجادلة بالباطل والإلحاد الذي استعاذ بالله منه أعمّ من أن يكون في الحرم المكي أو في غيره لكنه فيه أشد لأنه من الكبائر، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحَجّ: الآية 25].

(و) أعوذ بك من **(الغِرّة)** بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء، أي الغرور، وهي الجرأة على الله في العصيان والتمادي في الطغيان وتسويف التوبة والاغترار بالله تعالى. قال قتادة: سبب غرور ابن آدم تسويل الشيطان فإنه لا يزال يغرّ العبد ويقول له: ربك كريم متى ما تبت إليه قبل توبتك، وإنك الآن شاب والموت بعيد حتى يهلكه ويطغيه، فيدركه الموت وهو على شرّ حالة، فيختم له بسوء عمله.

(و) أعوذ بك **(من الجم)** أي جمع المال حباً مع الحرص عليه ومنع الحقوق منه فيلتهي به ويشتغل بالتكاثر منه حتى يزور المقابر، بعد ذلك يندم ولا ينفعه الندم. قال رسول الله ﷺ: «**أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل**»[1]. وعنه ﷺ قال: «**قلب الشيخ شاب في حب اثنتين: طول الأمل وحبّ المال**» أخرجه ابن عساكر[2]. ولما كانت كثرة المال تطغي العبد استعاذ الشيخ قدّس الله سره من ذلك.

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل، حديث رقم (4) [1/ 27] ورواه أبو نعيم في الحلية عن الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ [1/ 76].

(2) أورده المتقي الهندي في كنز العمال برقم (7570) [3/ 198] وعزاه إلى ابن عساكر عن أبي سعيد.

(و) أعوذ بك من **(العَنَت)** بفتح العين المهملة والنون وبالتاء المجرورة هو الفساد والإثم والهلاك ودخول المشقة، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ [النِّساء: الآية 25] أي إباحة نكاح الأمة المؤمنة لمن خشي أي خاف العنت أي الوقوع في الزنا الذي يجر إلى اكتساب الإثم وارتكاب المشقة بسبب ما يجر إليه من العقاب الدنيوي بالجلد لغير المحصن والرجم للمحصن، والأخروي بعذاب النار أي أعوذ بك من اقتحام المآثم والمهالك.

(و) أعوذ بك **(من الأمور المطمرات)** أي المهلكات أي الوقوع فيما يشق على البدن ويهلك، أو من الوقوع في الأشياء المهلكة كالتردي وهو السقوط من مكان عالٍ، والهدم بسكون الدال وهو سقوط الأبنية على الإنسان، والغرق وهو الموت بالماء، والحرق وهو الموت بالنار، وأن يموت الشخص لديغاً، وقد استعاذ النبيّ ﷺ من جميع ذلك.

ثم إن الشيخ أورد في ورده هذا الدعاء الوارد في السنَّة بلفظه الذي رواه الترمذي والحاكم بسند صحيح عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات:

(اللهم اقسم لنا) أي اجعل لنا قسماً ونصيباً **(من خشيتك)** أي خوفك، والخشية خوف مقرون بتعظيم **(ما يحول)** أي يحجب ويمنع **(بيننا وبين معاصيك)** لأن القلب إذا امتلأ من الخوف احتجبت الأعضاء كلها وامتنعت عن ارتكاب المعاصي، وبقدر قلة الخوف يكون الهجوم على المعاصي، وإذا قلّ الخوف جداً واستولت الغفلة على القلب كان ذلك من علامة الشقاء.

(و) اقسم لنا **(من طاعتك ما تبلغنا به جنّتك)** أي مع شمولنا برحمتك وليست الطاعة وحدها تبلغ العبد وتوصله إلى الجنة بدليل حديث: «**لن يدخل أحد الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**»[1].

(1) رواه بنحوه مسلم في صحيحه، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله...، حديث رقم (2816) [4/ 216].

(و) ارزقنا **(من اليقين)** بك وبأنه لا رادّ لقضائك وقدرك **(ما يهوِّن)** أي يسهِّل **(علينا مصائب الدنيا)** بأن نعلم أن ما قدّرته لا يخلو عن حكمة واستجلاب مثوبة وأنك لا تفعل بالعبد شيئاً إلا وفيه صلاحه **(ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا)** أي مدة حياتنا **(واجعله الوارث منا)** أي اجعل الوارث لنا من نسلنا لا كلالة، أو اجعل تمتعنا باقياً عنا موروثاً لمن بعدنا، أو محفوظاً ليوم الحاجة. فعلى الأول يكون الهاء من اجعله عائداً على المصدر أي اجعل الجعل فكأنه قال: اجعل لنا ذرية من نسلنا ترثنا ولا تجعل الوارث لنا كلالة كالأخ وابنه والعم وابنه على حد قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي﴾ فكأنه سأل من الله ولداً ونسلاً يحيي ذكره من بعد موته ويصل إليه منه ثواب العمل الصالح. قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1] اهـ.

وعلى الثاني يكون الضمير عائداً على التمتع، والمعنى: اجعلنا ممتعين بما أنعمت به علينا إلى الممات، واجعل ذلك باقياً بعد موتنا ليرثه أولادنا من بعدنا فلا يصيرون فقراء كلّاً على الناس على حد قوله ﷺ لجابر لما أراد أن ينفق جميع ماله: «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم فقراء يتكففون الناس**»[2] اهـ. وهذا التأويل من فتح ربنا العزيز العليم فتح الله على من تأمّله بقلب سليم.

(واجعل ثأرنا على من ظلمنا) فندرك منه ثأرنا **(وانصرنا على من عادانا)** أي ظفرنا وانتقم لنا منه **(ولا تجعل مصيبتنا في ديننا)** أي لا تصبنا بمصيبة تنقص ديننا من أكل حرام أو اعتقاد سوء أو فترة عن عبادة **(ولا تجعل الدنيا**

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم (1631) [3/ 1255]، ورواه ابن خزيمة في صحيحه، باب ذكر الدليل على أن أجر الصدقة. . . ، حديث رقم (2494) [4/ 122] ورواه غيرهما.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب رثى النبي ﷺ سعد بن خولة، حديث رقم (1233) [1/ 435]، ورواه مسلم في صحيحه، باب الوصية بالثلث، حديث رقم (1628) [3/ 1250] ورواه غيرهما.

أكبر همِّنا) فإن ذلك سبب للهلاك **(ولا مبلغ علمنا)** بحيث نكون عالمين بأمور الدنيا جاهلين بأمور الآخرة، بل ارزقنا علم طريق الآخرة. قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يبغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة**»[1] أي يبغض من كان مهتماً بتحصيل الدنيا وما يبعده عن الله جاهلاً بما يقرِّبه من الله ويوصله إلى الجنة. وكفى بالعلم شرفاً أنه لا تمتد إليه أيدي السراق بالسرقة ولا أيدي السلاطين بالظلم، فالعلم مال لا يسرق، وبضاعة لا تكسد، وتجارة لا تخسر، ومنصب لا يسلب، ورتبة لا يعزل صاحبها اهـ. أي لا تجعلنا مهتمين في تحصيل الدنيا وجلبها، ولا تشغلنا بما تكفلت به لنا، ولا تجعل غاية علمنا ومعرفتنا في اقتناص الدنيا السريعة الزوال، بل اجعلنا عالمين بما يقربنا من الجنة ويبعدنا عن النار.

(ولا تسلط علينا من لا يرحمنا) أي لا تجعلنا مغلوبين للظلمة والكفرة، ولا تجعل الظالمين علينا حاكمين، أو لا تسلط علينا من ملائكة عذاب القبر مَن لا يرحمنا في القبر، ولا من ملائكة عذاب النار مَن لا يرحمنا فيها. وقوله: **(يا أرحم الراحمين)** من زيادة الشيخ على رواية الحديث استغاثة بالله حيث هو أرحم الراحمين.

(اللهمَّ إنا نسألك) أي نطلب منك **(رحمة من عندك)** أي ابتداء من غير سبب، وتنكيرها للتعظيم **(تهدىء بها روعنا)** أي تدل بها قلبنا عليك وتقربه لديك **(وتلم بها شعثنا)** أي تجمع وتلم ما تفرق من أمرنا **(وتجمع بها شملنا)** أي أمرنا حتى لا نحتاج لغيرك **(وتشفي بها مرضانا)** من العلل والأمراض الظاهرة والباطنة **(وتزكِّي)** أي تطهر وتنمي **(بها أعمالنا وأقوالنا)** فلا نعصيك في قول ولا فعل **(وتلهمنا بها رشدنا)** أي تهدينا بها إلى ما يرضيك ويقربنا منك زلفى.

(اللهمَّ إنَّا نسألك بصمدانيتك) أي بالرتبة المسماة بالصمدانية التي لا تليق

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، حديث رقم (28982) [10/ 82] وعزاه إلى الحاكم في تاريخه.

إلا بذاتك العلية، وهو نسبة إلى الصمد وهو السيد الذي يصمد أي يُلجأ ويُرغب إليه في الحوائج، فالصمدانية صفة من صفات الحق تعالى تقتضي استغناءه واحتياج الكل إليه، وإنه عظيم كبير إذ لا يلجأ في الحوائج إلا إلى الكبير القادر **(وبوحدانيتك)** وهي المرتبة التي تظهر فيها الأسماء والصفات مع مؤثراتها لكن بحكم الذات لا بحكم اقترانها **(وبعزتك الباهرة)** أي التي تبهر أي تغلب العقول وتدهشها وتحيرها، وهو من باب قطع كما في المختار **(وبرحمتك الواسعة)** التي وسعت كل شيء فلا تضيق عن المذنبين، وأرحم ما يكون الله بعبده إذا وضع في قبره وتولى عنه أهله وأحبابه كما في الحديث، والمعنى أطلب منك متوسلاً بسعة رحمتك **(أن تجعل لنا نوراً في مسامعنا)** جمع مسمع، وهو آلة السمع التي هي الأذن، فنسمع آياتك القرآنية ونتعظ بها ونعمل بمقتضاها بأن تكشف عن سمعنا الوقر فنفهم وننزجر.

(ونوراً في أعيننا) جمع عين وهي آلة الإبصار فنستدل بمصنوعاتك على وحدانية صانعها **(ونوراً في أحداقنا)** جمع حدقة وهي سواد العين التي هي الباصرة. فإن قيل: قد سأل أولاً النور في العين وهي تشمل الحدقة فكان تكراراً مع ما قبله والاقتصار على أحدهما يغني عن الآخر، قلت ـ والله أعلم ـ: سأل أولاً النور في العين التي هي الباصرة لتزول عنها الغشاوة، فيرى المصنوعات فيستدل بها على وحدانية ذات الصانع، ويعتبر بتقلب الليل والنهار وانتقاله من حال إلى حال، فيعلم بذلك أن له صانعاً حكيماً واجب الوجود لذاته، متعالياً عن الشريك، ثم سأل ثانياً النور في الحدقة ليكون نظره كالإكسير الذي إذا ألقي على النحاس المصدى عاد ذهباً إبريزاً، فيصير يربي المريد بالنظر إذا وقع نظره على جلف نطق بالحكمة أو على عاصٍ تاب من فوره وراثة محمدية.

قال إسماعيل حقي في تفسيره «روح البيان»: روي أن محمود الغازي دخل على الشيخ الرباني أبي الحسن قدّس سره لزيارته وجلس ساعة ثم قال: يا شيخ ما تقول في حق أبي يزيد البسطامي؟ فقال الشيخ: هو رجل من اتبعه اهتدى واتصل بسعادة الأبد، فقال محمود: وكيف ذلك وأبو جهل رأى رسول

الله ﷺ ولم يخلص من الشقاوة، فقال الشيخ في جوابه: إن أبا جهل ما رأى رسول الله إنما رأى محمد بن عبد الله يتيم أبي طالب ولو كان رأى رسول الله لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة. ثم قال: ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعرَاف: الآية 198] فالنظر بعين الرأس لا يوجب هذه السعادة بل النظر بعين السر والقلب والمتابعة التامة تورث ذلك اهـ.

فمن نظر شيخه بعين الإجلال والتعظيم معتقداً رسوخ قدمه في مقام الولاية صاحب مدد ودعاء مجاب انتفع به ووصل إلى مقام الولاية ورتبة الصلاح، ومن نظره بأنه فلان ابن فلان يأكل ويشرب مثله فلا تحصل له منه فائدة، ولا ينتفع به كما في الحديث: «**لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه**»[1]. والمصنِّف قدّس سره طلب من الله أن يعطيه نوراً في حدقته فيصير إذا نظر للمريد امتلأ مدداً ووصل إلى رتبة الولاية وتصفى من الكدورات النفسانية فعلم من ذلك أنه لا تكرار في كلام الشيخ قدّس سره اهـ فتأمل منصفاً.

(ونوراً في قلوبنا) لنزداد هدى وتفقهاً في دينك **(ونوراً في حواسنا)** الظاهرة والباطنة، جمع حاسة وهي ما يدرك به الشخص حقائق الأشياء وصفاتها، والحواس خمس ظاهرة وخمس باطنة. فالحواس الخمس الظاهرة هي: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، فبالسمع يدرك المسموع، وبالبصر يدرك اللون والهيئة والماهية، وبالشم يدرك الريح، وبالذوق يدرك الطعم، وباللمس يدرك الوصف من نعومة أو خشونة أو حرارة أو برودة. والحواس الخمس الباطنة هي: المفكرة، والمخيلة، والواهمة، والمدركة، والحافظة، وبها تدرك حقائق الأشياء وصفاتها.

(ونوراً في نسمنا) أي أرواحنا، جمع نسمة بالتحريك وهي الروح **(ونوراً من بين أيدينا)** وهو نور الإيمان والطاعة يسعى أمام العبد في ظلمات القيامة، ويسعى بين يديه على الصراط، ويكون هذا النور على حسب الأعمال

(1) أورده محمد الأمير في النخبة البهية برقم (270) وقال: لا أصل له.

والطاعات وقوة الإيمان كما روي عن ابن مسعود.

وإنما سأل الله أن يجعل له نوراً في السمع والبصر والحواس لأن هذه الحواس المذكورة موجودة في كل إنسان مسلماً كان أو كافراً، طائعاً أو عاصياً، إلا أن الله يكشف الحجب عنها للمسلم فيهتدي للإيمان والإسلام، فإن بقيت تلك الحجب لم تحصل الهداية كما قال تعالى في حق الكافرين: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعرَاف: الآية 179]، وقال تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محَمَّد: الآية 24] أي بل وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطفّفين: الآية 14]، وقال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البَقَرَة: الآية 7]، فإن زال ذلك الحجاب وتنورت الحواس وقعت الهداية والتوفيق إلى الإيمان وبزيادة ذلك النور تزداد الطاعات ويقوى الإيمان، فإن زالت الحجب بالكلية وتزايد وتكاثر النور وقع الكشف وشوهدت حقائق الأشياء على ما هي عليه، فأهل الكشف الذين أدركوا ما غاب عنه الناس يرون الأشياء على ما هي عليه، ومن لم يكشف له عن بصره وسمعه وبقي في عماء حجابه وصممه لا يدرك شيئاً. وقد نبَّه الشارع ﷺ على بعض ذلك بقوله: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**»[1] فأهل الكشف يرونها روضة كما قال ﷺ، ويرون نهر النيل والفرات وسيحون وجيحون نهر عسل وماء وخمر ولبن كما هي في الجنة، فإن النبيّ ﷺ أخبر أن هذه الأنهار الأربعة من الجنة، وكذلك الأماكن التي أخبر النبي ﷺ أنها من النار كبطن محسر وغيره. ولهذا شرع الإسراع في الخروج منه لأمته، فإنه يرى ما لا يرون ويشهد ما لا يشهدون، ألا ترى أهل الورع إذا أراد الله حمايتهم عن أكل الحرام أو المشبوه يغيره في نظرهم فيرونه دماً أو خنزيراً فيمتنع من أكله، فلأهل الله أعين يبصرون بها، وآذان يسمعون بها، وقلوب يعقلون بها، وألسنة يتكلمون بها غير هذه

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب في الروضة، حديث رقم (10061) [5/ 246] ورواه الطبراني في الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، حديث رقم (610) ورواه غيرهما.

الأعين والآذان والقلوب والألسنة من الصور، فبتلك الأعين يشهدون، وبتلك الآذان يسمعون، وبتلك القلوب يفقهون، وبتلك الألسن يتكلمون، فكلامهم مصيب فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية 171] والله إن عيونهم لفي وجوههم، وإن سمعهم لفي آذانهم، وإن ألسنتهم لفي أفواههم ولكن العناية الإلٰهية ما سبقت لهم في ذلك الكشف اهـ.

قال ابن عربي قدّس سره: فالحمد لله الذي حبانا بتلك القلوب والألسن والآذان والأعين اهـ. فأهل الشريعة الظاهرة مبائنون لأهل الحقيقة وذلك لجريانهم على ظاهر الشريعة وهم مثابون على ذلك اعتناء منهم بإزالة المنكرات، فلهم الامتناع من سماع ما لا يحل سماعه وزجر الناس عن ذلك، وأهل الكشف يسمعون تسبيح تلك الآلات وذكرها ويشاهدون حقيقة ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: الآية 44] كما يحكى عن رجل منهم مر على ندّاف يندف القطن بالقوس والوتر فوقف وتفكر وأصغى بسمعه وبكى، فسئل عن ذلك فقال: أسمع كلاماً لو تأمله إنسان لتحقق أنه خارج من صوت الوتر حقيقة. وهو قوله:

هبك عشت عمر نوح وضعف ضعف ضعف ذاك
ألست بعد ذا تموت أف أف أف لك

وسمع بعضهم ناقوساً يضرب به في دير النصارى فوقف وبكى، فسئل عن ذلك فأخبر أنه يقول:

حقاً حقاً حقاً حقاً صدقاً صدقاً صدقاً صدقاً
يا ابن الدنيا مهلاً مهلاً إن الدنيا قد غرتنا
ما من يوم يمضي عنا إلا أفنى قرناً منا

ومرَّ بعضهم في بعض الأسواق فسمع بياع الخيار ينادي: يا خيار كل سبعة بفلس، فوقع مغشياً عليه، فلما أفاق سُئل فقال: إذا كان الخيار كل سبعة بفلس فما قيمة مثلي. وأمثال هذا كثير لو أردنا استقصاءه لضاقت عنه صفحات هذا الكتاب ولكن ذكرنا لك نبذة من ذلك لننبهك على أن لهم أعيناً وأسماعاً ليست كأعيننا وأسماعنا. وبعضهم يسمع تسبيح الجمادات أيضاً وراثة محمدية.

فافهم وكفّ لسانك عمن رأيته منهم يصغي لسماع ما نهى ظاهر الشرع عنه. والشيخ المصنف قدّس الله سره لا بدع أنه من أهل هذا الكشف فلذلك طلب الازدياد من النور في الحواس والأعضاء.

ثم قال رحمه الله: **(اللهمَّ زدنا علماً)** أي معرفة، وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طٰه: الآية 114] **(و)** زدنا **(نوراً)** أي هداية وقوة إيمان وبصيرة، فكأنه قدّس الله سره سأل ربه أن يزجَّه في النور زجاً، لتتلاشى عنده الظلمات وتنكشف له المعلومات، ويشاهد بكل جارحة منه سائر المبصرات **(و)** زدنا **(حلماً)** أي أناة وعدم استعجال شيء **(وآتنا)** أي أعطنا **(نعمة ظاهرة)** وهي جمال الظاهر بالعافية والغنى **(و)** آتنا **(نعمة باطنة)** وهي جمال الباطن بالتقوى وإخلاص العمل وطهارة السرّ.

(التحصين الرابع) قول المصنف رحمه الله تعالى: **(حسبنا الله لديننا)** أي كفايتنا بالله تعالى والتجاؤنا إليه فيما يضرنا في الدين، أي نستدفع بالله تعالى كل مكروه عن ديننا. ومعناه سؤال صلاح الدين الذي هو عصمة الأمر فإن من فسد دينه فسد عمله وخاب وخسر في الدنيا والآخرة **(حسبنا الله لدنيانا)** أي نلتجيء إلى الله تعالى من فساد الدنيا ونطلب منه صلاحها لأن فيها معاش الإنسان، وذلك الصلاح إنما يكون بإعطاء الكفاف فيما يحتاج الإنسان إليه وكونه حلالاً معيناً على الطاعة.

(حسبنا الله الكريم لما أهمّنا) أي من أمور الدنيا والآخرة، طلب من الله أن يعافيه مما قضى وقدّر ويدخله في رحمته من غير سبق عذاب ويقضي أجله في طاعته ويختم له بخير عمله، ويجعل ثوابه الجنة، ويكفيه همّ الرزق والمعيشة وخوف الخلق.

(حسبنا الله الحليم القوي لمن بغى علينا) من جنس وإنس ووحش وطير وغير ذلك، طلب من الله أن يجيره من مكر الماكرين وخداع المخادعين، وفي الحديث: «**اللهم إني أعوذ بك من خليل ماكر عيناه تراني وقلبه يرعاني إن رأى حسنة دفنها وإن رأى سيئة أذاعها**»[1] رواه ابن النجار عن سعيد المقبري مرسلاً.

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، برقم (3666) [2/ 81].

(حسبنا الله الرحيم عند السام) أي الموت ونزول سكراته وغصصه وصعوبة خروج الروح، فإن الموت خلق فظيع ومنكر بشع وأمر مهول قصم ظهور الفحول، فإنه بالغ في الشدة الغاية التي لا شيء فوقها، وألمه مباشر للروح فيستغرق جميع أجزاء البدن حتى لم يبق فيه جزء إلا دخله الألم، فإن الروح تنزع وتجذب من كل عرق ومن كل عضو وشعر وبشر، وذلك أشدّ من ألوف ضربات بالسيوف لأن الضرب بالسيوف لا يبلغ تلك الكلية لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلمه لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المتناول والمأخوذ هو نفس الروح، فلا غرو أن يكون ذلك أشدّ من الضرب بالسيوف.

أخرج ابن أبي الدنيا عن الضحاك بن حمرة بضم المهملة مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**أدنى جبذات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف**»[1]. وأخرج ابن عساكر أن عمرو بن العاص رضي الله عنه كان يقول: «**عجباً لمن ينزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه. فلما نزل به الموت ذكره ابنه عبد الله وقال: صفه لنا، قال: الموت أجلّ من أن يوصف لكن سأصفه لك وصفاً مناسباً كأن على عنقي جبال رضوى وفي جوفي الشوك وكأن نفسي تخرج من ثقب إبرة**» اهـ. ويستثنى من ذلك الشهيد فإنه إنما يجد ألمه كما يجد غيره ألم القرصة كما في خبر اهـ ذكره المناوي رحمه الله تعالى[2].

(حسبنا الله الرؤوف) ذو اللطف والرأفة والرفق **(عند المسألة)** أي السؤال الحاصل من منكر ونكير لنا **(في الجدث)** أي القبر، وهو بفتح الجيم والدال المهملة وبالثاء المثلثة، وإنما احتسب بالله تعالى من السؤال في القبر لأنه أصعب العقبات إن نجا منه العبد فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أصعب منه. وهذا السؤال في القبر كائن للعبد لا محالة يجب الإيمان به قُبِر العبد أم لم يُقبر، حتى لو أكلته الوحوش أو حُرق وذري في الريح العاصف، وتُعاد الروح للبدن وقت السؤال ويجلس في القبر جلوساً حقيقياً سليم الأعضاء والحواس، فيسأله الملكان الموكلان بالسؤال في القبر، وهما منكر ونكير عليهما الصلاة والسلام امتحاناً واختباراً ليميز الله الخبيث من الطيب و﴿يُثَبِّتُ

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، برقم (42208) [15/ 242].
(2) في فيض القدير، حرف الهمزة [1/ 233].

ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: الآية 27]. وظاهر الخبر أنهما يأتيان المؤمن والمنافق على صفة واحدة من خلقهما المهول وهو اللائق بالامتحان والاختبار، والذي انحط عليه كلام المحققين من أهل العلم أن السؤال باللغة العربية لا غير. وقال بعض العلماء: منكر ونكير للمذنب، وأما المطيع فله مبشر وبشير. وقد ورد أن جماعة لا يسألون في قبورهم منهم المرابط والشهيد والمبطون والمطعون والميت ليلة الجمعة أو يومها والملازم على قراءة سورة (تَبَارك المُلْك) كل ليلة. نسأل الله تعالى أن يلهمنا جواب الملكين بما يرضيهما بحرمة محمد ﷺ. ذكر ذلك كله في «المطالب الوفية».

(التحصين الخامس): أشار إليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله: **(حسبي الله)** أي كافيني في جميع أموري بالتحصين والحفظ والنصرة، ومن اكتفى بالله تعالى لم يخيبه بل يكشف همّه ويزيل غمه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النِّساء: الآية 6]، ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ [الزُّمَر: الآية 36].

(لا إلٰه إلا هو، عليه) لا على غيره **(توكلت)** أي اعتمدت في جميع أموري سيما في مهمات القبر والآخرة ولا أخاف إلا الله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطّلَاق: الآية 3]، **(وهو ربّ العرش العظيم)** يجوز جره نعتاً للعرش ويجوز رفعه صفة للرب، وهذا مقتبس من آية آخر براءة. وفي صحيح أبي داود[1]: من قال إذا أصبح أو أمسى: حسبي الله لا إلٰه إلا هو عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه صادقاً كان أو كاذباً. وفي رواية: كفاه الله ما أهمّه من أمر الدنيا والآخرة. كذا في «شرح الورد الكبير» للشرقاوي رحمه الله تعالى.

(مرحباً مرحباً) لفظان ملازمان للنصب على المصدرية يقولهما الشخص للقادم عليه، مشتقان من الترحيب وهو قول: مرحباً، أي أتيت سعة وأهلاً للإكرام. ولما كان الصباح والمساء والوقت والسافر[2] قادمين على الشخص

(1) باب ما يقول إذا أصبح، حديث رقم (5080) [4/ 321].

(2) السَّافِر: المسافر. والجمع: سَفْر، وسافرة، وسُفَّار، وأسفار. والسَّافر: الكاتب. والسَّافِر: واحد الملائكة الذين يحصون الأعمال. والجمع: سَفَرَة. وفي التنزيل العزيز: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عَبَسَ: الآيتان 15- 16] [المعجم الوسيط].

كالضيف إذا قدم على المضيف رحب بهم كما يرحب بالضيف، وكما أن الضيف إذا نزل يبغي القرا والإكرام فكذلك اليوم والليلة والسافر قراهم وإكرامهم بفعل الطاعات وملازمة العبادة ليشهدوا له بالخير، ولذا قال مرحباً مرحباً.

(بالصباح واليوم الجديد) الذي يظهر الجديدين بصيغة التثنية لتطابق الصفة موصوفها كقولك: مررت بزيد وعمرو الغافلين، وكذا يقال فيما بعده من المساء والليل والإبان والفيئة فيقال: الجديدين والسعيدين لما مرّ، اللهمَّ إلا أن يكون حذف من الأول لدلالة الثاني وعليه فالمعنى مرحباً بالصباح الجديد واليوم الجديد، وكذا يقال فيما بعده، وهذا يقوله التالي إذا تلى الوِرْد صباحاً.

(أو) يقول إذا تلاه مساء مرحباً مرحباً **(بالمساء والليل الجديد)** فيه ما مرّ، يقال الليل والنهار الجديدان لأنهما يتجددان كل وقت ويتعاقبان **(و)** مرحباً مرحباً **(بالإبان)** أي الحين وهو بكسر الهمزة وتشديد الموحدة **(والفيئة)** بالفاء وبعد المثناة التحتية همز أي الرجوع من فاء إذا رجع لرجوع الصباح والمساء كل يوم وليلة **(السعيد)** فيه ما مرّ أي حين سعيد ورجوع سعيد.

(و) مرحباً مرحباً **(بالسافر)** أي السفير ويجمع على سفَرة وهو الملك الذي ينزل في النهار لحفظ العبد من آفاته وفي الليل لحفظه من طوارقه ولكتابة حسناته وسيئاته. قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: الآية 18]، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرّعد: الآية 11] أي بأمر الله. وفي الحديث: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار**»[1]، وإنما أفرد السافر مع أنهم سفرة لإرادة الجنس **(الشهيد)** أي الذي يحصي على العبد أعماله ويشهد له أو عليه بها.

(اكتب لنا) أيها السافر الموكل بكتابة الحسنات **(ما)** أي الذي **(نقول)** من الذكر والاعتراف بربوبية الحق والإقرار بالشهادتين والإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، وأخبرنا به ليكون ذلك أول مكتوب من أقوالنا في جريدة حسناتنا

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب فضل صلاة العصر، حديث رقم (529) [1/ 203] ورواه مسلم في صحيحه، باب فضل صلاتيّ الصبح والعصر...، حديث رقم (632) [1/ 439] ورواه غيرهما.

كي نرى نفع ذلك يوم القيامة وهو: **(بسم الله الحميد)** أي الذي لا تذم أفعاله **(الرفيع)** الذي لا تضاهى مرتبته **(الودود)** الذي يُحسن إلى خلقه **(المحيط)** بما كان وبما يكون **(الفعّال في خلقه لما يريد)** بلا معارض ولا ممانع ولا منازع **(وهو)** سبحانه وتعالى **(أقرب إليهم)** أي إلى خلقه قرب علم وشهود واطلاع ورحمة لا قرب مسافة **(من حبل الوريد)** أي من عروق رقبتهم وعنقهم.

(أصبحت) أي أنا، يقولها إذا كان وقت الصباح فإذا كان وقت المساء يقول: أمسيت **(بالله مؤمناً)** أي مصدّقاً بوحدانيته ومقرّاً بها **(وبلقائه)** أي لقاء الله وهو الحشر والوقوف بين يديه تعالى للحساب **(مصدقاً)** أي موقناً ومذعناً **(وبحجته معترفاً)** أي مقراً بأن لله الحجة البالغة على خلقه، أو بالقرآن الذي هو حجة الله على عباده **(ولسوى الله في الألوهية جاحِداً)** أي منكراً ومكذِّباً بجميع ما يُعبد من دون الله لأنه لا معبود بحق إلا الله تعالى **(وعلى الله متوكلاً)** أي مفوِّضاً جميع أموري إليه.

(نشهد الله) الظاهر أنه بالإفراد هنا وفيما بعده **(ونشهد)** أي نحمل هذه الشهادة وهذا الإقرار منَّا **(ملائكته)** أي العلوية والسفلية **(و)** نشهد **(أنبياءه)** المرسلين وغير المرسلين **(و)** نشهد **(حملة عرشه)** عطف خاص على عام لدخولهم في جملة الملائكة وهم أربعة ويمدّهم الله يوم القيامة بأربعة أخر فيصيرون ثمانية كما قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحَاقَّة: الآية 17].

قال شهر بن حوشب: حَمَلَة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهمَّ وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، وأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك. قال: وكأنهم يرون ذنوب بني آدم وهم من أشراف الملائكة وأفضلهم لقربهم من محلّ رحمة ربهم.

وقال ابن عباس: حَمَلَة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدمه مسيرة خمسمائة عام. ويروى أن أقدامهم في تخوم الأرض والأرضون والسماوات إلى حجزتهم وهم يقولون: سبحان ذي العزّة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحيّ الذي لا يموت، سبُّوح قدُّوس ربُّ الملائكة والروح.

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حَمَلَة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»[1]. قال المناوي رحمه الله تعالى: فإن قلت الملائكة أجسام نورانية والأنوار لا توصف بالأذن والعاتق قلت: لا مانع من تشكل النور على هيئة الإنسان أو إنه ضَرَبَ الأذنَ والعاتقَ مثلاً للإفهام.

قال الإمام الرازي: اتفق المسلمون على أن فوق السماء جسماً عظيماً هو العرش اهـ وهو من ياقوتة حمراء كما جاء في الحديث خلافاً لما في «الكشاف» وغيره أنه من جوهرة خضراء، وهو من أعظم المخلوقات خلقاً.

روي أن بين كل قائمة من قوائم العرش خفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام، ويكسى العرش كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله، والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة.

قال مجاهد: بين السماء السابعة والعرش سبعون ألف حجاب، حجاب نور، وحجاب ظلمة، وحجاب نور، وحجاب ظلمة. وقيل: إن العرش قبلة أهل السماء كما أن الكعبة قبلة أهل الأرض، وأما من حول العرش فهم الكروبيون وهم سادات الملائكة اهـ. ذكره الخطيب في تفسيره.

(و) نشهد **(جمع خلقه)** من حيوان وجماد وأنس وجنّ **(بأنه هو الله لا إلٰه إلا هو وحده لا شريك له)** منفرداً في الألوهية لعدم الشبيه والنظير **(وبأنّ محمداً عبده ورسوله)** إلى الناس كافة ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البَقَرَة: الآية 119] أرسله بالحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

(وأن) بفتح الهمزة فيه وفي جميع ما سيأتي **(الجنة حق)** وهي موجودة الآن وهي مسكن الموحِّدين مطلقاً، وهي دار الثواب ومحل رحمة الوهَّاب، وهي دار النعيم المؤبد والملك المخلّد لا يفنى نعيمها ولا تنقطع لذّاتها، ولها سبعة عشر اسماً، وكثرة الأسماء تدلُّ على شرف المسمى. أخرج ابن حبان والضياء المقدسي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**أدنى أهل**

(1) لم أجد هذا الحديث في المصادر والمراجع التي بين يديّ.

الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة»[1] كذا في «الجامع الصغير».

وروى البزار عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثر أهل الجنة البله**»[2] قاله المناوي، أي الغافلون عن الشر المطبوعون على الخير، والذين خلوا عن الدهاء والمكر وغلبت عليهم سلامة الصدور. قال الحسن: أدركنا قوماً لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو رأوكم لقالوا شياطين اهـ.

(و) نشهد **(أن النار حق)** ثابتة بالكتاب والسنَّة، وهي موجودة الآن، وهي مقرّ الكفار مطلقاً ومحل غضب الله تعالى وسخطه وانتقامه ممن عصاه وخالف أمره، يدخلها الكافر ويخلّد، ويدخلها الموحد بعصيانه ويخرج بالشفاعة، لا ينقطع عذابها ولا يخمد التهابها، عافانا الله ووالدينا وذرياتنا وإخواننا والمسلمين منها بكرمه.

وقد ثبت في «الصحيح» عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[3] اهـ. قال بعض الحكماء: من كان له خمس خصال لا يدخل النار أبداً، خمسة على القلب وخمسة على اللسان، وخمسة على البدن، وأما الخمسة التي على القلب: حبّ النبيّ ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم أجمعين. وأما الخمسة التي على اللسان خمس كلمات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وأما الخمسة التي على البدن الخمس صلوات: صلاة الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء اهـ. نقله العم شعيب أفندي الكيالي رحمه الله تعالى في مجموعته.

---

(1) وتتمة الحديث هي: «وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء»، رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عن عدد النساء والخدم..، حديث رقم (7401) [16/ 414] ورواه الترمذي في سننه، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة، حديث رقم (2562) [4/ 695] ورواه غيرهما.

(2) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، برقم (39283) [14/ 198] وعزاه إلى البزار عن أنس.

(3) أورده أبو الفضل بن عمار الشهيد في علل الحديث في كتاب الصحيح [1/ 151].

(و) نشهد **(أنَّ الحوض حقّ)** وهو حوض النبيّ ﷺ الكائن على باب الجنة في أرض المحشر يصب إليه الماء من نهر الكوثر الذي هو داخل الجنة، ترد عليه أمته ﷺ ويطرد عنه الخوارج وأهل البدع والروافض، كيزانه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، جعلنا الله ووالدينا وأولادنا من الشاربين منه في خير وعافية. واختلف فيه: هل هو قبل الصراط والميزان أو بعدهما، قولان لأهل العلم من أهل السنَّة والجماعة بأيهما أخذ الإنسان فهو مصيب، لأن جهل تقدّمه وتأخّره لا يقدح في العقيدة إنما العقيدة إثبات الحوض والميزان والصراط فنؤمن بها، وهي أمور محسوسة لتظاهر الأدلة على ذلك من الكتاب والسنَّة وأقوال الأئمة.

(و) نشهد **(أنَّ الشفاعة حق)** وهي شفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر من أمته. قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل نبي دعوة قد دعي بها في أمته فاستجيب له وإني أخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»[1]. وروى أحمد عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني آتٍ من عند ربي فخيّرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً**»[2]. قال المناوي: أي وشهد أني رسوله ولم يذكره اكتفاء بأحد الجزءين عن الآخر لعلمهم بأنه لا بدَّ من الإتيان بهما لصحة الإسلام، فالمراد أن يكون مؤمناً بكل ما يجب الإيمان به.

(و) نشهد **(أنَّ السؤال حق)** أي الامتحان بالسؤال في القبر بعد الدفن بإعادة الروح للجسد وردّ السمع والبصر والعقل كما هو مقرر في محله **(و)** نشهد **(أن منكراً ونكيراً حق)** أي الملكين الموكلين بسؤال العبد في القبر **(و)** نشهد **(أنَّ وعدك حق)** فإنك لا تخلف الميعاد، والمراد به هنا النفخ في الصور

---

(1) رواه بنحوه البخاري في صحيحه، باب لكل نبي دعوة مستجابة، حديث رقم (5945) [5/ 2323] ورواه مسلم بنحوه في صحيحه، باب احتباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، حديث رقم (198) [1/ 188] ورواه غيرهما.

(2) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، حديث رقم (225) [1/ 137] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر عوف بن مالك الأشجعي...، حديث رقم (7207) [16/ 185] ورواه غيرهما.

وبعث مَن في القبور، وحشر المخلوقات، وطيّ الأرض والسماوات، وإدخال الموحدين الجنة فضلاً والكافرين النار عدلاً، جميع ذلك حق ثابت بنص الكتاب والسنَّة.

(و) نشهد **(أنَّ الساعة)** أي القيامة **(آتية لا ريب)** أي لا شك **(فيها)** لتصريح الكتاب والسنَّة بذلك **(و)** نشهد **(أنَّ الله يبعث مَن في القبور)** بإحيائهم وإعادة أرواحهم إلى أجسادهم وحشرهم إلى مواقف الحساب ومجازاتهم على أعمالهم المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته **(على ذلك)** القول المقرون بالإذعان والاعتقاد وتصديق القلب **(نحيا)** أي نعيش مدة حياتنا في الدنيا مسلمين **(وعليه نموت)** مؤمنين **(وعليه نُبعث غداً)** في زمرة الموحدين وأهل الإيمان **(ولا نرى عذاباً إن شاء الله تعالى)** ببركة التوحيد بل يعفو الله عنا بفضله ويغمرنا بإحسانه ويدخلنا الجنة مع الفائزين برحمته.

(اللهمَّ إنَّا ظلمنا أنفسنا) بفعل المعاصي وارتكاب المحرمات والتقصير في الطاعات **(فاغفر لنا أوزارنا)** أي ذنوبنا، جمع وزر وهو الذنب **(الكبائر)** جمع كبيرة التي هي موبقات أي مهلكات **(و)** اغفر لنا **(اللمم)** أي الذنوب الصغائر.

(تنبيه): ذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى كبائر وصغائر، وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنَّة. وقد اختلف في ضبط الكبيرة بالحدّ فقال جمع: هي ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب أو سنَّة. وقال جمع: هي المعصية الموجبة للحد، والأول أوجه لأنهم عدُّوا الربا وأكل مال اليتيم وشهادة الزور ونحوها من الكبائر ولا حدّ فيها. وقال إمام الحرمين: هي كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين. كذا في «تفسير الخطيب». وفي «العيني شرح البخاري» وقيل: الكبيرة كل معصية، وقيل: كل ذنب قرن بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب اهـ.

وأما تعريفها بالعدّ، فقد اختلف فيه، قال ابن عباس: هي إلى السبعين أقرب. وقال ابن جبير: هي إلى السبعمائة أقرب. وعدّها الشهاب ابن حجر في

«الزواجر» أربعمائة وأربعاً وستين كبيرة. ولا بأس بذكر شيء من النوعين:

فمن الكبائر: تقديم الصلاة أو تأخيرها عن وقتها بلا عذر، ومنع الزكاة، واليأس من رحمة الله، والأمن من مكر الله، وقتل النفس عمداً، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، والإفطار في رمضان من غير عذر، وعقوق الوالدين، والزنا، واللواطة، وشهادة الزور، وشرب الخمر وإن قلّ، والسرقة، والغصب، وكتمان الشهادة بلا عذر، وضرب المسلم بغير حق، وقطع الرحم، والكذب على رسول الله ﷺ عمداً، وسبّ الصحابة، وأخذ الرشوة، والنميمة، وغيبة أهل العلم، وأهل القرآن، والسحر، وقذف المحصنات المؤمنات.

ومن الصغائر: النظر المحرم، وكذب لا حدّ فيه ولا ضرر، والإشراف على بيوت الناس، وهجر المسلم فوق ثلاث، والجلوس بين الفساق، وإدخال مجانين وصبيان المسجد اهـ.

ثم إن الإصرار على الصغيرة يصيِّرها كبيرة، وباجتناب الكبيرة تغفر الصغيرة، وكثرة الاستغفار والوضوء يكفران الصغائر ويصغران الكبائر اهـ.

(فإنه) أي الحال والشأن **(لا يغفرها إلا أنت)** لا يسترها ويمحوها ويعفو عنها غيرك. وإنما طلب الشيخ قدّس الله سره غفران الذنوب لأنه لا ينفكّ أحد عنها ولو كان من أهل العناية. والذنوب لا تقدح في الولاية لأن الولي غير معصوم بل هو محفوظ وحفظه جائز لا واجب بخلاف العصمة في حق الأنبياء فإنها واجبة شرعاً وعقلاً.

(تنبيه): الذنوب على أقسام: ذنوب العامة، وهي المعاصي. وذنوب الخاصة، وهي غفلة القلوب عن المحبوب، ولذا سأل جماعة بعض العارفين عن كيفية سجود السهو فقال: هو عندكم سجدتان وتسليمتان وعندنا ضرب العنق للغفلة عن الله. وذنوب خاصة الخاصة وهي خطور ما سوى الله في قلوبهم، كما قال سيدي عمر بن الفارض:

ولـو خـطـرت لـي فـي سـواك إرادة على خاطري سهواً قضيت بردّتي

فدوام الحضور من غير تخلل غفلة لا يكون إلا للأفراد كالأنبياء وبعض الكُمَّل من الأولياء دون غيرهم. وينبغي سؤال المغفرة ولو من معصوم إظهاراً للعبودية وقياماً بحق الربوبية وتعليماً للأمة. قال عمر رضي الله عنه: كنا نعدّ

لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التوَّاب الرحيم. وأيضاً فهو ﷺ دائم الترقي في المقامات فكلما ترقى من مقام إلى غيره عدّ الأول نقصاً فيستغفر الله منه.

ولما سأل الشيخ قدّس الله سره غفران الذنوب له وللحاضرين معه طلب من الله الهداية لأحسن الأخلاق ليكون مكملاً فقال: **(واهدنا لأحسن الأخلاق)** أي لاكتساب الفضائل والطاعات **(فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت)** فإنك أنت الموفق الهادي **(لبيك وسعديك)** مصدران منصوبان على المصدرية دائماً، والمعنى أجيبك لما أمرتني به إجابةً بَعْدَ إجابة وأسعد بطاعتك سعادةً بعدَ سعادة **(والخير كله بيديك)** أنت توصله لعبادك **(نستغفرك)** أي نطلب منك غفراناً لذنوبنا **(ونتوب إليك)** من جميع سيئاتنا.

وحقيقة التوبة الرجوع عن الذنب، وأركانها ثلاثة: الإقلاع عن الذنب، والندم على ما فات، والعزم على أن لا يعود. وهي ثلاثة أقسام: بدءٌ ووسط ونهاية. فبدؤها يسمى توبة، ووسطها يسمى إنابة، ونهايتها يسمى أوبة. فالتوبة للمخالف من العوام وهي صفة المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النُّور: الآية 31]. والإنابة للطائع، وهي صفة الأولياء المقرّبين، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾ [ق: الآية 33]. والأوبة لمراعي الأمر الإلٰهي، قال تعالى: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: الآية 30]. وتوبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من غفلة القلوب، وتوبة خواص الخواص من كل شيء سوى المحبوب. وهذا معنى قولهم: «**حسنات الأبرار سيئات المقرّبين**»[1] إذ مَن عبد الله استحقاقاً لربوبيته وقياماً بعبوديته لا رغبة في جنته ولا خوفاً من ناره كانت عنده رؤية الثواب والعقاب نقصاً. قال ﷺ: «**لا يكون أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل أو كالأجير أن لم يعط لم يعمل**»[2] اهـ، والتوبة أول مقامات الطريق اهـ.

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، برقم (1137) [1/ 428] وقال: هو من كلام أبي سعيد الخراز كما رواه ابن عساكر في ترجمته وهو من كبار الصوفية مات سنة مائتين وثمانين وعدّه بعضهم حديثاً وليس كذلك.

(2) أورده أبو نعيم في حلية الأولياء وعزاه إلى وهب بن منبه [4/ 54].

(آمنا وصدّقنا اللهمَّ بما) أي بجميع ما **(أرسلت من رسول)** أي أو بعثت من نبي **(وآمنا وصدّقنا اللهمَّ بما أنزلت من كتاب)** من السماء على رسلك **(اللهمَّ املأ وجوهنا منك حياء)** لنزداد إيماناً وتقوى ويكون مانعاً لنا عن ارتكاب القبائح والفواحش التي هي مجانبة للإيمان، فإنه مَن لا حياء فيه لا خير فيه إذ الحياء شعبة من شعب الإيمان من حيث كونه باعثاً على امتثال المأمور وتجنُّب المنهي. وورد: «**الحياء من الإيمان**» أخرجه مسلم والترمذي عن ابن عمر[1]. وورد: «**الحياء هو الإيمان كله**» أخرجه الطبراني عن قرة[2]. وورد: «**الحياء خير كلّه**» أخرجه مسلم وأبو داود عن عمران بن حصين[3].

(و) املأ **(قلوبنا منك حبوراً)** أي سروراً وزناً ومعنى **(اللهمَّ اجعلني)** بصيغة الإفراد لمناسبة ما بعده وما وجد من صيغة الجمع في بعض النسخ فهو سهو من الكاتب **(لهوماً)** بضم اللام والهاء، أي جوّاداً، وفي بعض النسخ: لهموماً بضم اللام وسكون الهاء بعدها ميم مضمومة، ومعناه كثير الخير، وكلا النسختين صحيح **(ظلفاً)** بالتحريك أي شريف النفس، قاله أبو البقاء.

(ولا تجعلني ضنيناً) أي بخيلاً، والبخل صفة مذمومة وهو منع السائل المحتاج عمّا يفضل عن الحاجة **(و)** لا **(عميناً)** أي مقيماً على المعاصي من عمن بالمكان إذا أقام به، وهو من باب ضرب وقتل. قوله: من باب ضرب وقتل الذي في القاموس: عمن بالمكان كضرب وسمع اهـ.

(و) لا تجعلني **(نميماً)** أي نماماً أنقل الحديث **(و)** لا تجعلني **(نفاجاً)** بالنون وتشديد الفاء وبعد الألف جيم أي متكبراً، ومثله المنتفج وهو المتكبِّر **(و)** لا تجعلني **(داحساً)** أي مفسداً بين الناس.

---

(1) ورواه البخاري في صحيحه، باب الحياء من الإيمان، حديث رقم (24) [1/ 17] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم الحياء عند تزيين الشيطان له. . . ، حديث رقم (608) [2/ 373] ورواه غيرهم.

(2) هذا الحديث لم أجده، والذي ورد قوله ﷺ: «**الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كلّه**» رواه القضاعي في المسند، حديث رقم (158) [1/ 126].

(3) صحيح مسلم، باب عدد شعب الإيمان. . . ، حديث رقم (37) [1/ 64] سنن أبي داود، باب الحياء، حديث رقم (4796) [4/ 252].

(اللهمَّ إنَّا نعوذ) أي نعتصم **(بك من الهبرمة)** بهاء مفتوحة وباء موحدة ساكنة بعدها راء مفتوحة أي كثرة الأكل وكثرة الكلام وكلاهما مذموم **(و)** نعوذ بك **(من الجأوة)** أي احتراق الفؤاد من شدّة الحزن، وهي في الأصل اسم لما يوضع عليه القدر ثم استعير للحزن الشديد لأنه يشوي الفؤاد **(و)** نعوذ بك **(من العُتُوّ)** بضم العين والتاء المثناة الفوقية وشدّ الواو أي الكِبَر **(و)** نعوذ بك **(من الخَطْرَبَة)** أي الضيق في المعيشة وهي بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة وفتح الراء والباء الموحدة **(والخَيْلولة)** أي الظن السيىء وهو بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة التحتية **(والفَيْهَج)** وهو بالفاء وسكون الياء المثناة التحتية وبعد الهاء المفتوحة جيم معناه الخمر **(والرثَغ)** بالثاء المثلثة المفتوحة وبالغين المعجمة الطمع والحرص الشديد **(والعَتْل)** بفتح العين المهملة وسكون المثناة الفوقية، معناه الجفا وغلظ الطبع **(والرَماء)** بفتح الراء المهملة والمدّ الباطل ومر مئات الأخبار أباطيلها **(والفتنة الدهماء)** أي السوداء التي تدهى وتجيء على غفلة. وفي القاموس: الفتنة الضلال والإثم والكفر والفضيحة والعذاب اهـ. وقد استعاذ الشيخ من جميع ذلك لأن لفظ الفتنة شامل لما ذكرناه. **(والمعيشة الضنكة)** أي الضيقة أو هي كناية عن عذاب القبر كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: الآية 124].

(اللهمَّ اجعل أول يومنا هذا صلاحاً) هو ضدَّ الفساد **(وأوسطه فلاحاً)** أي فوزاً ونجاة **(وآخره نجاحاً)** أي ظفراً بالمطلوب من حوائج الدنيا والآخرة، هذا إذا كانت التلاوة أول النهار، فإن كانت عند المساء يقول: أول ليلتنا هذه وأوسطها وآخرها **(زهادة)** أي زهداً وهو ترك الدنيا والاقتصار على ما يشدّ البدن **(وآخره)** أو آخرها **(تكرمة)** أي كرامة منك لنا بقبول أعمالنا والعفو عن ذنوبنا.

(اللهمَّ ارزقنا من العيش أرغده) أي أطيبه **(ومن العمر أسعده)** لنعيش عيش السعداء **(ومن الرزق أوسعه)** وفي نسخة أوسطه **(وأنفعه)** لئلا نحتاج إلى تكفف الناس **(اللهم اعف عنا بعفوك)** العفو ترك الانتقام بعد القدرة عليه **(واحلم علينا بفضلك)** أي لا تعاجلنا بالعقوبة.

(سبحانك اللهم وبحمدك) تقدّم الكلام عليه **(لا أحصي ثناء عليك أنت)** أي لا أستطيع القيام بواجب الثناء عليك والضمير المنفصل وهو أنت تأكيد للمتصل في عليك **(كما أثنيت على نفسك)** بقولك: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجَاثِيَة: الآية 36] وغير ذلك، وهذا اعتراف بالعجز وأنه غير مقدور للعبد.

(عزّ جارك) أي لا يُذلّ من استجار بك **(وجلَّ ثناؤك)** أي عظم فلا يقدّر قدره ولا يستطاع **(ولا يهزم)** أي لا يغلب **(جندك)** أي حزبك ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المَائدة: الآية 56] **(ولا يخلف وعدك)** أي لا يغير ولا يبدل فإنه حق صادق **(ولا إله غيرك)** أي لا أحد يستحق العبادة معك.

(سبحانك ما عبدناك حق عبادتك يا معبود) أي ما أدّيناك حقَّ عبادتك، وهذا اعتراف بالعجز والقصور بخدمة الربّ، وهذه الصيغة من تسبيح الملائكة أوردها الشيخ في ورده، فإنه لا يمكن لأحد القيام بواجب العبودية للربّ جلّ شأنه وليس ذلك في وسع العبد، وذلك لأن العبودية ذلّة محضة خالصة ذاتية للعبد فلا يكلف العبد القيام بها للزومها لذاته فإن قام بحقها كان قيامه عبادة، ولا يتأتى القيام بها إلا لمن يسكن الأرض الإلٰهية الواسعة فتلك أرض الله التي من سكن فيها تحقق بعبادة الله تعالى وإضافة الحق إليه قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: الآية 56] فهي أرض المحققين، فبها تظهر حقائق الأشياء على ما هي عليه، وأرض العظمة لأن فيها ظهرت عظمة الله تعالى، وأرض السمسمة لأنها مخلوقة من بقية طينة آدم التي فضلت عنه وعن النخلة وكانت مقدار السمسمة فمدها الله بقدرته حتى صار العرش وما حواه بالنسبة إليها كحلقة ملقاة في فلاة ولهذه الأرض البقاء كما قاله في «الفتوحات»، وما هي الأرض التي تقبل التبديل، ولهذا جعلها الله مسكن عباده ومحل عبادته والعبد ما زال عبداً أبداً لا يزال في هذه الأرض أبداً، وهي أرض معنوية معقولة غير محسوسة، ولكل عبد فيها ملك يملكه ويتصرف فيه فلا يتعدّى عليه غيره، وله اسم يخصه.

وأخبر سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه بعض أحبابه أن ملكه فيها

يسمى سعد باد وفيه قصور شاهقة وأنهار دافقة وأشجار مونقة. قال في «الفتوحات»: فمن كان من أهلها حيل بينه وبين الصورة التي خلق عليها فكان عبداً محضاً اهـ.

(سبحانك ما عرفناك حق معرفتك يا معروف) فلا يحيط أحد بكنه ذاتك العلية لأنه لا سبيل للإنسان إلى معرفة نفسه التي بين جنبيه فكيف له بمعرفة ربه كما هو، فكان النبيّ ﷺ في حديث: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[1] قد علق مستحيلاً على مستحيل لأنه يستحيل أن تعرف نفسك وكيفيتها وكميتها، فإذا كنت لا تطيق أن تصف نفسك التي هي بين جنبيك بكيفية ولا أينية ولا شبحية ولا هيكلية ولا هي بمرئية فكيف يليق بعبوديتك أن تصف الربوبية بكيف وأين وهو مقدّس عن الكيف والأين، وقد تكلموا في تأويل هذا الحديث بما يزيد على عشرة أقوال بسطنا الكلام عليها في مجموعتنا الخضراء، انتهى.

(سبحانك ما ذكرناك حق ذكرك يا مذكور) بكل لسان من ألسنة المخلوقات وبكل لغة من لغات الحيوانات، فكلّ مخلوق لله تعالى يذكر الله ويسبِّحه ويقدِّسه من حيوان أو جماد لافتقارها إليه تعالى ومعرفتها أنه ربها وخالقها فقراً ذاتياً فما من فرد منها إلا وهو ذاكره تعالى وسائله في كل لحظة وأدق من اللحظة لاحتياجه إليه في حفظه وإمساك الوجود عليه بخلق ما به بقاؤه، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: الآية 44]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النُّور: الآية 41].

قال العيني رحمه الله في «شرح البخاري»: اختلفوا في الجمادات كالأشجار والأحجار وغيرها هل تسبِّح الله وتذكره حقيقة أم فيها دلالة على الصانع، وسمي ذكراً وتسبيحاً توسعاً. وأهل التحقيق على أنها تسبِّح حقيقة إذ العقل لا يحيل جعل التمييز فيها وخلق النطق لها اهـ بزيادة إيضاح.

(سبحانك ما شكرناك حق شكرك يا مشكور) أي يا مستحق الشكر على

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

نعمك التي لا تحصى، والشكر أعم من الحمد لأن الحمد إنما يكون باللسان والشكر أعم من أن يكون باللسان أو بالجنان أو بالأركان لأن معنى الشكر لغة فعل ينبىء عن تعظيم المنعم من حيث إنه منعم على الشاكر وغيره، سواء كان ذكراً باللسان أو عملاً بالأركان أو محبة بالجنان. ومعناه شرعاً: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه لما خلق لأجله، والمعنى: ما قمنا بحق شكرك إذ لو وجد ذلك منا لصرفنا جميع أعضائنا واستعملناها فيما خلقتها له.

(اللهمَّ أوزعنا) أي ألهمنا **(شكر ما أنعمت به علينا)** من النعم الظاهرة والباطنة **(فإنك أنت الله الذي ارتفعت)** أي تعاليت وتعاظمت **(عن صفة الجِبِلّ)** بكسر الجيم والباء الموحدة وتشديد اللام، وفيه لغات أخر مذكورة في محلها، أي الناس **(صفات قدرتك)** أي نعوتها فلا تشبه صفات أقدار المخلوقين **(ولا ضدّ)** أي منازع ومعارض **(شهدك)** أي كان حاضراً معك **(حين فطرت المأروشات)** أي حين أوجدت الأرضين، والمأروش اسم للأرض التي مرش المطر وجهها **(ولا ندّ)** بكسر النون أي مثل ونظير **(حجزك)** أي منعك **(حين برأت)** أي خلقت **(الحَوْباوات)** أي النفوس، وهو بفتح الحاء المهملة وسكون الواو جمع حوباء بالمدّ وهي النفس.

(اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من جَحْمَة) أي عين، والجحمة بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة العين **(لا تدمع)** أي لا تبكي من خشية الله، استعاذ من ذلك لأنه دليل على قساوة القلب الدالة على الشقاء **(ومن جنان)** أي قلب **(لا يخشع)** عند ذكر الله وسماع كلماته. وفي الحديث: «**اللهمَّ اجعلني أخشاك كأنني أراك**»[1]. **(ومن علم لا ينفع)** أي لا يُعمل به ولا يُهذّب الأخلاق الباطنة فيسري إلى الأفعال الظاهرة **(ومن نفس لا تشبع)** من جميع المال أشراً وبطراً أو من كثرة الأكل الجالبة للنوم الكثير والكسل عن العبادة **(ومن دعاء لا يسمع)** أي لا يستجاب له ولا يعتدّ به للغفلة عن الله تعالى **(ومن عواز الماعون)** أي الاحتياج إلى الماء، ويطلق الماعون على غير الماء أيضاً من بقية المنافع.

---

(1) رواه الطبراني في الأوسط، مَن اسمه محمد، حديث رقم (5982) [6/ 121].

(اللهمَّ فهِّمنا أسرارك) أي بعض أسرارك التي أودعتها في كتابك المنزل على سيد أحبابك وجمعت فيه ما تفرق في كتب أنبيائك وجعلته بحراً لا ساحل له لأنك أنت المتكلِّم بما فيه **(وألبسنا ملابس أنوارك)** لأكون مصاناً من الأعداء والأسواء فأحتجب بذلك عن وصول أيدي الأعداء إليَّ من الإنس والجن فأكون محمياً من سائر الطوارق والعوارض إلا طارقاً يطرق بخير، والمعنى اجعلني مهاباً في أعين الناظرين **(واغمسنا)** أي اغمرنا وغيِّبنا **(في راموز)** أي خالص **(اللطائف)** جمع لطيفة وهي ما دق من الإشارات وخفي معناه فلا تلوح للفهيم ولا تسعها العبارة كعلوم الأذواق، يعني بذلك أنه طلب أن يكون مغموراً ومغيباً في العلوم الربانية التي لا يستنتجها الفكر بواسطة التأمل والتدبر بل يكون بالفتح الإلٰهي فقط فعند ذلك يفهم الإنسان كل لطيفة أي دقيقة من المسائل بمجرد الفتح الإلٰهي والفيض الرحماني من عالم الأسرار والحضرة الغيبية.

(وأفض) أي أفرغ **(علينا من عوارف)** جمع عرف **(المعارف)** جمع معرفة لنكون عارفين بالله حق المعرفة فإن من ازدادت بالله معرفته ازدادت من الله خشيته ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: الآية 28] فالمعرفة لا تحصل إلا بفيض إلٰهي، ولذلك لما سئل الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه: بم عرفت ربك؟ قال: عرفت ربّي بربّي ولولا ربي ما عرفت ربي. وسئل علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: بم عرفت ربك؟ قال: بما عرّفني به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كل شيء ولا يقال تحته شيء، وأمام كل شيء ولا يقال أمامه شيء، وهو في كل شيء ولا يقال كشيء في شيء، فسبحان مَن هو هكذا ولا هكذا غيره اهـ. وفي المعرفة كلام طويل لا يسعه هذا الموضع.

(يا نور الأنوار) أي أصلها ومبدؤها ومنه ظهرت أي يا من له كل الظهور الذي به ظهرت المظاهر وله الوجود الحقيقي الذي به استنارت الكائنات. وقال بعضهم: من الأدعية النبوية: يا نور النور، يا من احتجبت دون خلقك فلا يدرك نورك نور، يا نور النور قد استبان بنورك أهل السماوات واستضاء بنورك أهل الأرض اهـ.

(يا لطيف يا ستار) أي يا دائم الخير والستر على العباد **(نسألك)** أي نطلب منك متوسلين بهذه الأسماء **(أن تصلي)** أي تثني عند ملائكتك وتكرم وتعظِّم أو تعزّ وتزيد الخير أو تجعل اللطف والرحمة المقرونة بالتعظيم المنبعثة عن العطف والحنان **(على سيِّدنا)** معاشر بني آدم على الإطلاق، والسيد هو من تفزع إليه الخلائق عند الشدائد وتلجأ إليه عند المهمات. وله معان كثيرة، والإضافة لتعريف العهد الخارجي أي السيد المعين عند أهل الملة، أي سيد خير الأمم وهم الأنبياء، أو سيد البشر أو المخلوقات. وعلى كل تقدير يفيد سيادته على جميع المخلوقين **(محمَّد)** الذي هو روح الأرواح ومادة الكائنات وأصل الوجود والله تعالى خلق آدم على صورة اسم محمد وكوَّن الكون على هيئة رسمه، فرأس آدم بتدويره على صورة الميم الأولى، وإرسال يديه مع جنبيه على صورة الحاء، وبطنه على صورة الميم الثانية، ورجلاه في انفتاحهما على صورة الدال، فكمل خلق آدم على صورة اسم محمد. ثم إنه تعالى طوى العالم العلوي والسفلي في هيئة رسم محمد، فابن آدم هو العالم الصغير قد انطوى فيه العالم الكبير، فما في الأرض من الجبال فهو بمنزلة العظام، وما فيها من بحار جارية وغير جارية عذبة وغير عذبة فهي بمنزلة ما في جسده من دم جارٍ في تيار العروق وساكن في جداول الأعضاء، وأذواقها مختلفة فمنها ما هو عذب وهو ماء الريق فتطيب بعجنها المطاعم والمشارب، ومنها ما هو مالح وهو ماء العين لتحفظ شحمة العين، ومنها ما هو مر لصيانة الأذن من حيوان أو دبيب يصل إليها فيقتله ذلك الماء وما في الأرض من نبات فهو بمنزلة الشعر، وما فيها من سبخ لا ينبت شيئاً فهو بمنزلة ما لا ينبت من بدنه. ثم ما في الأرض من سهل ووعر فكذلك في ابن آدم الخلق الحسن والخلق السيئ، وما في الكون من شمس فهو بمنزلة الروح يستضيء بها الجسد فلو غابت بالموت لأظلم الجسد وجعل القمر بمنزلة العقل تارة يزيد وتارة ينقص، فالهلال بمنزلة عقل الطفل ثم يزيد إلى إتمامه ثم ينقص.

ثم جعل في السماء كواكب خمسة فهي بمنزلة الحواس الخمس، وهي: الذوق والشم واللمس والسمع والبصر. وجعل في ابن آدم الرضى والغضب

بمنزلة الجنة والنار، وجعل السرور والحزن بمنزلة الليل والنهار، وجعل نور البصر بمنزلة النور، وجعل صيفاً وشتاء وخريفاً وربيعاً بمنزلة طبائع ابن آدم، ثم جعل في ابن آدم ما يدل على الموت والبعث ونعيم القبر وعذابه فهو بمنزلة النوم وما يراه النائم من منام حسن فيتنعم أو منام سيِّئ فيتعذب، وجعل الاستيقاظ من النوم بمنزلة البعث بعد الموت إلى غير ذلك مما انطوى في العالم الأصغر.

ثم إن الله تعالى أرسل لعالم الجسد رسولاً وهو العقل، فكذلك أرسل في العالم العلوي والسفلي رسولاً إلى الخلق كافة من حيوان وجماد وجعله رحمة للعالمين استنقذ الله الخلق على يديه من مداحض الزلل وظلمات الجهل وأرشد به العالمين وهداهم على يديه إلى طريق الحقّ وإلى صراط مستقيم، فهو واسطة السعادة الأبدية وله الفضل الواسع على جميع المخلوقات، واليد البيضاء فبه ينال العبد خير الدنيا والآخرة لا يصح الإيمان بالله حتى يقرن اسمه مع اسم الله، ولا تصح للعبد صلاة حتى يذكر فيها اسم محمد رسول الله، هو كيمياء السعادة، وركن الشهادة، وهو الباب الأعظم، والدستور المكرم، وهو الطريق الواضح، والمنهاج البين، وهو الباب الكبير، وهو الواسطة الخطير، جعل الله له الحل والربط وفوّض إليه القبض والبسط، فمن خدمه ﷺ على الصدق والمحبة والصفاء دانت له رقاب الجبابرة وأكرمه جميع العالمين كما ترى ذلك، فمن خدم المقرب عند السلطان ومن خدم السيد خدمه العبيد، وأولى ما يتقرب به العبد إلى أبوابه ويدنيه من أعتابه التمسك وكثرة الصلاة والتسليم عليه. فعليك بالإكثار منهما ولو كنت سالماً من الخطايا والذنوب.

وقوله: **(نبراس)** بكسر النون أي سراج **(الأنبياء)** صفة لمحمد سمِّي بذلك لوضوح أمره وبيان نبوّته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به، فهو يشبه السراج من حيث إنه يستضاء به في ظلمات الجهل **(ونير)** أي كوكب ونور **(الأولياء)** والكل مقتبسون من نوره وفي غيبته الصورية لم ينقطع الاستمداد منه بل هو موجود في الفروع المقتبسة به سابقة ولاحقة **(وزبرقان)** بكسر الزاي والباء الموحدة أي قمر **(الأصفياء)** جمع صفي وهو المختار فهو ﷺ يشبه القمر

من حيث إنه ينور حوالك الجهل **(ويوح)** أي شمس **(الثقلين)** أي الأنس والجن. واليوح بالياء المثناة التحتية وبالحاء المهملة الشمس، فهو يشبه الشمس من حيث عموم إضاءتها لسائر الأقطار والجهات علويها وسفليها كعموم رسالته ﷺ **(وضياء)** أي نور **(الخافقين)** أي أفق المشرق وأفق المغرب، سمي بذلك لأنه هو الدليل والهادي.

قال صاحب الهمزية:

أنتَ مصباحُ كلّ فضلٍ فمَا يصـ ـدرُ إلّا عـنْ ضـوئِـكَ الأضـواء

فهو ﷺ أبو الأضواء والسرج المشرقة، وهم الأنبياء وورثتهم وهم العلماء.

(وإن ترفع) ببركة الصلاة عليه **(وجودنا إلى ذلك العرفان)** أي المعرفة، وهي عند القوم صفة من عرف الله بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله في معاملاته، ثم نبئ عن أخلاقه الرديئة، ثم دام بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه، وصار من أخلاقه بريئاً ومن نفسه أجنبياً، وصار محدّثاً من قبل الحق تعالى سمي عند ذلك عارفاً. قال الجنيد: لا يكون العارف عارفاً حتى يصير كالأرض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب. قال القشيري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذّاريَات: الآية 20] من الآيات في الأرض أنها تحمل كل شيء فكذلك العارف يحمل كل أحد، ومن استثقل من أحد أو تبرم من أحد فلغيبته عن الحقيقة ومطالعة الخلق بعين التفرقة اهـ كذا في تفسير الخطيب.

(وتثبت شهودنا) الشهود معناه الحضور وعند القوم دوام المراقبة والحضور مع الله تعالى لا يغفل عن الله طرفة عين، ومن وصل إلى هذا المقام وجد اللذّة حتى في الآلام والأسقام. والشهود والمشهد بمعنى المشاهدة التي تحصل لأهل الله تعالى بسبب تجلّيه على قلوبهم فيشهدون ذاته أو صفاته أو أفعاله على حسب استعداد التجلي عليهم، وهذا الشهود إنما هو في القلب فقط دون البصر، فرؤية الباري تعالى بالبصر ممتنعة وبالروح والقلب جائزة ولذلك قال عمر رضي الله عنه: رأى قلبي ربي. وقال علي: «لا أعبد ربّاً لم أره» أي بروحي اهـ.

وما يحصل للعين الجسماني من الرؤية في الجنة بعد الصفاء يحصل لبعض أهل الصفاء في الدنيا في اليقظة بالروح إذ الدنيا والآخرة للروح الصافية سيان والله الواهب اهـ. قال في «المطالب الوفية»: والمشهور عند علماء الظاهر والباطن كالقشيري والغزالي وغيرهما أن الشهود والرؤية إنما هما في القلب بدون المقابلة في هذه الدار الفانية لأن البصر فاني والحق تعالى باقي، ولا يرى الباقي بالفاني، فإذا كان يوم القيامة ركبوا تركيباً باقياً فكانت أبصارهم باقية، فصحّ أن يرى الباقي بالباقي، ونحو هذا منقول عن الإمام مالك وهو مستحسن منه اهـ. كذا نقلناه في مجموعتنا الكبرى، والمراد طلب إثبات الشهود أي الحضور.

(في مقام الإحسان) أي المقام الناشىء عن الإحسان كي يدنو بعيدنا ويسعد طريدنا، فنشهد أنك أنت وحدك المحسن، وحقيقة الإحسان سجية في النفس تحمل على مجازاة المسمى بجوائز الإحسان. وقيل: هو معرفة الربوبية والعبودية. وقيل: هو إتقان العبادة بإيقاعها على وجهها مع رعاية حق الحق ومراقبته واستحضار عظمته ابتداء ودواماً. روى مسلم وغيره عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1] أي تتأدّب في عبادته كأنك تنظر إليه بأن تجمع بين المراقبة في كل حال والإخلاص في سائر الأعمال، فإن لم تبلغ إلى هذه المرتبة فتحقق في نفسك إنك بمرأى منه تبارك وتعالى لا يخفى عليه خافية، فهو قائم على كل نفس بما كسبت، مشاهداً لكل أحد من خلقه في كل حركة وسكون اهـ ذكره المناوي.

(التحصين السادس): أشار إليه بقوله: **(يا الله يا نور، يا واسع يا غفور)** أي يا ظاهراً بنفسه ومظهراً لغيره **(يا من السماء بأمره)** أي قدرته **(مبنية)** أي مسوّاة معدلة ليس فيها تفاوت ولا فطور ومتممة بما علم الله أنها تتم به، ذكره

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب سؤال جبريل النبي ﷺ، حديث رقم (50) [1/ 27]، ورواه مسلم في صحيحه، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم (8) [1/ 36] ورواه غيرهما.

الخطيب **(والغبراء)** أي الأرض **(بقدرته مدحية)** أي مبسوطة ومسهلة للسكنى وبقية المنافع لكن خلق الأرض مقدم على خلق السماء ولكنها كانت كورة[1] غير مدحوة، ثم خلق السماء ثم دحى الأرض أي بسطها ومدّها وأخرج منها ماءها بتفجير عيونها ومرعاها أي النبات الذي يرعى ويؤكل **(والشواهق)** جمع شاهق وهو الجبل العالي **(بحكمته)** أي إتقان صنعه جلّ وعلا فإنه تعالى أحسن كل شيء خلقه وأتقن كل شيء صنعه، قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النَّمل: الآية 88]، وقال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البَقَرَة: الآية 138]. والمعنى الجبال بإتقان صنعه تعالى **(مرسية)** أي مثبتة على وجه الأرض ساكنة لا تضطرب **(وأنوار القمرين)** تثنية شمس وقمر على غير بابها **(بفضله مضيئة)** على العالمين ولو شاء لجعل الليل سرمداً والنهار سرمداً.

(نسألك باسمك) العظيم الأعظم **(الذي ترقرقت)** أي تلألأت ولمعت واستنارت **(به الخنس)** أي النجوم الخمس، وهي: زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد، سميت بذلك لأنها تخنس بضم النون أي ترجع في مجراها وراءها بينهما ترى النجم في آخر البرج إذ كثر راجعاً إلى أوله، ذكره الخطيب **(والأزهران)** أي الشمس والقمر، تثنية أزهر، سميا بذلك لزهارة نورهما أي حسنه ووضوحه أي وأسألك باسمك الذي لمع وأضاء منه الشمس والقمر **(وتبلجت)** أي أشرقت وابيضت وأضاءت **(منه العنان)** بفتح المهملة أي صفائح السماء. قال الجوهري: الأبلج المشرق في بياضه والعنان بالفتح صفائح السماء وما اعترض من أقطارها **(حرزاً)** أي حجاباً هو مفعول نسألك.

وقوله: **(مانعاً)** أي لكل سوء صفة له **(ونوراً ساطعاً)** أي ممتداً مشرقاً على وجهي **(خاشعاً)** أي مهيباً لتقع مهابتي ومحبتي في قلب من يراني ﴿يَكَادُ﴾ [النور: الآية 43]) أي يقرب (﴿سَنَا﴾ [النُّور: الآية 43]) أي ضوء (﴿بَرْقِهِۦ﴾

(1) بقعة تجتمع فيها المساكن والقرى والجمع كُوَر (المعجم الوسيط).

[النُّور: الآية 43]) أي لمعانه (﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النُّور: الآية 43]) أي يخطفها (﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ [النُّور: الآية 44]) أي يخلف بعضه بعضاً فهو قادر على أن يقلب قلوب أعدائي إلى المحبة (﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [النور: الآية 44]) التقليب (﴿لَعِبْرَةً﴾ [النور: الآية 44]) أي موعظة (﴿لِّأُوْلِي﴾ [النور: الآية 44]) أي أصحاب (﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: الآية 44]) التي ليس عليها غشاوة الغفلة.

(التحصين السابع): أشار إليه بقوله رحمه الله تعالى: **(طس طسم)** إما اسمان من أسمائه تعالى أو إشارة إلى صفة من صفاته تعالى، فكأنه يقول: تحصنت بك يا رب من كل سوء وبلاء واستعنت على قضاء حوائجي بحق الأسرار التي أودعتها في قولك: طس وطسم أجرني يا رب مما أخاف واعطني سؤلي.

(ونعوذ) أي نعتصم **(بالله العظيم)** الذي هو أعظم من كل شيء **(من المعازف)** أي الملاهي والشواغل التي تلهي وتشغل عن الله **(والعِضَة)** بالمهملة والمعجمة المفتوحتين أي الكذب والبهتان والسحر **(و)** نعوذ بالله العظيم من ارتكاب **(المحظور)** أي الحرام، مأخوذ من الحظر بفتح فسكون وهو المنع، سمي بذلك لمنع الله عباده من اقتحامه **(والمماحلة)** أي المكر والخديعة **(والغمار)** بكسر المعجمة هو في الأصل جماعة الناس، والمراد به هنا غلبة الرجال أي تغلبهم في الباطل **(ومن كيد الفجار)** أي مكرهم وخداعهم وتحيُّلهم، جمع فاجر وهو المنبعث في المعاصي والزنا، والمراد هنا مطلق من انبعث في شر **(وحوادث العصرين)** أي ما يحدث في الليل والنهار من الفتن والبلايا، تثنية عصر ويقال للزمن أيضاً والوقت **(ومن شرّ الأجرين)** أي الجزاءين على سوء العمل، أي أعوذ بك أن تجمع عليَّ عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

(يا حفيظ احفظنا) من المآثم والمهالك **(يا وليّ)** أي متولي أمور العباد **(يا عليّ يا عالي)** معناهما البالغ في علو الرتبة والمكانة لا الجهة والمكان **(يا من لا إله إلا هو)** لأنه لا مماثل له **(لا يعلم أحد كيف هو إلا هو)** أي لا يحيط

به أحد علماً **(يا الله يا حي يا قيوم، يا حق، يا وكيل، يا واحد، يا أحد، يا فرد، يا صمد، يا وهاب، يا فتّاح، يا محيي، يا مميت، يا قهار)** تقدّم الكلام عليها، وسيأتي أيضاً.

(التحصين الثامن): أشار إليه بقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ [يس: الآية 58]) أي سلامه ﴿قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: الآية 58]) مقتبس من سورة يٰس، ومعناه هنا التفاؤل بحصول السلامة من كل مكروه ومن كل عيب ونقيصة ومحنة.

(التحصين التاسع): ما أشار إليه بقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: الآية 137]) كأنه يقال: لا تتألمي يا نفس لأنَّ الكفيل بكفايتك من الأعداء والأسواء هو الله لا غير، والسين لإفادة التحقيق في كفايته تعالى وإن تأخرت، والمعنى هنا فسيكفيك الله أيها الواجل الخائف شر الأعداء براً وبحراً ليلاً ونهاراً أو إن تأخرت كفايته لك أو فسيحفظك الله وإن تأخر حفظه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [البَقَرَة: الآية 137]) لمقالاتهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [البَقَرَة: الآية 137]) بما يصنعونه ويدبرونه من الحيل في أذيتك فيجازيهم عليه، وهو مقتبس من سورة البقرة.

(التحصين العاشر): أسماء الله الحسنى، وهي من أحصن الأشياء وأمنعها وأقربها إلى دخول تاليها الجنة بشهادة قوله ﷺ: «**إن لله عزَّ وجل تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**»[1] يعني من أتى عليها حصراً وتعداداً وعلماً وإيماناً، وتدبر معانيها، واطلع على حقائقها، فدعا الله بها، وذكره وأثنى عليه بها، استحق بذلك دخول الجنة والحفظ من كل مكروه في الدنيا والآخرة، وفيها اسم الله الأعظم.

(هو الله) علم على الذات الواجب الوجود جامع لجميع الأسماء الآتية،

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب مقلب القلوب...، حديث رقم (6957) [6/ 2691] ورواه مسلم في صحيحه، باب في أسماء الله تعالى...، حديث رقم (2677) [4/ 2062] ورواه غيرهما.

وهو الاسم الأعظم في قول الأكثرين **(الذي لا إلٰه إلا هو)** نعت لله **(الرحمٰن الرحيم)** أي مريد الرحمة والإنعام، وحفظ العارف من هذين الاسمين الجليلين أن يتوجه بشراشره إلى جناب قدسه، فيتوكل عليه ويلتجىء فيما يعنّ له إليه **(الملك)** أي المقتدر على الإيجاد والاختراع، المستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج إليه كل موجود **(القدُّوس)** الذي تقدّست عن الحاجات ذاته، وتنزَّهت عن الآفات صفاته.

(السلام) الذي سلمت ذاته عن الحدوث والعيب وصفاته عن النقص وأفعاله عن الشرّ المحض، المسلم عباده من المعاطب **(المؤمن)** الذي آمن غيره من المخاوف **(المهيمن)** أي الرقيب المبالغ في الكلاءة والحفظ **(العزيز)** الذي لا يدركه طالبه ولا يعجزه هاربه **(الجبَّار)** أي المُصلح لخلل العباد بردهم إلى التوبة **(المتكبِّر)** أي المتعالي عن صفات الخلق **(الخالق)** أي الذي أظهر الموجودات بعد أن لم تكن موجودة **(البارىء)** الذي خلق الخلق لا عن مثال سابق **(المصوِّر)** الذي سوّى قامتك وعدّلك **(الغفَّار)** الذي أظهر الجميل وستر القبيح **(القهَّار)** الذي يقصم ظهور الجبابرة بالإماتة والإذلال والإهلاك.

(الوهّاب) كثير النعم دائم العطاء **(الرزاق)** الذي خلق الأرزاق والمرتزقة وأوصلها إليهم، وخلق لهم أسباب التمتُّع بها **(الفتَّاح)** الذي يفتح خزائن الرحمة على أصناف البرية **(العليم)** الذي لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه قاصية ولا دانية **(القابض الباسط)** أي مضيق الرزق على مَن أراد وموسعه على مَن أراد **(الخافض الرافع)** أي الواضع لمن عصاه الرافع لمن تولاه **(المعزّ المذلّ)** الذي أعزّ أولياءه بعصمته ثم غفر لهم برحمته، وأذل أعداءه بحرمان معرفته وركوب مخالفته ثم نقلهم إلى دار عقوبته.

(السميع) الذي يسمع المناجاة ويقبل الطاعات ويقيل العثرات **(البصير)** الذي يبصر ما تحت الثرى ويرى عبده في كل أحواله **(الحَكَم)** أي الحاكم الذي لا مردّ لقضائه ولا معقب لحكمه **(العَدْل)** الذي يفعل ما يريد وحكمه ماضٍ في العبيد **(اللطيف)** الذي كلّف دون الطاقة وأعطى فوق الكفاية **(الخبير)**

أي العليم ببواطن الأشياء **(الحليم)** الصفَّاح عن الذنوب الستَّار للعيوب الذي لا يعجز بالانتقام **(العظيم)** أي الذي ليس لعظمته بداية ولا لكنه جلاله نهاية.

(الغفور) أي كثير المغفرة الذي يصون العبد عمّا استحقه من العذاب **(الشكور)** أي الذي إذا أعطى أجزل، وإذا أطيع بالقليل قبل **(العلي)** الذي علت ذاته عن أن تُدرك وصفاته عن أن تتصور **(الكبير)** الذي لا يشاهد بالحواس ولا يُدرك بالعقول **(الحفيظ)** الذي حفظ أولياءه عن اقتحام الزلات **(المقيت)** هو من شاهد النجوى فأجاب، وعلم البلوى فكشف واستجاب، وتكفّل بأرزاق العباد.

(الحسيب) أي المختص بشرف الألوهية **(الجليل)** أي الذي جلّ من قصده وذلّ من جحده **(الكريم)** الذي لا يضيع من توسل إليه ولا يترك من التجأ إليه **(الرقيب)** أي الذي لا يعزب عن علمه شيء وهو حاضر لا يغيب **(المجيب)** معناه الذي يجيب المضطرين ولا يخيب لديه آمال الطالبين **(الواسع)** أي الذي فضله شامل ونواله كامل **(الحكيم)** أي المصيب في التقدير المحسن في التدبير **(الودود)** أي المحب للطائعين من عباده **(المجيد)** أي الشريف ذاته الجميل أفعاله.

(الباعث) معناه باعث الرسل وباعث الموتى من القبور **(الشهيد)** أي الحاضر لا يغيب **(الحق)** أي الحقيق بأن يعبده العابدون **(الوكيل)** العالم بأمور العباد، من توكل عليه كفاه، ومن استغنى به أغناه عمّا سواه **(القوي)** الذي لا يعجز في حال من الأحوال **(المتين)** كامل القدرة شديد القوة **(الولي)** المتكفل بأمور الخلائق **(الحميد)** المستحق للحمد والثناء **(المحصي)** العالم الذي يحصي المعلومات **(المبدىء)** أي الفاطر الخلق ابتداء **(المعيد)** الخلق ثانياً فهما إشارة إلى النشأتين الأولى والأخرى.

(المحيي) الذي أحياك بذكره وأسعدك ببره وبصرك بشكره **(المميت)** الذي أمات قلبك بالغفلة ونفسك باستيلاء المذلة وعقلك بالشهوة **(الحيّ القيوم)** الدائم الحياة والقيام بالنفس **(الواجد)** معناه الغني **(الماجد)** بمعنى

المجيد **(الواحد)** بالحاء المهملة، أي الذي لا ينقسم ولا مشابهة بينه وبين غيره **(الأحد)** بمعنى الواحد **(الفرد)** المنفرد في الذات والصفات **(الصمد)** السيد الحكيم.

(القادر المقتدر) معناهما ذو القدرة **(المقدم المؤخر)** الذي قدّم الأبرار لقبول المبار، وأخّر الفجار لشغلهم بالأغيار **(الأول الآخر)** القديم بلا ابتداء والباقي بلا انتهاء **(الظاهر)** بصفاته ومصنوعاته **(الباطن)** بحقيقة ذاته **(الوالي)** المالك للأشياء **(المتعالي)** المرتفع عن النقص **(البر)** الذي يمن بحسن عطائه **(التوَّاب)** الذي يقابل الاعتذار بالاغتفار **(المنتقم)** المعاقب للعصاة على مكروهات الأفعال.

(العفو) الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي **(الرؤوف)** الذي ستر ما رأى وعفا عمّا ستر **(مالك المُلك)** الذي يجري حكمه على ما يشاء **(ذو الجلال والإكرام)** هو الذي لا شرف ولا جلال ولا كمال إلا له **(المقسط)** العادل في الحكم **(الجامع)** الذي يجمع أجزاء الخلق عند الحشر والنشر بعد تفرُّقها **(الغني)** الذي وجب وجوده وافتقر إليه سائر الكائنات **(المغني)** الذي يغني من شاء غناءه عمّا عداه **(المانع)** الدافع لأسباب الهلاك أو مانع من يستحق المنع **(الضارّ النافع)** خالق الضرّ والنفع **(النور)** مظهر كل موجود بإخراجه من العدم إلى الوجود **(الهادي)** الذي يهدي القلوب إلى معرفته والنفوس إلى طاعته **(البديع)** الذي لا مثل له في ذاته ولا نظير له في صفاته **(الباقي)** الدائم الموجود الذي لا يقبل الفناء **(الوارث)** الباقي بعد فناء العباد فترجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك **(الرشيد)** الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم ودلهم عليها **(الصبور)** معناه الذي لا تحزنه كثرة المعاصي حتى تؤديه إلى كثرة العقوبة.

والله سبحانه وتعالى أعلم بمعاني أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وقد اختصرنا في شرحها غاية الاختصار، ولو ذكرنا معانيها مبسوطة، وخواص كل اسم منها، وحظ العبد منه، لاتسع الكلام وطال وحصل الملل، وفي هذا القدر كفاية.

(الذي ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير) تعالى وتقدّس عن الشبيه والمثيل والنظير والعديل (﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 173]) أي كافينا وكافلنا الله في دفع الشدائد عنا، ونعم الموكول إليه عند النائبات، فمن لم يشخص أمله لسوى ربه، ولم يرض بإسعاق أحد غيره، بل قصر نظره عليه تعالى وأعرض عن الأسباب والعدد ضارباً عنها صفحاً واعتنى بمسببها كافياً وحسيباً، فإنه تعالى يعتني بكفايته جميع مهماته ولا يكله إلى غيره، ولهذا قالها الخليل صلوات الله وسلامه عليه حين ألقاه النمرود في النار فكانت عليه برداً وسلاماً.

(نِعم) كلمة تستعمل في المدح **(المولى)** هو **(ونِعم النصير)** هو إذ لا مولى ولا ناصر في الحقيقة سواه **(غفرانك)** أي نطلب غفرانك يا **(ربنا وإليك المصير)** أي المرجع **(يا دائماً بلا فناء، ويا باقياً بلا زوال، ويا مدبراً بلا وزير)** لعدم احتياجه إليه **(سهل علينا وعلى أبوينا)** وإخواننا **(كل)** أمر **(عسير)** من أمور الدنيا والآخرة.

(اللهمَّ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا راد لما قضيت، ولا مبدّل لما حكمت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضلّ لما هديت، ولا ميسر لما عسرت) لأنه لا يحول بينك وبين إرادتك حائل ولا يمنعك مانع **(ولا ينفع ذا الجد منك الجدّ)** أي لا ينفع صاحب العمل علمه إذا لم تقبل منه **(سبحان ربي العظيم الحسيب الحكم العدل الرقيب الباذخ)** أي العظيم الكبير **(الشامخ)** أي الرفيع القدر **(المجيب الغني، الرشيد، الصبور، الجليل، المقسط، المعطي، المانع، لا إلٰه إلا الله الوكيل الشهيد، لا إلٰه إلا الله المتين المجيد، لا إلٰه إلا الله الواجد الوالي، لا إلٰه إلا الله الماجد المتعالي)** تقدم شرح جميع ذلك فلا عود ولا إعادة، وقصده بذلك الثناء على الله بما هو أهله.

(التحصين الحادي عشر): أشار إليه بقوله: **(أعددنا لكل هول)** أي أمر هائل مخوف **(لا إلٰه إلا الله)** لأنه يطفىء الغضب **(ولكل رغس)** براء وغين معجمة وسين مهملة محركة أي نعمة **(الحمد لله)** لأنه قيد لها **(ولكل**

أعجوبة، سبحان الله) دفعاً للعين **(ولكل لزن)** بالتحريك أي ضيق وشدّة **(حسبي الله ولكل شجو)** أي حاجة **(ما شاء الله، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله، ولكل مصيبة إنا لله)** أي وإنا إليه راجعون **(ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله، ولكل شجب)** بالتحريك أي حاجة **(استعنت بالله)** أي على قضائها.

ثم التفت إلى إيداع الله تعالى شهادة الحق فإنه لا تخيب عنده الودائع، وإذا استُودِع شيئاً حفظه فقال: **(اللهمَّ إنَّا أصبحنا)** أو أمسينا **(نشهدك ونشهد ملائكتك وأنبيائك ورسلك وجميع خلقك بأنَّا نشهد أنك أنت الله وحدك لا شريك لك وأنَّ محمداً عبدك ورسولك)** جاءنا بالحق فآمنا به وصدقناه.

(التحصين الثاني عشر): أشار إليه بقوله: **(ولا حول ولا قوة إلا بالله)** أخرج العقيلي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**استكثروا من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها تدفع تسعة وتسعين باباً من الضر أدناها الهمّ**»[1].

قال المناوي: وذلك لخاصية علمها الشارع فيها، والظاهر أن المراد بهذا العدد التكثير لا التحديد قياساً على نظائره. والضرّ بالضم الهزال وسوء الحال والفاقة والفقر، وبالفتح مصدر ضرّه يضرّه إذا فعل به مكروهاً. ولما علم الشيخ خاصيتها أوردها في ورده للتحصين بها وزاد عليها قوله: **(العلي العظيم)** كما هو في بعض الروايات أيضاً **(يا رحمٰن الدنيا ورحيم الآخرة)** ارحمني في الدنيا والآخرة **(فاعف عنا واغفر لنا وارحمنا)** إذا انقطع رجاؤنا من غيرك **(وأنت أرحم الراحمين)** لشمول رحمتك في الدنيا والآخرة.

(التحصين الثالث عشر): قوله: **(بسم الله الشافي هو الله)** أي لا غيره لأنه خالق الداء والدواء **(بسم الله الكافي هو الله)** ففيه الكفاية عن كل ما سواه

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (354) [1/ 139] وقال: رواه العقيلي عن جابر ـ رضي الله عنه ـ.

(بسم الله المعافي هو الله) خالق العافية **(بسم الله الذي لا يضرّ مع)** ذكراً وملاحظة **(اسمه شيء)** من الأشياء مطلقاً لا من عدو ولا من طعام. وفي كتاب «المظهر»: لو ذكر هذا الدعاء في وجه عدو لا يظهر عليه عدوه، وكذا جميع الأشياء اهـ. وهو مما يقي من كل بلاء كما في «المواهب»، **(في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم)** لأن الضار والنافع في الحقيقة هو الله، فكلّ من التجأ إلى اسم من أسمائه نجا، فمن خاف أذية أحد من خلقه وقال: أنا في حماك وكنفك يا الله، حرسه الله، وكذا إذا خاف تعرُّض أحد من أولياء الله، فكلّ من قصده بسوء قصمه الله وسُلب إن كان من أهل الله، ومثل ذلك ما لو قال: أنا في حماك يا رسول الله، لأنه باب الله الأعظم. هذا إذا صدق في الاستناد والانقطاع إلى الله.

ونقل الدميري عن فخر الدين التوريزي قال: كنت أقرأ على شيخ لي بمكة إذا بعقرب تمشي فأخذها الشيخ وجعل يقلبها في يده، فسألته عن سبب ذلك، فقال: ثبت عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**من قال حين يصبح وحين يمسي بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم يضرّه شيء، وقد قلتها أول النهار**»[1] اهـ كذا نقلناه في مجموعتنا الخضراء عن العزيزي في «شرح الجامع الصغير».

وفي حفظي إني رأيت في بعض الكتب حكاية عن بعض المشايخ أنه كان كبير السن وله جارية شابة فكانت تسقيه السم كل يوم ولا يؤثر فيه، فلما أعياها أمره أخبرته بذلك فقال: ما حملك على ذلك، قالت: لعلي أستريح منك، فضحك وقال لها: إني أقول كل صباح ومساء: بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، فلا يضرّني السم. فتابت الجارية وحسنت توبتها اهـ.

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير...، حديث رقم (1895) [1/ 695] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر ما يجب على المرء من الإحراز بذكر الله جلّ وعلا...، حديث رقم (852) [3/ 132] ورواه غيرهما.

(التحصين الرابع عشر) أشار إليه بقوله: **(فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين)** فيحفظني من جميع الآفات وطوارق الليل والنهار ما دمت متوكلاً عليه **(يا محيي أحيني حياة طيبة بالصحة والعافية)** في ديني وجسمي وأولادي وأموالي **(في الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير)** لا يعجزك شيء ولا يمنعك شيء.

(التحصين الخامس عشر) أشار إليه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم﴾ [البُرُوج: الآية 20]) أي الأعداء (﴿مُحِيطُۢ﴾ [البروج: الآية 20]) علماً وقدرة. وتخصيص الوراء لأن خوف الإنسان في الأغلب إنما يكون من جهة الوراء (﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البُرُوج: الآية 21]) ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البُرُوج: الآية 22]) فيه إشارة إلى أن القادر على حفظ القرآن من التغيير والتبديل قادر على حفظ عبده من وصول أيدي الأعداء إليه (﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البَقَرَة: الآية 238]) وهي العصر على المشهور كما في قصة الأحزاب من قوله ﷺ: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر**»[1]، (﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 238]) في الصلاة (﴿قَـٰنِتِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية 238]) أي ذاكرين له، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة، وفيه تفاؤل بالحفظ.

(﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطّارق: الآية 4]) أي كل نفس من النفوس مطلقاً لا سيما نفوس الناس عليها حافظ، أي مهيمن ورقيب من الملائكة يحصي أعمالها ويحفظها من طوارق الليل والنهار. روى الزمخشري عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**وكّل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبُّون عنه كما يذبّ عن قصعة العسل الذباب، ولو وكّل العبد إلى نفسه طرفة عين اختطفته الشياطين**»[2] **(نعم الحافظ الله، يا حفيظ احفظنا)** أي من كل ما يؤذينا في الليل والنهار.

(التحصين السادس عشر) هو هذه الآية القرآنية المقتبسة من سورة آل

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، حديث رقم (627 ـ 628) [1/ 437] ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب قضاء الصلوات، حديث رقم (3006 ـ 3007) [2/ 220] ورواه غيرهما.

(2) رواه الطبراني في الكبير برقم (7704) [8/ 167].

عمران تفاؤلاً بزوال الهمّ والغمّ، وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) الحاصل لكم من الأعداء (﴿أَمَنَةً﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) أي أمناً وفراغ بال (﴿نُّعَاسًا﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) حتى نمتم آمنين مطمئنين (﴿يَغْشَىٰ﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) النعاس (﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) فينامون (﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) أوقعتهم في الهموم.

(﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) أي الغلبة والنصر (﴿كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) ولأوليائه ولمن استعان به (﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) من الأحقاد والعداوة (﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) أي خرج وظهر (﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) أي مواضعهم التي يقتلون فيها (﴿وَلِيَبْتَلِىَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) أي يختبر (﴿ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) من التوكل والصبر وعدم ذلك (﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) أي يذهب ما فيها من الغم والهم والخوف والوسواس (﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 154]) أي بالضمائر.

(﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 16]) بأن توفّقنا لصالح الأعمال فننجوا بسببها (﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 17]) على البلاء والمكاره (﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 17]) في توكلهم (﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 17]) أي القائمين بخدمة الله تعالى (﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 17]) أموالهم في طاعة الله (﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 17]) أي أوقات السحر وهو آخر الليل، وفيه حصر لمقامات السالك على أحسن ترتيب.

(شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم، قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ورد في فضلها أنه ﷺ قال: «**يجاء بصاحبها ـ أي قارئها ـ يوم القيامة فيقول الله: إن لعبدي هذا عندي عهداً وأنا أحق من وفى**

بالعهد، أدخلوا عبدي الجنة» اهـ كذا في البيضاوي[1].

(﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 19]) الحق الصحيح (﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 19]) أي لا دين عند الله مرضي سوى دين الإسلام وهو التوحيد والتدرُّع بالشرع **(فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون)** إخبار بمعنى الأمر بتنزيه الله تعالى في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدّد فيها نعمته. روي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**مَن سرّه أن يكتال له بالمكيال الأوفى فليقل: سبحان الله..**»[2] الآية.

وعنه عليه الصلاة والسلام: «**مَن قال حين يصبح:** ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: الآيتان 17- 18] أدرك ما فاته من ليله ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته من يومه[3] اهـ. أي أدرك ما فاته من التقصير في العبادة انتهى.

(﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الروم: الآية 19]) كالإنسان من النطفة، والفرخ من البيضة (﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم: الآية 19]) كالنطفة من الإنسان، والبيضة من الحيوان (﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ [الرُّوم: الآية 19]) بالنبات (﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: الآية 19]) أي يبسها (﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الرُّوم: الآية 19]) أي تبعثون من قبوركم.

(التحصين السابع عشر): أشار إليه بقوله في هذه الآيات التي أوردها مشيراً بها إلى التوكل وتفويض الأمر لله: **(إني توكلت على الله ربي وربكم)**

---

(1) وكذا في تفسير البغوي أيضاً. آل عمران (20) فإن حاجوك فقل...، [1/ 287] وتفسير السمعاني، آل عمران (20)، فإن حاجوك فقل...، [1/ 303].

(2) رواه عبد الرزاق في مصنفه بلفظ: «من سرّه أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل عند فروغه من صلاته: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾...» (مصنف عبد الرزاق، حديث رقم (3196) [2/ 236]).

(3) رواه أبو داود في سننه، باب ما يقول إذا أصبح، حديث رقم (5076 ـ 5077) ورواه الطبراني في الكبير، حديث رقم (12991) [12/ 239] ورواه غيرهما.

يعني إنكم مهما بذلتم جهدكم في أذيتي لن تضروني فإني متوكل على الله، ثم برهن عليه بقوله: (﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ﴾ [هُود: الآية 56] ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هُود: الآية 56]) أي مالك لها يصرفها على ما يريد بها (﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هُود: الآية 56]) أي لا يضيع من اعتصم به ولا يفوته ظالم، وهو مقتبس من سورة هود.

(﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: الآية 12]) أي ليس لنا عذر في ترك التوكل (﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: الآية 12]) أي والحال أنه قد أرشدنا ودلنا على الطرق التي بها نعرف ونعلم أن الأمور كلها بيده ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: الآية 12] وهو يثيب المتوكلين عليه، وهو مقتبس من سورة إبراهيم.

(﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ﴾ [التّوبَة: الآية 51]) شيء من الأشياء المكروهة أو المحبوبة (﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التّوبَة: الآية 51]) أي ما خصنا به من الضرّ أو النفع (﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التّوبَة: الآية 51]) وهذا مقتبس من سورة براءة.

(﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود: الآية 6]) غذاؤها ومعاشها (﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هُود: الآية 6]) أماكنها في الحياة والممات والأصلاب والأرحام (﴿كُلٌّ﴾ [هود: الآية 6]) أي كل واحد من الدواب وأحوالها (﴿فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هُود: الآية 6]) مذكور في اللوح المحفوظ، وهو مقتبس من سورة هود.

(﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ [العَنكبوت: الآية 60]) لا تطيق حمله لضعفها أو لا تدخره وإنما تصبح ولا معيشة عندها (﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العَنكبوت: الآية 60]) فرازق الكل هو الله تعالى، وهو مقتبس من سورة العنكبوت.

(﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فَاطِر: الآية 2]) أي نعمة (﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فَاطِر: الآية 2]) فلا مانع يمنع من وصولها للعبد (﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾ [فَاطِر: الآية 2])

مما لم يرد إرساله وإيصاله للعبد (﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فَاطِر: الآية 2]) وهو مقتبس من سورة فاطر.

(﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: الآية 38]) لوضوح البرهان على تفرده تعالى بالخالقية (﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزُّمَر: الآية 38]) أي هل يقدرون على كشفه (﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ [الزُّمَر: الآية 38]) أي نفع (﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزُّمَر: الآية 38] ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: الآية 38]) كافياً في إصابة الخير ودفع الضرّ (﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزُّمَر: الآية 38]) لعلمهم أن الكل منه، وهو مقتبس من سورة الزمر.

(﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 126]) أي ما جعل إمدادكم بالنصر (﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 126]) (﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ [آل عِمرَان: الآية 126]) أي تسكن (﴿قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: الآية 126]) (﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 126]) لا من العدة ولا من العدد (﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [البَقَرَة: الآية 129]) الذي لا يُغلب (﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الأنعَام: الآية 18]) الذي ينصر ويخذل بواسطة وبغير واسطة على مقتضى الحكمة والمصلحة.

(التحصين الثامن عشر): أشار إليه بقوله: **(كهيعص حمعسق)** عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال في كتاب «سر»: وسر القرآن في أوائل السور. وعن ابن عباس قال: عجزت العلماء عن إدراكها فمذهب السلف تفويض علمها إلى الله تعالى، ومذهب الخلف التأويل فقيل: إنها أسماء الله تعالى، وقيل: أسماء للسور المصدرة بها، وعليه إجماع الأكثر. وقيل: إنها أسماء للقرآن. وقيل: كل حرف منها إشارة إلى اسم من أسمائه الحسنى أو إلى صفة من صفاته العليا. وقال ابن مسعود: إنها اسم الله الأعظم. وقال عكرمة: إنها حروف أقسم الله بها، كذا في «التيسير» وأبي السعود. وقال الطرسوسي في «أنموذج العلم»: إن فواتح السور من المتشابه وتفويض معانيها إلى الله مذهب المتقدمين والتأويل مذهب المتأخرين، والأول أسلم والثاني أحكم.

إذا علمت ذلك فاعلم أن المناسب للمقام أن يكون قوله: كهيعص اسماً من أسمائه تعالى كما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «إن كهيعص اسم الله الأعظم» يؤيده ما رواه القاضي عن علي أنه كان يقول: يا كهيعص[1] يا حمعسق[2] اهـ.

فإن قيل: قد عد في «المواهب اللدنية» كهيعص ويٰس وطس وغيرها من أسماء النبيّ ﷺ مع أن بعض المفسرين عدّها من أسمائه تعالى، فما التوفيق بينهما؟ قلت: لا منافاة بينهما لأن بعض أسماء الله تعالى يطلق على النبيّ ﷺ كالرؤوف والرحيم وغيرهما، وقد سماه الله تعالى بنحو سبعين اسماً من أسمائه الحسنى. كذا في «المواهب». فيكون الشيخ قد سأل الله وأقسم عليه بسر هذه الحروف أن يحقق رجاءه ويعطيه ما تمناه ولذا قال: **(اكفنا)** شرَّ الأعداء والأسواء **(وارحمنا)** عند نزول البلاء.

(التحصين التاسع عشر) أشار إليه بقوله: **(هو الله)** جلّ ذكره وشمل بره **(القادر)** على أن يكفيني ما أهمني **(القاهر)** لأعدائي بنزول الدمار بهم **(الظاهر)** الذي يظهرني عليهم بالنصر **(الباطن)** الذي يحميني ويجيرني منهم **(الفاطر، اللطيف الخبير)** الذي يطّلع على المظلوم فينصره **(قوله الحق)** لا يخلف وعده كما وعد بالنصر ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ **(وله الملك يوم ينفخ في الصور)** فيبقى الملك له وحده **(عالم الغيب والشهادة)** سواء جهر العبد بالدعاء أو أسرّ به **(وهو الحكيم الخبير)**.

(التحصين العشرون) أشار إليه بقوله: **(تحصنت)** أي امتنعت من وصول أيدي الأعداء إليّ **(بالقوي المتين)** الذي من تحصن به سلم وغنم **(اللطيف**

---

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، أدعية الهمّ والخوف، حديث رقم (4999) [2/ 278] وعزاه إلى ابن أبي الدنيا وابن النجار.

(2) أورده المناوي في الفتح السماوي وقال: رواه ابن ماجه في تفسيره من طريق نافع بن أبي نعيم القاري [1/ 129].

الكافي) الذي يكفي عبده ما أهمه ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: الآية 36]، **(الحفيظ)** الذي يحفظ من استعاذ به **(الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم)** تقدم تفسيره فلا عود ولا إعادة **(الحنان)** أي المتعطف على عباده لحمايتهم مما يؤذيهم **(المنّان)** الذي يشرف عباده بالامتنان بما له من عظيم الإنعام والإحسان.

(يا بديع السماوات والأرض، يا حيّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام) قيل: إنها اسم الله الأعظم. قال رسول الله ﷺ: «**ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام**» أخرجه السيوطي عن أنس[1] وهو بفتح فكسر وبالظاء المشالة المشددة بمعنى ألحوا والزموا وأكثروا منها، والمراد داوموا على قولكم ذلك واجعلوه هجيركم لئلا تركنوا إلى غيره.

(نسألك) أي نطلب منك **(بعظم اللاهوتية)** نسبة إلى اللاهوت بوزن فعلوت كرهبوت ورحموت مأخوذ من لاه يليه ليهاً إذا تستر وعلا وارتفع، والمراد باللاهوت هنا عالم السر الغيبي، ويعبر عنه بعالم الأرواح وبعالم الأسرار وبعالم الأنوار وبالحضرة الغيبية وبغيب الذات، يعني أنه سأل الله وأقسم عليه بعالم السر الغيبي **(أن تنقل طباعنا)** أي صفاتنا، جمع طبيعة بمعنى مطبوعة وهي ما طبع وجُبِل عليه البشر من الأخلاق البشرية كالميل إلى مستلذات النفوس، فسأل الله أن يحول طبيعته **(من الطباع)** أي الصفات **(البشرية)** أي النشأة الإنسانية التي تعوق العبد عن اللحوق بدرجة الروح وتمنعه عن الاتصاف بصفات الروحية، فكأنه سأل من الله تعالى أن يلحقه بأهل حضرته المتزينين بزينة الظاهر والباطن الذين تودّد إليهم في الأزل بلطائف الجود وتودّدوا إليه بدوام الإقبال والشهود، وهم الربانيون الكاملون علماً وعملاً الذين لا تستفزهم محنة ولا تهزهم نقمة، فهم على حالة واحدة في اختلاف الطوارق كأبي بكر الصديق الأكبر رضي الله عنه فإنه لكونه منهم لم

(1) ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير...، حديث رقم (1837) [1/ 676] ورواه الترمذي في السنن باب 92، حديث رقم (3524) [5/ 539] ورواه غيرهما.

يضطرب كغيره عند موت النبيّ ﷺ بل ثبت مستحضراً لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: الآية 30]، وهم ضنائن الحق من خلقه المشار إليهم بحديث: «**إن لله عباداً يضن بهم عن القتل ويطيل أعمارهم في حسن العمل ويحسن أرزاقهم ويحييهم في عافية ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش فيعطيهم منازل الشهداء**»[1]، وفي رواية: «**إن لله ضنائن من خلقه يغذوهم في رحمة، يحييهم في عافية، ويميتهم في عافية، وإذا توفاهم توفاهم إلى جنته، أولئك الذين تمرُّ عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في عافية**»[2] وهم عرائس أهل الحضرة، ومنهم أهل الكهف وهم وزراء المهدي عليه السلام.

(وأن ترفع مهجتنا) جمع مهجة أي أرواحنا **(مع)** أرواح **(ملائكتك العلوية)** فنصير متصفين بصفات الروحانيين الملائكة العلوية لأن العبد كلما اتصف بصفة عرشية انسلخ عن صفة أرضية ولا يزال كذلك ما دام في دار التكليف، ومن غلبت عليه صفات البشرية كان حيواناً في صورة إنسان بخلاف من غلبت عليه صفات روحانيته فإنه يكون إنساناً في صورة ملك، فهو سماوي السريرة، أرضي الصورة. قال قتادة: خلق الله الملائكة عقولاً بلا شهوات، وخلق البهائم شهوات بلا عقول، وخلق الإنسان وجعل له عقلاً وشهوة، فمن غلب عقله على شهوته فهو من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فهو من البهائم.

ونقل الطباع البشرية إلى الملكية لا يكون إلا بالمجاهدات والمكابدات وارتكاب مشاق الطاعات حتى تصفو النفس من كدر الشهوات اهـ.

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (10371) [10/ 176].

(2) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، مَن اسمه محمد، حديث رقم (6369) [6/ 265] ورواه ابن الجعد في المسند، عن عدي بن الفضل، حديث رقم (3446) [1/ 494].

(التحصين الحادي والعشرون) أشار إليه بقوله: **(يا محول)** أي مغيِّر وناقل **(الحول)** أي السنة من الشدّة إلى الرخاء وبالعكس **(والأحوال)** جمع حال يذكر ويؤنث وهي ما عليه الإنسان من خير وشر **(حوِّل)** أي انقل **(حالنا)** من الشدة **(إلى أحسن حال)** حتى لا يشغلنا عنك شاغل.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك) ورد أن من قالها عقب فراغه من الوضوء رافعاً يديه وبصره إلى السماء فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء **(صلاة)** معمول لقوله فيما تقدم: نسألك أن تصلي على سيدنا محمد نبراس الأنبياء، أي صلِّ عليه صلاة **(منجية)** لنا **(في الحياة وبعد الممات)** فإنها سبب النجاة في الدنيا والآخرة.

(اللهمَّ صلِّ) الصلاة معناها من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم **(على سيِّدنا)** أي معاشر بني آدم على الإطلاق. قال الشعراني رحمه الله نقلاً عن شيخه الخوَّاص رضي الله عنه ما حاصله: ينبغي للعلماء إشاعة حديث: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**»[1] بين العوام وغيرهم لأنه ﷺ ما قال ذلك إلا ليعلم أمته أنه أول من يفتح باب الشفاعة فيريحهم ذلك اليوم من الكرب والمشي فلا يأتون قبله إلى نبي بعد نبي بل يصبرون حتى يفرغ الناس من سؤال الأنبياء ثم يأتونه ﷺ.

هكذا فهمنا من هذا الحديث، فإن الأنبياء لا تزكى نفوسها إلا لغرض صحيح، فعلم أنه لا يأتي يوم القيامة لنبي بعد نبي إلا من لم يبلغه هذا الحديث أو بلغه فنسيه، وأما من بلغه ولم ينسه يصبر حتى يفرغ الناس من طلب الشفاعة من الأنبياء ثم يأتي معهم إلى رسول الله **(محمد)** ﷺ هو أشرف أسمائه ﷺ ولذلك خصه بالذكر، وله أسماء كثيرة. نقل ابن الهائم والنووي أن له ﷺ ألف

(1) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار بأن الأنبياء...، حديث رقم (6478) [14/ 398]، ورواه الترمذي في السنن، باب ومن سورة بني إسرائيل، حديث رقم (3148) [5/ 308] ورواه غيرهما.

اسم. وقيل: ألفان وعشرون اسماً.

فائدة: أخرج ابن جابر عن علي مرفوعاً: «ما أطعم طعام على مائدة ولا جلس عليها وفيها اسمي إلا قدّسوا كل يوم مرتين»[1]. وأخرج الطبراني عن علي مرفوعاً: «ما اجتمع قوم قط في مشورة وفيهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم إلا لم يبارك لهم فيه»[2] ذكره المناوي على حديث: «**إذا سميتم المولود محمداً فأكرموه وأوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجهاً**» اهـ.

(السابق إلى الأنام) أي الخلق **(نوره)** أي شريعته الغراء **(الرحمة للعالمين)** أي الإنس والجن والملائكة وغيرهم أيضاً **(ظهوره)** أي وجوده في عالم الظهور بشهادة ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيَاء: الآية 107].

وفي الحديث: «**يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة**»[3]. والمراد بكونه رحمة للعالمين أي الإنس والجن، برّاً وفاجراً، مؤمناً وكافراً، طائعاً وعاصياً، أنه تعالى رفع عنهم بوجوده الشريف المسخ والخسف وأخّر عنهم عذاب الاستئصال.

(عدد) أي صلِّ عليه بعدد **(من مضى من البرية)** أي الخلق من لدن آدم إلى يومنا هذا **(و)** بعدد **(من بقي)** ممن سيولد ويوجد من المخلوقات إلى يوم القيامة **(و)** بعدد **(من سعد منهم)** بالإيمان والطاعة **(و)** بعدد **(من شقي)** منهم بالكفر والمخالفة **(صلاة)** أي صلِّ عليه صلاة كثيرة بحيث **(تستغرق**

---

(1) أورده ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان برقم (778) [1/ 250] وأورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة [1/ 92] وأورده غيرهما.

(2) رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية، باب فضل اسمه، حديث رقم (267) [1/ 174].

(3) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، حديث رقم (100) [1/ 91] ورواه بدون عبارة: يا أيها الناس، ابن أبي شيبة في المصنف برقم (31782) [6/ 325] ورواه غيرهما.

العد) فلا تبقي منه شيئاً **(وتحيط بالحدّ)** أي تستقصيه **(لا غاية لها ولا انتهاء ولا أمد)** بمعنى أنها لا تنقطع أبداً **(صلاتك)** أي صلِّ عليه صلاتك **(التي صلّيت عليه)** في كلامك القديم حيث قلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: الآية 56] **(صلاة دائمة)** لا تنقطع **(و)** صلِّ **(على آله)** وهم أهل بيته وبقية المؤمنين لأنه مقام دعاء **(و)** على **(أسرته)** أي رهطه الذين تقوّى بهم في نصرة الدين صحابياً كان أو تابعياً **(وسلِّم تسليماً)** أي أدم سلامك عليه سلاماً مؤكداً **(مثل ذلك)** العدد الذي مرّ **(والحمد لله رب العالمين)** أي مالك جميع المخلوقات، فعالمون جمع عالم أو اسم جمع له على خلاف فيه مشهور، سمي بذلك لأنه علامة على ظهور صانعه سبحانه وتعالى.

قال العارف:

وفي كلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ تدلُ علَى أنَّهُ واحدُ

ونقل مقاتل: إن لله ثمانين ألف عالم. وعن وهب: إنها ثمانية عشر ألف عالم، عالم الدنيا عالم منها. قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [المدَّثِّر: الآية 31].

قال البكري: والحق أن عوالم الله تعالى لا تنحصر عدّاً وإن ضمن كل عالم من العوالم المذكورة عوالم، وربما رأى المكاشف في الغصن الواحد من الشجرة عوالم بحسب أوراقه وفي كل ورقة خلقاً بعدد أجزائها يذكرون الله تعالى ويسمع ذكرهم ويستفيد منهم علوماً كثيرة اهـ.

وإنما أتى الشيخ بالحمد آخر ورده تفاؤلاً بحصول ما طلبه، لأن الدعاء إذا ختم بالحمد رجيت إجابته وهو آخر دعاء المؤمنين في الجنة، فإذا اشتهوا شيئاً قالوا: الحمد لله رب العالمين، فإذا ما طلبوه من بين أيديهم.

ثم ختم بما ختم الله به سورة الصافات رجاء تحقيق ما دعا به وطمعاً منه أن يكال له بالكيل الأوفى لما ورد عن علي كرَّم الله وجهه: «**من أحب أن**

يكتال بالكيل الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: الآيات 180 - 182]) فهو تنزيه للربّ تعالى وتقديس لجنابه الرفيع عمّا قاله المشركون فيه مما لا يليق بجلاله وتحميد له على ما أفاض عليهم وعلى مَن اتبعهم من النعم وحسن العاقبة. والمراد منه تعليم المؤمنين كيف يحمدون ويسلِّمون على رسله وإضافة الرب إلى العزَّة لاختصاصه بها إذ لا عزّ إلا له ولمن أعزّه، وقد أدرج فيه جملة صفات السلبية والثبوتية مع الإشعار بالتوحيد. ختم الله لنا ولذريتنا وإخواننا بالتوحيد والعمل الصالح والفعل الحميد.

وهذا آخر ما أردنا إيراده من «الفيوضات الإحسانية شرح الأوراد البهائية» فجاء بعون الملك المعبود شرحاً متمماً للمراد موفياً بالمقصود، لم أقف على شرح سبقت به فأستضيء بنور هلاله، ولا نسجت يد ناسج على منواله، ولكن لاحت عليه من الشيخ قدّس سرّه أشعة أنواره، وسرت في ألفاظه أمداد أسراره، فكانت عبارات مبانيه رشيقة، وإشارات معانيه رقيقة، وعروس محاسنه منجلية تبغي كفؤاً راغباً فيها، وكؤوس أحاسنه متدفقة لعاشق يحتسيها، وثمار جنانه دانية لجانيها، وأزهار رياضه مونقة لمدانيها، خطبت من الفكر مخدرات بناته، واستخرجت من بحار المعاني جواهر عباراته، وضبطت غريب كلماته، وحللت عقد مشكلاته، كي يلتذّ به تاليه، وينشط من عقال الكسل معانيه، راجياً من الحليم الستار، بحرمة حبيبه المختار، أن يجعله خالصاً من الشوائب، ويوجه نحوه الهمم والرغائب، ويكون سبباً لنجاتي من عذاب النار، ودخولي في سلك السادة الأبرار.

وأستغفر الله من كل قول غير مستقيم، ومن هفوة سبق بها القلم، أو عثرة زلّ بها القدم، وأعوذ بالله من علم بلا عمل، وعمل بلا إخلاص، اللهم اجعلنا من الناجين يوم القصاص يوم يؤخذ بالنواصي.

اللهمَّ عاملنا بلطفك ورحمتك ومغفرتك، وأجرنا من طردك وخزيك وعقوبتك، وافعل ذلك بوالدينا وذريتنا وأحبتنا إنك على كل شيء قدير، وصلّى

الله على سيِّدنا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحابته والتابعين، والأئمة المجتهدين.

وقد فرغ القلم من تبييض هذه النسخة على عجلة

على يد مؤلفه بعد عصر الجمعة

ثامن عشر ذي الحجة الحرام، سنة 1268هجرية

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

تقديم **3**

ترجمة الشارح الشيخ عبد القادر الكيالي **9**

ترجمة الماتن الشيخ بهاء الدين نقشبند ـ قدِّس سرُّه **11**

الأوراد البهائية للشيخ بهاء الدين نقشبند **17**

صلاة منجية في الحياة وبعد الممات 26

مقدّمة الشارح **27**

مقدّمة **31**

الفصل الأول: في الترغيب في الدعاء وذكر شروطه وآدابه 31

شروط الدعاء 35

الفصل الثاني: في الذكر وفضله وآدابه، والفرق بين الذكر السرِّي والجهريِّ 41

المقصد الأول: في المراد بالذكر المأمور به في القرآن والأحاديث 41

المقصد الثاني: في آداب الذكر وفضل أهله وفضل مجالسه 44

المقصد الثالث: في الذكر السرِّي والذكر الجهري وأيهما أفضل 49

الفيوضات الإحسانية شرح أوراد الشيخ بهاء الدين نقشبند قدِّس سرُّه ... **63**

فهرس المحتويات **171**

AL-FUYŪḌĀT AL-IḤṢĀNIYYA
ŠARḤ AL-AWRĀD AL-BAHĀ'IYYA

BY

Al-Sheikh Abdul-Qader ben Muhammed Al-Kayyali
(was alive 1268 H.)

EDITED BY

Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali

BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon
بيروت - لبنان
كتاب - ناشرون